

بسم الله الرحمن الرحيم
قام الطالب بإستيفاء الملاحظات
على نسخة المخطوطة

المكتبة العزيمية للدراسات
جامعة أم القرى
شعبة الدعوة والعلوم الدينية
الدراسات العليا
فروع الكتاب والسنة

١٤١٣/١٤١٩٩٩ —————
عبد العزيز محمد بن محمد

مراجعة
دا عبد السلام بن محمد
١٤١٣

القرآن

وأثرها في التفسير والأحكام

إعداد

٤٣٦٩

محمد بن محمد بن محمد بن محمد

لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية

إشراف

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور

عبد السلام بن محمد بن محمد



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٢١٠٨

١٤١٢ هـ - ١٤١٣ هـ

المكتبة العزيمية للدراسات
جامعة أم القرى
كلية الدعوة والعلوم الدينية
الدراسات العليا
فروع الكتاب والسنة

الْقُرْآنُ

وَأَثَرُهُ فِي التَّفْسِيرِ وَالْأَحْكَامِ

إعداد

محمد بن محمد بن صالح باز

لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية

إشراف

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور

عبد الستار فرحان



١٤١٢ هـ - ١٤١٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الرسالة : القراءات واثرها في التفسير و الأحكام.

الدرجة العلمية : الدكتوراة.

إعداد الطالب : محمد بن عمر بن سالم بازمول.

الباعث على الاختيار : جدة الموضوع، وخدمته للقرآن من جهة تفسيره، وقراءاته، والرغبة في التضلع من معاني القرآن الكريم، والذب عنه أمام شبه الملحدين، وجمع وترتيب المادة المبتوثة حول الموضوع في كتب القراءات والتفسير وعلوم القرآن في مكان واحد يقربها على الباحث والمطالع.

والبحث مقسم إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول : القراءات تعريفا وأقساما

ويتضمن الأبواب التالية: الباب الأول : تعريف القراءات وأقسامها. الباب الثاني : تدوين

القراءات وتطوره. الباب الثالث : رد الشبهات التي تثار حول القراءات.

القسم الثاني : أثر القراءات في التفسير والأحكام.

ويتضمن الأبواب التالية: الباب الأول : القراءات والتفسير. الباب الثاني : القراءات التي بينت

المعنى أو وسعته و أزلت الإشكال. الباب الثالث : القراءات المتعلقة بالعموم والإطلاق والإجمال.

الباب الرابع : القراءات المتعلقة بتنوع الأساليب.

نتائج البحث : ١- بيان أن الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه حظي بالتواتر

في النقل، وما وافقه في الرسم من باقي الأحرف نقل عن غير طريق التواتر، لكن توفرت له شروط

القبول من موافقة الرسم والعربية وصحة النقل وتلقي العلماء له بالقبول. ٢ - بيان أقسام القراءات

من جهة النقل، ومن جهة القبول، مع بيان الفرق بين القرآن والقراءة والرواية والطريق والوجه.

٣ - بيان أن التصنيف في القراءات وما يتعلق بها لم ينقطع في عصر من الأعصار وأنه مستمر ولله

الحمد إلى زمننا هذا. ٤ - رد الشبه التي جاء بها المستشرقون بالنسبة لاختلاف القراءات

و رسمها، وأنها في حقيقتها تطوير للشبه القديم التي جاء بها المبطلون وردها عليهم أهل

العلم. ٥ - تأكيد أن القراءات جميعها حق، واختلافها هنا لا تضاد فيه، و لا تناقض، لأنه

اختلاف تنوع، والاختلاف الذي نفاه الله عزوجل عن القرآن العظيم هو اختلاف التضاد والتناقض،

وهذا لا يوجد في الشرع بله في القرآن العظيم، ولله الحمد والمنة. ٦ - بيان منزلة القراءات من

التفسير، وأنها تارة تكون من باب تفسير القرآن بالقرآن، وتارة تكون من باب تفسير القرآن بالسنة

أو بقول الصحابي. ٧ - بيان أن تنوع القراءات من جهة أثره في التفسير على قسمين: الأول:

قراءات لها أثر في تفسير الآية وبيان معناه. الثاني: قراءات لا أثر لها في تفسير الآية ومعناها،

وإنما هو أمور ترجع إلى اللغة، نحواً، وصرفاً، ونحو ذلك. ٨ - تقرير أن الاهتمام بأثر القراءات

في التفسير كان منذ عهد الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين. ٩ - حصر الآيات الكريمة

الذي أنتج تنوع القراءات فيها أثراً في معناها وتفسيرها. ١٠ - تقرير أن تعدد القراءات هو ضرب

من الإعجاز القرآني، لا يستطيع أن يأتي به بشر قط من عنده، ثم لا يستطيع أن يبلغه على هذا

الوجه الشامل إلا رسول من عند الله حقاً، لذلك لم يحط بعد ذلك إمام واحد بكل القراءات.

توقيع الطالب:

توقيع المشرف:

توقيع العميد:

محمد بازمول

محمد بازمول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ :

فإني امتثالاً لقوله ﷺ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» (١) أسجل هنا شكري وعرفاني بالجميل وتقديري.

أَمَّا الشكر فلأستاذي وشيخي المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور فضيلة الشيخ :

عبدالستار فتح الله سعيد سلمه الله ورعاه.

على ما بذله معي من جهد في قراءة الرسالة واسداء النصيح والتوجيه طوال فترة الإشراف جزاه الله عني كل خير.

فقد كان - و لا أزكي على الله أحدا - حريصاً كل الحرص على تجلية الحقائق العلمية، وضرورة إبرازها بصورة جيدة، مع توجيهي إلى دقة العبارة، وسلامة التركيب، وصحة الأسلوب.

كما أسجل هنا تقديري للجهود الكريمة التي تبذلها جامعة أم القرى عامة، وكلية الدعوة وأصول الدين خاصة، لتيسير طريق العلم أمام طلابه، فجزاهم الله خيراً.

و لا يفوتني تسجيل شكري و دعائي لجميع أساتذتي، ومشايخي، الذين أفادوني كثيراً، و لجميع إخواني، وزملائي؛ من أعارني منهم كتاباً، أو أبدى تشجيعاً، فلهم مني كل شكر وتقدير، جزى الله الجميع خيراً.

وأخيراً، أسأل الله بأن له الحمد لا إله إلا هو الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام أن يتقبل جميع عملي خالصاً لوجهه الكريم وأن يرزقني القبول إنه سميع عليم.

(١) حديث صحيح.

أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (الميمنية) ٢/٢٥٨، ٢٥٩، ٣٠٣، ٣٨٨، ٤٦١، ٤٩٢، وأبو داود في كتاب الأدب باب في شكر المعروف حديث رقم: (٤٨١١) والترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم: (١٩٥٥)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ٢٤٦/١٣، وصححه كذلك الشيخ عبد القار الأرناؤوط في تحقيقه لجامع الأصول لابن الأثير ٥٦٠/٢.

مفتاح مختصرات ورموز الرسالة

الإبانة	: الإبانة عن معاني القراءات لمكي.
الإتحاف	: إتحاف فضلاء البشر للدمياطي.
الإتقان (أبو الفضل)	: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي تحقيق أبو الفضل إبراهيم.
اه	: انتهى
البدور	: البدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي.
البرهان	: البرهان في علوم القرآن للزركشي.
ت ١٢٣هـ	: توفي سنة ١٢٣هـ.
التبصرة	: التبصرة في القراءات السبع لمكي.
ت بغداد	: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
التحبير	: تحبير التيسير في القراءات العشر، لابن الجزري.
تفسير الطبري	: جامع البيان في تأويل آي القرآن.
تفسير القرطبي	: الجامع لأحكام القرآن.
تفسير الطبري (شاكر)	: تفسير الطبري بتحقيق أحمد ومحمود شاكر.
التقريب	: تقريب التهذيب.
التهذيب	: تهذيب التهذيب، كلاهما لابن حجر.
التيسير	: التيسير في القراءات السبع للداني.
ج	: جزء.
الحرز	: حرز الأمان للشاطبي.
السبعة	: السبعة في القراءات لابن مجاهد.
ص	: صفحة.
طبقات القراء	: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري.
الغاية	: الغاية في القراءات العشر لابن مهران.
فهرس جامعة الإمام	: فهرس المخطوطات والمصورات في جامعة الإمام محمد بن سعود.
ق	: قسم.
القلائد	: قلائد الفكر، لمحمد القمحاوي، وزميله.
ل	: لوحة، وذلك عند العزو إلى مخطوط.
اللطائف	: لطائف الإشارات للقسطلاني.
الكشف	: الكشف عن وجوه القراءات السبع، لمكي.

المبسوط : المبسوط في القراءات العشر لابن مهران.
المرشد : المرشد الوجيز ، لابن أبي شامة
مسند أحمد بن حنبل (البنا) : الفتح الرباني بترتيب مسند أحمد بن حنبل
الشييباني للشيخ البنا.
مسند أحمد بن حنبل (شاکر) : مسند أحمد بن حنبل تحقيق أحمد شاکر.
المغني : المغني في توجيه القراءات العشر.
المنجد : منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري.
النشر : النشر في القراءات العشر.
«...» : في هذا المكان حذف كلام من النص المنقول.

المُقَدِّمَة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وسيئات أعمالنا .

من يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

و أشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
[آل عمران: ١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾
[الأحزاب: ٧٠-٧١] .

أما بعد :

فإنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرُّ الْأُمُورِ
مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ فِي دِينِ اللَّهِ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ .

أما بعد :

فإنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ هُوَ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْزَلَهُ هَدًى وَرَحْمَةً لِلنَّاسِ، فَهُوَ
نُورٌ يَضِيءُ الظُّلُمَاتِ، وَرُوحٌ يَحْيِي الْمَوَاتِ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ:
قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ سورة النساء: ١٧٤ وقال:
﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ سورة إبراهيم: ١
وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ سورة الشورى: ٥٢ .

فهو خَلِيقٌ بَأَن تَبْدُلَ فِي خِدْمَتِهِ الْجَهْدُ وَيَسْتَوْفَى فِي بَيَانِهِ غَايَةَ الْمَجْهُودِ،
وَقَدْ نَدَبْنَا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِحِفْظِهِ وَتَدْبِيرِهِ فَقَالَ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ
لِيَذَّبَ رُوحًا وَيَلْتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ سورة ص: ٢٩ .

ونَدَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِتَعْلَمَهُ وَتَعْلِيمِهِ فَقَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ

وعلمه» (١).

وكان من فضل الله تبارك وتعالى عليّ أن وفقني لاختيار موضوع عن القراءات وتعلقها بتفسير القرآن العظيم وبيان معانيه بعنوان :
[القراءات وأثرها في التفسير والأحكام]
أتقدم به لنيل درجة : (الدكتوراة) من جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة.

وقد كان الباعث لاختيار هذا الموضوع الأمور التالية :
(١) أهمية هذا الموضوع إذ يتعلق بأمرين هامين هما:
(أ) القراءات.
(ب) والتفسير.

فهو يوضح سبب اختلاف القراءات، والقراءة الصحيحة والقراءة الشاذة وما يعتمد منها في التفسير وما لا يعتمد، كما أنه يحقق صورة من صور تفسير القرآن بالقرآن قد يُغفل عنها أحياناً، و صورة من صور تفسير القرآن بالسنة، وصورة من صور تفسير القرآن بقول الصحابي قد لا يتنبه لها.
(٢) الرغبة في خدمة القرآن العظيم، والعيش بين معانيه والتضلع من خلال ذلك فهما وعلماً في كتاب الله عز وجل.
(٣) جذّة هذا الموضوع؛ حيث لم أر من افردّه بالتصنيف غير كلام مبنوث في كتب التفسير وكتب توجيه القراءات.
(٤) جمع ما يتعلق بهذا الموضوع في مكان واحد بحيث يسهل مأخذه ويقرب على طالبيه.
(٥) بيان الحكم والفوائد الكبرى التي تتحقق من خلال تعدد القراءات والرد على الشبه التي يثيرها أعداء الإسلام.

خطة الموضوع :

وقد قسّمت الرسالة إلى قسمين رئيسيين :

القسم الأول : القراءات .

ويشتمل : على مدخل وثلاثة أبواب كما يلي :

(١) حديث صحيح .

فقد أخرجه البخاري في صحيحه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه في كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه حديث رقم (٥٠٢٧) .

المدخل ، ويتضمن الحديث عن :

(1) تعريف القرآن العظيم .

(2) نزول القرآن العظيم .

(3) جمع القرآن العظيم .

وكان هذا المدخل ضروريا في هذه الدراسة لما ينبني عليه من بيان القراءات ، وأسباب تنوعها ، والأحرف السبعة ولفهم ماسيأتي في سائر مباحث الرسالة - إن شاء الله تعالى - .

الباب الأول : القراءات تعريفاً و أقساماً .

وفيه الفصول التالية :

الفصل الأول : تعريف القراءة .

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريف القراءات لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني : نشأة القراءات ومصدرها .

المبحث الثالث : الفرق بين القراءة و القرآن والوجه والطريق

والرواية .

الفصل الثاني : أقسام القراءات .

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : عدد القراءات وصلتها بالأحرف السبعة .

المبحث الثاني : أقسام القراءات .

المبحث الثالث : تعدد القراءات وفوائده .

الباب الثاني : تدوين القراءات و تطوره .

وفيه تمهيد وفصول :

التمهيد : يتناول عرضاً تاريخياً حسب التسلسل الزمني لدراسات

السابقين لتتضح الصورة الكلية بين يدي الفصول والمباحث .

الفصل الأول : تدوين القراءات في كتب العلوم الأخرى ويتضمن

هذا الفصل الحديث عن الكتابات الأولى في القراءات كيف بدأت ؟ وكيف

سارت في مراحلها الأولى ؟ حيث إنَّ الباحث يجدُ القراءات في هذه

المرحلة تكونُ نصوصاً مبنوثة في كتب التفسير بالمأثور كما في «تفسير

عبدالرزاق الصنعاني» و «تفسير النسائي» و «تفسير ابن أبي حاتم»، وغيرها

من الكتب المصنفة في معاني القرآن مثل كتاب «معاني القرآن» للفراء،

وكتاب «معاني القرآن» للاخفش .

كما يجد نصوصاً أخرى تتعلق بالقراءات في كتب الحديث بأنواعها

كالمسانيد والمصنفات والجوامع والسنن .

وكذا في الكتب المصنفة في علوم القرآن ككتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد القاسم بن سلام ، وكتاب «فضائل القرآن» لابن الضريس وكتاب «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة، وغيرها .

وكذا في كتب النحو الأولى نجد نصوصا تتعلق بالقراءات ، كما في كتاب «الكتاب» لسيبويه، وكتاب «المقتضب» للمبرد وغيرها .

وبناء على هذا الواقع فإن هذا الفصل فيه المباحث التالية :

المبحث الأول : القراءات في كتب علوم القرآن والتفسير .

المبحث الثاني : القراءات في كتب الحديث .

المبحث الثالث : القراءات في كتب النحو .

الفصل الثاني : التدوين المفرد للقراءات .

ويتحدث هذا الفصل عن المصنفات التي أفردت للقراءات سواء كانت مفردة لقراءة إمام بعينه، أم كانت تجمع أكثر من قراءة، وسواء كانت تجمع قراءات مع التحرير والاختيار، أم كانت بدون ذلك، و يتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : الكتب المفردة لقراءة إمام بعينه .

المبحث الثاني : كتب القراءات الموسعة .

المبحث الثالث : كتب توجيه القراءات .

الباب الثالث : رد الشبهات التي تثار حول القراءات .

وفيه الفصول التالية :

الفصل الأول : الشبه في اختلاف القراءات وردّها .

الفصل الثاني : الشبه في رسم المصحف وردّها .

القسم الثاني : أثر القراءات في التفسير والأحكام .

ويشتمل على التمهيد والأبواب التالية :

الباب الأول : معنى العنوان، وصلة القراءات بالتفسير

وفيه فصلان :

الفصل الأول : معنى العنوان .

الفصل الثاني : القراءات والتفسير .

الباب الثاني : القراءات التي بينت المعنى أو وسّعت أو أزلت الإشكال .

وفيه الفصول التالية :

الفصل الأول : القراءات التي بينت معنى الآية .

الفصل الثاني : القراءات التي وسّعت معنى الآية .

الفصل الثالث : القراءات التي أزال الإشكال عن معنى الآية.
الباب الثالث : القراءات المتعلقة بالعموم والإطلاق والإجمال.
وفيه الفصول التالية :

الفصل الأول : القراءات المتعلقة بالعموم .
الفصل الثاني : القراءات المتعلقة بالإطلاق .
الفصل الثالث : القراءات المتعلقة بالإجمال .
الباب الرابع : القراءات المتعلقة بتنوع الأساليب .
وفيه الفصلان التاليان :

الفصل الأول : في البناء للفاعل والمفعول والالتفات .
الفصل الثاني : في الاستئناف والمفاعلة والتكثير وغيره .

الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج والمقترحات التي انتهى إليها البحث.
الكشافات، و المصادر والمراجع، ودليل محتويات الرسالة.

منهج البحث :

يتلخص منهج البحث فيما يلي :

بالنسبة للقسم الأول من الرسالة المتعلق بالقراءات من جهة التعريف بها وتدوينها والشبهات التي أثارت حولها؛ فقد تتبعنا ما ذكره العلماء في ذلك قديماً وحديثاً وأوردته مع التحرير والتدقيق ما أمكن.

وقد كانت المشكلة التي واجهتني في ذلك شحّة المعلومات في جانب وكثرتها في جانب آخر، مما كان يستلزم البحث والتنقيب والتتبع والتقصي والتحرير والتدقيق قدر الوسع والطاقة.

وشكلت كتب علوم القرآن ، ومقدمات كتب القراءات و مقدمات كتب التفسير والكتب المصنفة حول القراءات عموماً؛ المصادر الرئيسية لهذا القسم.

بالنسبة للقسم الثاني المتعلق ببيان أثر القراءات في التفسير والأحكام؛ فقد سلكنا النهج التالي :

(١) استقرأت وتقصيت القراءات السبع والثلاث المتممة للعشر كما تقصيت القراءات الشاذة التي أوردتها ابن جني (ت٣٩٢هـ) رحمه الله في كتابه «المحتسب» وكذا القراءات التي أوردتها السيوطي (ت٩١١هـ) في كتابه «الدر المنثور» وأرجو أن لا يكون فاتني شيء مما له علاقة بالموضوع إلا ما يكون من شأن الإنسان والله المستعان.

(٢) راجعت تلك المواضع في كتب التفسير ، وخاصة كتاب أبي

جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) «جامع البيان» و كتاب ابن الجوزي (ت ٩٧٠هـ) «زاد المسير» و كتاب القرطبي (ت ٦٧١هـ) «الجامع لأحكام القرآن» و كتاب أبي حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ) «البحر المحيط»؛ فقد راجعت هذه الكتب وغيرها ونقلت منها ما يتعلق بموضوع البحث.

و كانت كتب القراءات السبع، والعشر، مع كتب توجيه القراءات و كتب التفسير و معاني القرآن، المصادر الرئيسية لهذا القسم. وقد راعيت عند كتابتي الأمور التالية :

(١) التزمت عند إيراد الآيات القرآنية رواية حفص عن عاصم، وإذا أوردت الآية بغير هذه الرواية فإنني أنبه على ذلك.

(٢) عزو الآيات إلى مواضعها من المصحف الشريف مع ضبط الآية بالشكل وذكر رقم الآية واسم السورة حسب المثبت في المصحف المطبوع في «مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف» وهو جار على عد الكوفيين و عدده عندهم (٦٢٣٦) آية. (١).

(٣) وقد بلغ عدد مواضع تنوع القراءات بضعا وأربعمئة موضعا، اشتملت على خمسين و تسعمئة قراءة تقريبا، نصيب القراءات العشر منها: أربع وأربعون وسبعمئة قراءة، فيكون عدد القراءات العشر باعتبار القراء أربعون وأربعمئة وسبعة آلاف (٧٤٤٠).

ونصيب القراءات الأحادية والشاذة منها: خمس ومئتا قراءة (٢). وبلغ عدد القراءات الأحادية (٣) الموافقة للقراءات العشر، باعتبار القراء، ستا وسبعين وتسعمئة والفي قراءة.

وهذا العدد يدل - بفضل الله تعالى - على مدى ما بذل في هذه الرسالة من جهد في الجمع والتصنيف، والترتيب، والتحرير، فله الحمد والفضل. (٤) تخريج الأحاديث والآثار تخريجا مختصرا، أقتصر فيه على عزو الحديث إلى مواضعه، مع بيان حاله: صحة أو حسنا أو ضعفا مستعينا في ذلك بأحكام أهل الشأن - إن وجدت - و إلا اجتهدت في تطبيق قواعدهم في ذلك.

ولا أثبت حكما على حديث أو أثر - إن شاء الله تعالى - إلا بعد مراجعة كتب أئمة الجرح والتعديل ككتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم

(١) انظر تعريفاً بهذا المصحف طبع في آخره مع تقرير لجنة مراجعة مصحف المدينة النبوية.

(٢) ولم أحصها باعتبار القراء.

(٣) أعني قراءة الحسن وابن محيصن والأعمش واليزيدي.

و «ميزان الاعتدال» للذهبي و «تهذيب التهذيب» و «تقريب التهذيب» و «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، وغيرها.

(٥) الحرص على الموضوعية في البحث، من التزام المقصود الأصلي في كل موضع، وتحرير المراد، وتحقيق القضايا، وعدم الاستطراد، أو تعميم الأحكام في غير موضعها، وقد أفردت صلب الرسالة لموضوعات البحث، والهامش للمسائل الفرعية بالنسبة لموضوع المطلب أو المبحث أو الفصل.

(٦) التزمت بالتوثيق العلمي لما أورده في جميع الرسالة بذكر اسم المرجع أو المصدر بالجزء والصفحة، إلا في تخريج الأحاديث فقد كنت أذكر الكتاب والباب، ورقم الحديث إن أمكن، والجزء والصفحة.

(٧) ترجمت للأعلام الواردين في صلب الرسالة، وارجو أن لا يكون فاتني من ذلك إلا القليل، مما الإنسان عرضة له.

(٨) عرفت بالأماكن والبقاع، الواردة في صلب الرسالة.

(٩) زودت الرسالة بكشافات تساعد القارئ على الوصول إلى ما يريده من موضوعات، وهي كالتالي :

(أ) كشاف الآيات القرآنية.

(ب) كشاف القراءات الشاذة.

(ج) كشاف الأحاديث والآثار.

(د) كشاف الأعلام .

(هـ) كشاف الكتب.

(و) كشاف الأماكن و البقاع.

(١٠) ألحقت في آخر الرسالة فهرساً للمصادر والمراجع ذكرت فيه معلومات النشر المتعلقة بالكتب التي رجعت إليها أثناء كتابتي للرسالة .

هذا : وقد بذلت غاية جهدي في هذه الرسالة، لشرف موضوعها، وجلال مقصودها، وكل ما أصبت فيه فهو من فضل الله تعالى وتوفيقه، وإن تكن الأخرى فمني، والله تعالى هو المرجو دائماً: أن يتجاوز عني إن نسيت، أو أخطأنا، وهو سبحانه من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

هذا : وأسأل الله بأن له الحمد لا إله إلا هو الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاکرام أن يجعل عملي كله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقني فيه القبول إنه سميع مجيب .

كتبه : الطالب : محمد بن عمر بن سالم بازمول .

مكة المكرمة في ١٤١٣/٧/١هـ .

الْقُرْآنُ
وَأَثَرُهُ فِي التَّفْسِيرِ وَالْأَحْكَامِ

القصص الأول

القراءات

ويتضمن المدخل، و أبواباً ثلاثة كما يلي :

المدخل : القرآن العظيم تعريفه ونزوله وجمعه .

الباب الأول : القراءات تعريفاً وأقساماً .

الباب الثاني : تدوين القراءات و تطوره .

الباب الثالث : رد الشبهات التي تثار حول القراءات.

المدخل القرآن العظيم تعريفه نزوله جمعه

أولاً : تعريف القرآن العظيم :

اختلف العلماء في الوجه اللغوي لتسمية القرآن قرآنا :
١ - قال بعضهم : هو علم مرتجل (١) من أول الأمر وضع علما على كتاب الله تعالى، غير مهموز.
وعليه فإنه يُلفظ بدون همز، وبه قرأ ابن كثير وهو مروي عن الشافعي (٢).
٢ - وقال بعضهم : القرآن وصف على وزن (فعلان)، واختلفوا في وجه الاشتقاق :

ف قيل : من القرء بمعنى الجمع والضم والتأليف .
قال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) : « إنما سُمِّيَ قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها... » وأشار الى أن هذه التسمية خاصة بالكتاب المنزل على محمد ﷺ فقال : « والقرآن اسم كتاب الله خاصة ولا يسمى به شيء من سائر الكتب غيره » (٣).

وقيل : القرآن وصف مشتق من التلاوة والقراءة .
وهذا القول اختيار ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) حيث قال : « والواجب أن يكون تأويله... من التلاوة والقراءة وأن يكون مصدرا من قول القائل : « قرأت » كقولك : « الخسران » من « خسرت » و « الغفران » من « غفر الله لك » و « الكفران » من « كفرتك » و « الفرقان » من « فرَّق الله بين الحق والباطل » . (٤).

قال د/ محمد دراز (٥) (ت ١٣٧٧هـ) : « القرآن في الأصل مصدر على وزن فعلان بالضم كـ « الغفران » و « الشكران » و « التكلان » تقول : قرأته قرءا وقراءة وقرآنا بمعنى واحد، أي: تلوته .

-
- (١) يعني : غير منقول. وانظر الإتيقان (أبوالفضل) ١٤٦/١.
 - (٢) انظر تاريخ بغداد ٦٢/٢ مناقب الشافعي للرازي ص ١٩١ الإتيقان (أبوالفضل) ١٤٦/١ تعليق أحمد شاكر على الرسالة للشافعي ص ١٤.
 - (٣) مجاز القرآن ١/١.
 - (٤) تفسير الطبري (شاكر) ٩٤/١-٩٧، ٩٥.
 - (٥) محمد بن عبدالله دراز مفسر مفكر متبحر في الثقافات الإنسانية (١٣١٢-١٣٧٧هـ). ترجمته في مقدمة كتابه «المختار من كنوز السنة».

وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدري في قوله تعالى ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧-١٨] أي : قراءته . ثم صار علما شخصيا لذلك الكتاب الكريم، وهذا هو الاستعمال الأغلب ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء : ٩] . روعي في تسميته قرآنا كونه متلوا باللسن، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه اهـ (١) .

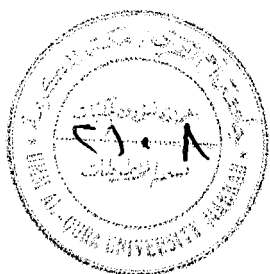
قلت : قيل في اشتقاق لفظة «القرآن» غير ذلك أيضا ، ولعل الراجح من ذلك جميعه : أن القرآن مصدر مشتق مهموز من قرأ يقرأ قراءة وقرآنا ، ويرجح هذا مايلي :

- أن من قال : إنه غير مهموز، قد أبعد في مورد الاشتقاق .
- أن القراء السبعة غير ابن كثير على همزه .
- أن قراءة التخفيف (غير مهموز) قد وجهت بأن ترك الهمزة فيها من باب التخفيف، ونقل حركتها إلى ما قبلها، ولم يوجه إثباتها كأنه الأصل (٢) .

- ومما يُضعف القول بأن أصل اشتقاق «القرآن» من «القرء» بمعنى الجمع والضم والتأليف ما قاله ابن جرير الطبري بعد حكايته لقول من قال : القرآن مصدر مشتق من القراءة ، وقول من قال : القرآن مصدر مشتق من قرء قال : «ولكلا القولين اللذين حكيناها وجه صحيح في كلام العرب غير أن أولى قوليهما بتأويل قول الله تعالى ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة : ١٧-١٨] قول ابن عباس (يعني: تفسيره للآية بأن معناها: أن نقرئك فلا تنسى، وإذا تلي عليك فاتبع ما فيه) .

لأن الله جل شأنه أمر نبيه في غير آية من تنزيله باتباع ما أوحى إليه ولم يرخص له في ترك اتباع شيء من أمره إلى وقت تأليفه القرآن له، فكذلك قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ نظير سائر ما في أي القرآن التي أمر الله فيها باتباع ما أوحى إليه في تنزيله اهـ (٣) .

- أضف إلى هذا أن طائفة من كبار العلماء وأساطين أهل العلم



(١) النبأ العظيم ص ١٢ .

(٢) انظر لسان العرب ٣٤٠/١٣ الإيتقان ٦٨/١ .

(٣) تفسير الطبري (شاكر) ٩٦/١ .

قد صححوا هذا القول منهم ابن جرير الطبري والليثاني (١) واختاره
الألوسي (٢) والزرقاني (٣) (ت ١٣٦٧هـ) ودراز (٤) (ت ١٣٧٧هـ) وغيرهم، رحم
الله الجميع وغفر لنا ولهم.

أمّا تعريف القرآن العظيم بالحد المنطقي : بالجنس (٥) والفصل (٦)
بحيث يكون تعريفه حداً حقيقياً فإنه صعب جداً بل صرح بعض أهل العلم
بتعذره (٧) لأن التعاريف لا تكون إلا للكليات والقرآن علم جزئي مركب من
الماهية (٨) ومشخصاتها والمشخصات لا تعرف إلا بالاطلاع عليها بالحواس
كالإشارة مثلاً أو بالتعبير عنها باسم العلم.
وما ذكره العلماء من تعريف للقرآن إنما هو ضابط مميز وليس بحدّ
مُعَرَّف. (٩).

وعليه : فالتعريف الحقيقي للقرآن هو استحضاره معهوداً في الذهن أو
مشاهدأً بالحس كأن تشير إليه مكتوباً في المصحف أو مقرأً باللسان
فتقول: هو ما بين هاتين الدفتين أو تقول : هو : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم .
الحمد لله رب العالمين...﴾ إلى قوله تعالى : ﴿من الجنة والناس﴾ وبغير هذا
لا يمكن حده حداً حقيقياً تاماً (١٠).

وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى ضابطاً يُمَيِّز القرآن عن غيره، خلاصته:
[القرآن كلام الله المُنزَّل على رسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه
الصلاة والسلام المنقول إلينا تواتراً، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة
منه، المجموع بين دفتي المصحف المفتوح بسورة الفاتحة المختتم بسورة

(١) علي بن المبارك وقيل : ابن حازم . بغية الوعاة ص ٣٤٦ .

(٢) روح المعاني ٨/١ .

(٣) مناهل العرفان ٧/١ .

(٤) النبأ العظيم ص ١٢ .

(٥) الجنس : كلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة، في جواب ماهو من حيث هو
كذلك . التعريفات ص ٧٨ .

(٦) الفصل : كلي يحمل على الشيء في جواب أي شيء هو في جوهره . التعريفات
ص ١٦٧ .

(٧) النبأ العظيم ص ١٤ .

(٨) الماهية : حقيقة الشيء التي بها يكون هو . وانظر التعريفات ص ١٩٥ .

(٩) مناهل العرفان ١٥/١ النبأ العظيم ص ١٤ .

(١٠) انظر مناهل العرفان ١٤/١-١٥ .

وبتأمل هذا الضابط نجد أنه اشتمل على الشروط والقيود التالية :

(١) أنه أخرج كلام غير الله بعبارة : «القرآن كلام الله» فلا يسمى كلام الملك ولا كلام الرسول ﷺ قرآنا.

(٢) وعبارة : «الْمُنَزَّلُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ» بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام» بينت أن المقصود هنا ما نزل على محمد ﷺ دون غيره من الأنبياء.

(٣) وعبارة : «المنقول إلينا تواترا» أدخلت القراءات المتواترة حقيقة أو حكماً، وأخرجت القراءة الشاذة، والآحادية التي لم تتلق بالقبول، فلا تسمى قرآنا، بالضوابط التي ذكرناها (٢).

(٤) وعبارة : «المتعبد بتلاوته» أخرجت الحديث القدسي، والنبوي، فلا يسميان قرآنا.

(٥) وعبارة : «المُعْجَزُ بِأَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْهُ» أخرجت ما ليس بمعجز (٣).

(١) هذا الضابط عبّرَ به من عندي مستفادا من كلام العلماء رحمهم الله وانظر روضة الناظر ص ٦٠-٦١ النبأ العظيم ص ١٤.

(٢) وانظر النشر في القراءات العشر ٩/١-١٩.

(٣) يردُّ على هذا القيد : أن كون القرآن معجزا ليس لازما بيّنا إن لا يعرفه إلا الأفراد من العلماء فضلا عن أن يكون ذاتيا، فكيف يصح جعله قيدا للتعريف عن الحقيقة، والتعريف إنما يكون بالذاتيات أو باللوازم البينة ؟.

ويردُّ أيضا : أن معرفة السورة متوقفة على معرفة القرآن، وهذا دور؟ روح المعاني ٩/١-٩.

قلت : والجواب : أن هذين الإيرادين غير واردين لأن هذا القيد لا يقصد به الحد وإنما المقصود به أن يكون ضابطا مميزا فقط.

والدور هو : توقف الشيء على نفسه . انظر التعريفات ص ١٠٥ وضوابط المعرفة ص ٣٣٣.

والدور هنا : أن معرفة القرآن متوقفة على معرفة السورة ومعرفة السورة متوقفة على معرفة القرآن.

ثانياً : نزول القرآن العظيم .

القرآن كلام الله سبحانه وتعالى، أنزله إلى رسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام فبلغه إليه كما تلقاه من ربه (١) وبلغه الرسول ﷺ لأُمته كما سمعه.

قال الله تبارك وتعالى مخبراً أن القرآن منزل منه: ﴿حَمَّ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ غافر: ١-٢، وقال تبارك وتعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ الزمر: ١، وقال تبارك وتعالى: ﴿تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فصلت: ٢، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿تَنْزِيلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤٢، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ الأنعام: ١١٤، وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ: نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ النحل: ١٠٢.

كما أخبر عز وجل أن الذي نزل بالقرآن على الرسول ﷺ هو جبريل عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ الشعراء: ١٩٣-١٩٤، و قال: ﴿قُلْ: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ البقرة: ٩٧.

وبين سبحانه وتعالى معنى نزول جبريل بالقرآن على قلب الرسول ﷺ، أي: أن الملك يقرأه عليه حتى يسمعه منه بأذنيه ويعيه قلبه ﷺ بعد سماعه، فيواطئ اللسان القلب، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ القيامة: ١٧-١٩ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه: ١١٤.

وتوعده الله تبارك وتعالى من قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ المدثر: ٢٥، بقوله سبحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ المدثر: ٢٦. وحدد بدء إنزال القرآن فقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾

(١) تكلم ابن تيمية رحمه الله عن تلقي جبريل للقرآن من الله تعالى في مجموع الفتاوي ١٢٧/١٢ - ١٢٨، ٥٢٠-٥٢١، ٢٢٤/١٥، وانظر الإتيان (أبوالفضل) ١٢٥/١ - ١٢٨.

(٢) أضواء البيان ٧١/١.

البقرة: ١٨٥، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ الدخان: ٣ (١) وقال عزوجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر: ١.

وبيّن الله تبارك وتعالى أنه أنزل القرآن منجماً مفزاً على رسوله محمد ﷺ وأنه لم ينزل عليه جملة واحدة؛ فقال جل وعز: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ الإسراء: ١٠٦.

وذكر الحكمة من تنجيم القرآن على رسوله ﷺ فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۚ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان: ٣٢-٣٣.

والناظر في القرآن الكريم إذا رأى هذه العناية من الله تبارك وتعالى بموضوع نزول القرآن الكريم يتساءل: ما معنى النزول؟ هل كانت للقرآن تنزلات قبل نزوله على الرسول ﷺ؟ وكيف نزلت الكتب السماوية السابقة؟ وما الحكمة في نزول القرآن منجماً؟ وهل تكرر نزول القرآن على الرسول صلوات ربي وسلامه عليه؟

للإجابة عن هذه الاسئلة نعقد النقاط التالية :

معنى النزول :

إنَّ لفظ: «النزول» الوارد في الآيات السابقة لم يأت فيه نص يحدد معناه؛ فالمرجع في تفسيره: لسان العرب .

والظاهر أن المراد الشرعي لهذه الكلمة «نزول» هو حقيقتها اللغوية؛ لأن بعض النصوص السابقة استعملت المفعول المطلق لفعل النزول، مما يدل على وقوع الفعل حقيقة لا مجازاً (٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ الإسراء: ١٠٦، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ الانسان: ٢٣ . ومادة الفعل [ن ز ل] تدل على هبوط شيء ووقوعه من علو واستعمالات

(١) لأهل العلم في الليلة المقصودة في هذه الآية الكريمة قولان: قال بعضهم : هي ليلة النصف من شعبان وقال آخرون: هي ليلة القدر، ونقل هذا القول عن قتادة وابن زيد ومجاهد والحسن وأبي عبد الرحمن السلمي وأكثر علماء العراق.

وقال أبو بكر الطرطوشي: «وعلى هذا القول (يعني: أنها ليلة القدر) علماء الاسلام» اهـ كتاب «الحوادث والبدع» ص ٢٦٣.

وقد دلل الطرطوشي رحمه الله على صحة هذا القول وقرره أبلغ تقرير في كتابه السابق ص ٢٦٤، ٢٦٦.

(٢) أنظر حول هذه القاعدة «تأويل مشكل القرآن» ص ١١١ الإيتقان (أبو الفضل) ١٩٨/٣ .

هذه المادة تدور حول هذا الأصل (١).

فنزول القرآن هو انتقاله وهبوطه من علو بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام إلى محمد ﷺ (٢).

قال ابن تيمية (٣) (ت ٧٢٨هـ) رحمه الله: «ليس في القرآن ولا في السنة لفظ «نزل» إلا وفيه معنى النزول المعروف، وهذا هو اللائق، فإنه نَزَلَ بلغة العرب ولا تعرف العرب نزولاً إلا بهذا المعنى، ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطاباً بغير لغتها ثم هو استعمال اللفظ المعروف له معنى في معنى آخر بلا بيان، وهذا لا يجوز.

وبهذا يحصل مقصود القرآن واللغة الذي أخبر الله تعالى أنه بيّنه وجعله هدى للناس» اهـ (٤).

قلت : وقال بعض العلماء: إن المراد بـ«نزل القرآن» الإعلام به، وقال: لا يليق إرادة المعنى الحقيقي للنزول في «نزل القرآن» لما يلزم هذا المعنى من المكانية والجسمية، والقرآن ليس جسماً سواء كان المراد به المعنى القديم القائم بذاته تعالى أو الكلمات الحكمية الأزلية أو اللفظ العربي المبين لأن صفاته ومتعلقاتها تنزهه عن الحوادث وأعراض الحوادث، ولأن الألفاظ أعراض سيالة تنقضي بمجرد النطق بها (٥).

قلت : القول في «نزل القرآن» كالقول في سائر الأمور الغيبية، تثبت معانيها الظاهرة، ونفوذ الكيفية لله تعالى (٦).

-
- (١) معجم مقاييس اللغة ٥ / ٤١٧، أساس البلاغة ص ٤٥٢ لسان العرب ١١ / ٦٥٦.
 - (٢) هذا مذهب أهل السنة والجماعة، كما قرره ابن تيمية في رسالة «التبيان في نزول القرآن» ضمن مجموعة «الرسائل الكبرى» ١ / ٢١٣.
 - (٣) خلافاً للجهمية والقدرية في قولهم: معنى نزول القرآن، أ ي: خلق القرآن. «الرد على الجهمية» ص ٩٤-١٠٢، «مقالات الإسلاميين» ص ٢٨٠ «الفرق بين الفرق» ص ٢١٢.
 - (٤) وخلافاً لبعض الكلاية في قولهم: نزول القرآن : الإعلام به و إفهامه للملك أو نزول الملك بما فهم. «مقالات الإسلاميين» ص ٤٨٤-٤٨٥ «مجموع الفتاوى» ١٢ / ٢٤٧.
 - (٥) وانظر حول الموضوع مجموع الفتاوى ١٢ / ١١٨-٢٥٧، ١٥ / ٢٢١ و مختصر الصواعق المرسله ٢ / ٢١٨-٢٢٠، ٢٩٥ وخلاصتهما في شرح الطحاوية ص ١٧٩-٢٠٣.
 - (٦) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية أبو العباس تقي الدين الحراني إمام كبير في التفسير والحديث والفقه والعقائد، (٦٦١-٧٢٨هـ). الأعلام ١ / ١٤٤.
 - (٧) التبيان في نزول القرآن (ضمن مجموع الفتاوى) ١٢ / ٢٥٧.
 - (٨) انظر البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٢٩ مناهل العرفان ١ / ٣٤.
 - (٩) ولذلك لما قال ابن بطال: «المراد بالإنزال إفهام العباد معاني الفروض التي في القرآن، وليس إنزاله كإنزال الأجسام المخلوقة ؛ لأن القرآن ليس بجسم ولا مخلوق»
لما قال ذلك تعقبه ابن حجر في فتح الباري ١٣ / ٤٦٣ بقوله: «الكلام الثاني متفق عليه

تنزيلات القرآن الكريم :

عند التأمل في الآيات السابقة يلاحظ :

أن الآيات التي تحدثت عن نزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ جاءت مطلقة لم يحدد فيها زمن للنزول .

أن الآيات التي تحدثت عن نزول القرآن مطلقا دون ذكر نزوله على الرسول ﷺ جاءت في بعضها مطلقة دون تحديد زمن للنزول وفي بعضها الآخر مقيدة بذكر زمن النزول وهو (شهر رمضان) في (ليلة القدر) وهي (الليلة المباركة)، مما يدل على أن للقرآن حالين في النزول :

الحال الأولي : في نزوله على الرسول ﷺ وهذا النزول لم يحدد بزمن معين في الآيات السابقة لأنه كان ينزل عليه في مدى بضع وعشرين عاماً مفرقاً منجماً .

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن (١) قال : أخبرني عائشة (٢) وابن عباس (٣) رضي الله عنهم قالا : « لبث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشر سنين » (٤) .

بين أهل السنة سلفا وخلفا (يعني: ليس انزال القرآن كانزال الأجسام المخلوقة).
وأما الأول؛ فهو على طريقة أهل التأويل، والمنقول عن السلف إتفاقهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق تلقاه جبريل عن الله و بلغه جبريل إلى محمد عليه الصلاة والسلام وبلغه ﷺ إلى أمته اهـ

(١) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني ، قيل: اسمه عبدالله و قيل: اسمه إسماعيل، ثقة مكثر مات سنة ٩٤ أو ١٠٤ هـ التقريب ص ٦٤٥ .

(٢) عائشة بنت أبي بكر الصديق. أم المؤمنين. ولدت بعد البعثة بأربع سنين أو خمس، وماتت سنة ٥٨ هـ على قول الأكثرين. الإصابة ٣٥٩/٤ .

(٣) عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو العباس ابن عم رسول الله ﷺ حبر هذه الأمة وترجمان القرآن ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ومات سنة ٦٨ هـ الإصابة ٣٣٠/٤ .

(٤) حديث صحيح .

أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل حديث رقم (٤٩٧٨-٤٩٧٩) .

قلت : ويلاحظ أن إقامة الرسول ﷺ بالمدينة عشرا مما لاخلاف فيه، وأما إقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه وهو ابن أربعين عاماً، وتوفي وهو ابن ثلاثة وستين عاماً على الصحيح .

فيحتمل: أن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم حذفوا ما زاد على العشر إختصاراً في الكلام؛ لأن العرب كثيراً ما يحذفون الكسور في كلامهم .

عن ابن عباس « بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين » (١).

الحال الثانية : حال نزول القرآن مقيداً بأنه في شهر رمضان في ليلة مباركة ليلة القدر .

وهذه الحال يحتمل :

أن يكون المقصود منها: حال ابتداء نزول القرآن على رسول الله ﷺ .

ويحتمل : أن يراد بها نزول آخر غير النزول على رسول الله ﷺ .

ويحتمل : أن يراد بها الأمران .

والاحتمال الأخير هو الذي دلت عليه الآثار الواردة ، ومنها مايلي :

(١) عن واثلة بن الأسقع (٢) قال رسول الله ﷺ : « أنزلت صحف

إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل

الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من

رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان» (٣).

ويمكن أن يجمع بغير ذلك . انظر : فضائل القرآن لابن كثير ص ٦ ، فتح الباري

٤/٩ .

قلت : الذي يظهر - والله أعلم - أن عائشة رضي الله عنها ، وابن عباس رضي الله عنهما ، إنما ذكرا زمن نزول القرآن في مكة من غير فترة ، وذلك أن الرسول ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة ، منها ثلاث سنوات لم ينزل عليه فيها قرآن ، فمدة نزول القرآن في مكة عشر سنين ، ومدة مكثه فيها نبياً ثلاث عشرة سنة ، كما في الأثر التالي (في الصلب) عن ابن عباس رضي الله عنهما والله أعلم .

(١) حديث صحيح .

أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه الى المدينة

حديث رقم (٣٩٠٢) .

(٢) واثلة بن الأسقع بن كعب الليثي ، صحابي مشهور نزل الشام وعاش إلى سنة خمس

وثمانين ، وله مئة وخمس سنين . الإصابة ٦٤٣/٣ .

(٣) حديث حسن .

أخرجه أحمد في المسند ١٠٧/٤ وابن جرير في تفسيره (شاکر) ٤٤٦/٣ والبيهقي

في السنن الكبير ١٨٨/٩ وفي الأسماء والصفات ص ٣٠٢ والطبراني في المعجم الكبير

٧٥/٢٢ والأصبهاني في الترغيب والترهيب ٧٣٤/٢ وعزاه السيوطي في الدر المنثور

٤٥٦/١ إلى محمد بن نصر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان وعزاه الألباني في

السلسلة الصحيحة ١٠٤/٤ إلى النعالي في حديثه (٢/١٣١) وعبد الغني المقدسي في

فضائل القرآن (١/٥٣) وابن عساكر (١/١٦٧/٢) .

(٢) عن حسان (١) عن سعيد بن جبير (٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فُصل القرآن من الذكر (وفي رواية: «أنزل القرآن جملة») فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا، فجعل جبريل عليه الصلاة والسلام ينزله على النبي ﷺ ويرتله ترتيلاً» (٣).

(٣) عن منصور (٤) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر : ١] قال: «أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا فكان بموقع النجوم، فكان الله ينزله على

وحسنّ الالباني إسناده في الصحيحة حديث رقم (١٥٧٥) .

فائدة : في الحديث جواز أن يقال في تأريخ ما بعد نصف الشهر : لثمان عشرة خلت ولأربع وعشرين خلت خلافا لابن درستويه في كتابه «الكتاب» ص ١٣٦ حيث زعم أن هذا خلاف تأريخ العرب و ذلك في قوله : «... ثم تكتب ما بعد النصف على قياس ما قبل النصف إلا أنك تؤرخ بما بقي من الشهر دون ما مضى فتكتب لأربع عشرة ليلة بقيت ولثلاث عشرة ليلة بقيت ولأربعة عشر يوما حتى تنتهي الى آخر يوم في الشهر، وهكذا تأريخ العرب أبدا يذكرون الأقل من زيادة الشهر ونقصانه».

(١) الحديث مروي من طريق حسان بن أبي الأشرس، وحسان بن حريث كما سيأتي التنبيه عليه - إن شاء الله - .

أما حسان بن حريث فهو أبو السوار العدوي البصري، اختلف في اسمه، ثقة التقريب ص ٦٤٦ .

أما حسان بن أبي الأشرس فهو منذر بن عمار الكاهلي مولا هم أبو الأشرس والد حبيب صدوق التقريب ص ١٧٥ .

(٢) سعيد بن جبير الأسدي مولا هم الكوفي، ثقة ثبت فقيه، قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين، ولم يكمل الخمسين التقريب ص ٢٣٤ .

(٣) إسناده صحيح .

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٣٣/١٠ والطبري في تفسيره (شاکر) ٤٤٥/٣ ، والحاكم في المستدرک ٢٢٣،٦١١/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٠٣ والطبراني في المعجم الكبير ٣٢/١٢ .

وصححه الزركشي في «البرهان في علوم القرآن» ٢٢٩/١ . وعزى السيوطي في الدر المنثور ٤٥٧/١ الأثر للفريابي ومحمد بن نصر وابن مردويه والضياء في المختارة .

تفنييه (أ) : وقع عند الطبراني: «حسان أبو الأشرس» وهو تصحيف والصواب «حسان ابن أبي الأشرس» .

تفنييه (ب) : «حسان» في الرواية هو ابن حريث كما صرح باسمه في رواية الحاكم والبيهقي، لكن جاء في رواية ابن أبي شيبة والطبري والطبراني التصريح بأنه «حسان ابن أبي الأشرس» وعليه يكون الحديث مروياً من طريقيهما .

(٤) منصور بن المعتمر بن عبدالله السلمى أبو عتاب بمثناة ثقيلة ثم موحدة ، الكوفي ، ثقة ثبت مات سنة ١٣٢ هـ التقريب ص ٥٤٧ .

رسوله بعضه في أثر بعض ثم قرأ : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان : ٣٢] «(١)» .

(٤) عن داود بن أبي هند (٢) عن عكرمة (٣) عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: «أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فكان الله إذا أراد أن يوحى منه شيئا أوحاه أو أن يحدث منه في الأرض شيئا أحدثه» (٤) .

(٥) عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال: «أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، وكان الله إذا أراد أن يوحى منه شيئا أوحاه فهو قوله : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر : ١] وكان بين أوله وآخره عشرون سنة» (٥) .

(١) إسناده صحيح .

أخرجه ابن الضريس في « فضائل القرآن » ص ١٢٥-١٢٦ وأخرجه النسائي في التفسير ص ٢٧٤ رقم (٧٠١) والطبري في تفسيره (بولاق) ١٦٦/٣٠ و ١٦٧ وفي إسناده محمد بن حميد ضعيف كما في التقريب ص ٤٧٥ لكن تابعه اسحاق بن راهويه عند الحاكم في المستدرک ٣٠/٢هـ والبيهقي في دلائل النبوة ٣١/٧ وتابعه محمد بن قدامة عند النسائي في التفسير، وتابعه ابوبكر وعثمان ابنا أبي شيبة عند الحاكم في المستدرک ٢٢٢/٢ والبيهقي في الاسماء والصفات ص ٣٠٣ .

وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وصححه السيوطي في «اللاتقان» (أبوالفضل) ١١٧/١ والأرنؤوط في تحقيقه لزاد المعاد ٧٨/١ .

(٢) داود بن أبي هند القشيري مولاهم، ابوبكر أو ابومحمد ثقة متقن كان يهتم بأخرة ، مات سنة أربعين ومئة وقيل قبلها . التقريب ص ٢٠٠ .

(٣) عكرمة أبو عبدالله مولى ابن عباس، أصله بربري ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا تثبت عليه بدعة مات سنة ١٠٤ هـ وقيل بعد ذلك . التقريب ص ٣٩٧ .

(٤) إسناده صحيح .

أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» ص ١٢٥ بنحوه والنسائي في «فضائل القرآن» ص ٢٧ والطبري في تفسيره (شاکر) ٤٤٧/٣ (بولاق) ١٦٦/٣٠ بسند صحيح وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢٢٢/٢ وأخرجه البيهقي في الاسماء والصفات ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه السيوطي في «اللاتقان» (أبوالفضل) ١١٧/١ .

(٥) إسناده صحيح .

أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» ص ٢١ بنحوه والطبري في تفسيره (شاکر) ٤٤٦-٤٤٧ (بولاق) ١٦٦/٣٠ بإسنادين في أحدهما عبد الوهاب الثقفي ثقة اختلط قبل موته بثلاث سنين كما في التقريب ص ٣٦٨ وتابعه ابن أبي عدي في الاسناد الآخر وهو ثقة كما في التقريب ص ٤٦٥ و ثقاه أبوحاتم والنسائي كما في خلاصة تهذيب الكمال ص ٣٢٤ فإسناده صحيح .

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣١٢/١١ بنحوه بإسناد حسن فيه عمران القطان

(٦) عن حكيم بن جبير (١) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «نزل القرآن في ليلة من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرق في السنين .

وتلا ابن عباس هذه الآية : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة : ٧٥-٧٦] قال : نزل مفرقاً (٢) .

(٧) عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: «أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث الله لهم جواباً: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان : ٣٣] ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء : ١٠٦] (٣) .

صدوق يهم كما في التقريب ص ٢٩٤ ؛ وبقيّة رجاله ثقات كما قال في مجمع الزوائد ١٤٠/٧ ورواه في الأوسط أيضاً كما قال محقق المعجم الكبير .
(١) حكيم بن جبير الأسدي ، وقيل : مولى ثقيف ، الكوفي ضعيف رمي بالتشيع . التقريب ص ١٧٦ .

(٢) ضعيف بهذا السياق .

أخرجه الطبري (شاکر) ٤٤٧/٣ (بولاقي) ١١٧/٢٧ ، ١١٦/٣٠ والحاكم في المستدرک ٣٠/٢ وفي السند حکيم بن جبير ضعيف كما في التقريب ص ١٧٦ و قال في مجمع الزوائد ١٢٠/٧ : «وفيه حکيم بن جبير وهو متروک» .

و تساهل الحاكم فصحه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .
قلت : لكن الآثار السابقة واللاحقة تشهد للمتن فترقيه إلى مرتبة الحسن لغيره الا قوله : «وتلا ابن عباس هذه الآية... الخ» فانه لم يرد في الآثار ما يشهد له ، بل هو مخالف لما صح في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس نفسه : أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنؤ حديث رقم (٧٣) بسنده عن ابن عباس قال : «مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : «أصبح من الناس شاکر ومنهم کافر قالوا : هذه رحمة الله وقال بعضهم : لقد صدق نوءٌ کذا وكذا» قال [أي : ابن عباس] : فنزلت هذه الآية : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ حتى بلغ : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة : ٧٥-٨٢] .

تنبيهه : وقع عند الطبري في تفسيره (بولاقي) ١٦٦/٣٠ : «عن حکيم بن جبير عن ابن عباس ... بدون ذکر سعيد بن جبير ولعله سقط من الناسخ أو الطابع والله أعلم .
(٣) إسناده صحيح .

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٥٣٣/١٠ والنسائي في «فضائل القرآن» ص ٢٧ وفي التفسير ص ١٥٦ رقم (٣٩٠) وأبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» ص ٣٤٣ رقم (٨٠٣) والحاكم في المستدرک ٢٢٢/٢ والبيهقي في دلائل النبوة ١٣١-١٣٢ وفي الاسماء والصفات ص ٣٠٣ .

وصحه الحاكم ووافقه الذهبي وابن كثير في «فضائل القرآن» ص ٦ والسيوطي في الإتيان (أبو الفضل) ١١٧/١ وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم ، والزيادة له .

(٨) عن عكرمة قال : «إنَّ القرآن نزل جميعا فوضع بمواقع النجوم فجعل جبريل يأتي بالسورة، وإنما نزل جميعا في ليلة القدر»(١).

(٩) عن سعيد بن جبير قال : «نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر في شهر رمضان في سماء الدنيا»(٢).

(١٠) عن الشعبي(٣) قال: «بلغنا: أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا»(٤).

قلت : فهذه الآثار(٥) تبين أن نزول القرآن إلى بيت العزة إنما كان في شهر رمضان في ليلة القدر وحديث واثلة بن الأسقع يبين أن نزول القرآن على رسول الله ﷺ إنما كان لأربع وعشرين ليلة خلت من رمضان.

-
- (١) إسناده صحيح .
- أخرجه الطبري في تفسيره (بلاق) ١١٧/٢٧ .
- (٢) إسناده حسن .
- أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» ص ١٢٦ والطبري في تفسيره (شاكر) ٤٤٥/٣ .
- فائدة : روى الطبري في تفسيره (بلاق) ١٦٦/٣٠ : «عن سعيد بن جبير: «أنزل القرآن جملة واحدة ثم أنزل ربنا في ليلة القدر فيها يفرق كل أمر حكيم» .
- قلت : وفيه مهران ابن أبي عمر العطار، قال العقيلي في «الضعفاء» ٢٢٩/٤ : «روى عن الثوري أحاديث لا يتابع عليها»
- قلت : روايته هنا عن الثوري، وفي السند محمد بن حميد ضعيف كما في التقريب ص ٤٧٥ لكن يشهد له الآثار السابقة .
- (٣) عامر بن شراحيل الشعبي، بفتح المعجمة ابو عمرو ثقة مشهور فقيه فاضل، مات بعد المئة، وله ثمانون سنة . التقريب ص ٢٨٧ .
- (٤) إسناده صحيح .
- أخرجه الطبري في تفسيره (بلاق) ١٦٦/٣٠ .
- فائدة : روى الطبري في تفسيره (بلاق) ١٦٦/٣٠ عن الشعبي في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر: ١، قال: «نزل أول القرآن في ليلة القدر»
- قلت : وفيه عمران أبو العوام صدوق يهيم كما في «التقريب» ص ٤٢٩، وعمرو ابن عاصم الكلابي صدوق في حفظه شيء كما في «التقريب» ص ٤٢٣، لكن يشهد له الآثار السابقة
- (٥) وهي - وإن كان أغلبها عن ابن عباس - فإنها مما لا مجال للرأي فيه فلها حكم المرفوع كما نص على ذلك علماء المصطلح (انظر تدريب الراوي ١/١٢٩) و يؤكد هذا أن هذه الآثار لا علاقة لها بالإسرائيليات لأنها تتعلق بنزول القرآن العظيم، و لا مدخل للإسرائيليات فيه، و ما كان ابن عباس ممن يتلقاها - كما قال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لمسند أحمد ٧٨٧/٥ - بل ثبت عنه رضي الله عنه التفسير عن أحاديث أهل الكتاب أخرجه البخاري في كتاب الشهادات باب لايسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها تحت رقم (٢٦٨٥)، زد على هذا لايعلم له مخالف من الصحابة والتابعين والله أعلم .

قال علم الدين السخاوي^(١) معقبا على حديث واثلة: «فهذا الإنزال يريد به ﷺ أول نزول القرآن عليه، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] يشمل الإنزالين.» اهـ^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني^(٣) بعد إيراد حديث واثلة وأثر ابن عباس: « هذا كله مطابق لقوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ولقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] فيحتمل أن تكون ليلة القدر في تلك السنة كانت تلك الليلة، فأنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا ثم أنزل في اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض أول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. اهـ^(٤).

قلت : ويعلم مما تقدم أن للقرآن نزولين .

وقد أخبر تبارك وتعالى أن للقرآن وجودا في اللوح المحفوظ، في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ البروج: ٢١-٢٢ وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الواقعة ٧٧-٧٩ وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ فِي صَحْفٍ مُكْرَمٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كَرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ عبس: ١١-١٦ وقوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ الزخرف: ٤.

وعليه ؛ يكون للقرآن بعد إثباته في اللوح المحفوظ: وجود و نزولان (٥) :
وجود في اللوح المحفوظ .

ونزول في رمضان إلى بيت العزة في سماء الدنيا، جملة واحدة .
ونزول إلى الرسول ﷺ منجما مفرقا .

(١) علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري السخاوي الشافعي، أبو الحسن علم الدين عالم بالقراءات والأصول والتفسير واللغة (٥٥٨-٦٤٣هـ). الأعلام ٣٣٢/٤.

(٢) جمال القراء ٢٢/١-٢٣.

(٣) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، من أئمة الحديث والتاريخ، صاحب «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٧٧٣-٨٥٢هـ). البدر الطالع ٨٧/١ الأعلام ١٧٨/١.

(٤) فتح الباري ٥/٩.

(٥) ونفى القرطبي الخلاف في ذلك. تفسير القرطبي ٢٩٧/٢.

نزول الكتب السماوية السابقة :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ الفرقان: ٣٢، يدل على أن الكتب السابقة كانت تنزل جملة واحدة إذ أن سكوته تبارك وتعالى عن الرد على المشركين في قولهم الذي حكاه عنهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ وعدوله سبحانه وتعالى إلى بيان حكمة نزوله مفرقا منجما دليل على صحة ما بلغهم من خبر الكتب السابقة؛ إذ [كل حكاية وقعت في القرآن فلا يخلو أن يقع قبلها أو بعدها - وهو الأكثر - رد لها، فإن وقع رد فلا إشكال في بطلان ذلك المحكي وكذبه، وإن لم يقع معها رد فذلك دليل صحة المحكي وصدقه؛ لأن القرآن سُمِّيَ: قُرْآنًا، و هُدًى، و بُرْهَانًا، و بَيَانًا، و تَبْيَانًا، لكل شيء، و هو حجة الله على الخلق على الجملة والتفصيل والاطلاق والعموم، وهذا المعنى يأبى أن يُحْكَى فيه مالمس بحق، ثم لا ينبئ عليه] (١).

ويقرر السيوطي (٢) وجه دلالة الآية على نزول الكتب السماوية السابقة جملة واحدة بقوله: «ولو كانت الكتب كلها نزلت مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن يقول: إن ذلك سنة في الكتب التي أنزلها على الرسل السابقة كما أجاب بمثل ذلك قولهم: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (٣) [الفرقان: ٢٠]. وقولهم: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الاسراء: ٩٤]. فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩]. وقولهم: كيف يكون رسولا ولا هم له إلا النساء؟ (٤). فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨] إلى غير ذلك «.

وقال رحمه الله : «ومن الأدلة على ذلك أيضا (أي: على نزول الكتب السماوية السابقة جملة) قوله تعالى في إنزال التوراة على موسى يوم

(١) من كلام الشاطبي في «الموافقات» ٣٥٢/٣-٣٥٤ باختصار.

(٢) عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير السيوطي جلال الدين، محدث مؤرخ اديب مصنف متفطن (٨٤٩-٩١١هـ). الأعلام ٣٠٢/٣.

(٣) حذفت هذه الآية من الإتيقان (أبو الفضل) ١٢٢/١ وهي موجودة في الإتيقان (الحلي) ١/٦٥ والسياق يدل عليها.

(٤) انظر زاد المسير ٣٣٦/٤.

الصعقة: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْنَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ، فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف : ١٤٤-١٤٥] ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ﴾ [الأعراف : ١٥٠] ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأعراف : ١٥٤] ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٧١].
فهذه الآيات كلها دالة على إتيانه التوراة جملة «اهـ» (١).

وقد خالف بعضهم في ذلك، فقال: لا دليل على نزول الكتب السماوية السابقة جملة، بل الصواب أنها نزلت مفرقة كالقرآن (٢).

ومن أدلة هذا القول، أن الله تبارك وتعالى، ذكر بني إسرائيل بأمور حدثت لأجدادهم، هم يعرفونها، ذكر فيها المخالفات التي وقعت منهم، وذكر العقوبة التي حصلت بعد وقوع المخالفة بزمان، وعلمهم بهذا الأمر الأصل فيه أن يكون بكتاب منزل، ومن هذه الأمور، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى يَأْقُومُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ، فَتَوْبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ، فَاقْتُلُوا... الآية﴾ البقرة: ٥٤، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ البقرة: ٥٥-٥٦.

الحكمة من إنزال القرآن إلى سماء الدنيا :

تعرض أهل العلم لبيان الحكمة من إنزال القرآن إلى سماء الدنيا جملة واحدة، فمن ذلك :

(١) الإتيان (أبوالفضل) ١/١٢٢-١٢٣.

(٢) الاتقان (أبوالفضل) ١/١٢٢، حيث قال: «وقد رأيت بعض فضلاء العصر أنكر ذلك وقال: إنه لا دليل عليه، بل الصواب أنها نزلت مفرقة كالقرآن» اهـ كلام السيوطي .

قلت : لعله أراد عصريه الشيخ: البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، فقد ذكر في تفسيره عند آية سورة الفرقان ذلك، وممن نقل عنه ذلك أيضا الشيخ: أحمد بن سليمان بن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ)، حيث نُقِلَ عنه القول بأن التوراة أنزلت منجمة في ثماني عشرة سنة واستدل عليه بنصوص التوراة.

نقله عنه في روح المعاني ١٩/١٥ وقارن بحاشية الشهاب على البيضاوي ٦/٤٢١.

قلت : يلاحظ أن السيوطي نقل نصوصاً عن السلف في أن التوراة نزلت جملة واحدة وذلك في الإتيان (أبوالفضل) ١/١٢٣ وصححها.

قول الرازي (١) : «إن القرآن أنزل في ليلة القدر جملة إلى سماء الدنيا ثم نزل إلى الأرض نجوماً وإنمّا جَرَتْ الحال على هذا الوجه؛ لما علمه الله تعالى من المصلحة على هذا الوجه؛ فإنه لا يبعد أن يكون للملائكة الذين هم سكان سماء الدنيا مصلحة في إنزال ذلك إليهم، أو كان في المعلوم أن في ذلك مصلحة للرسول عليه الصلاة والسلام في توقع الوحي من أقرب الجهات أو كان فيه مصلحة لجبريل عليه السلام؛ لأنه كان هو المأمور بإنزاله وتأديته» اهـ (٢).

وقول السخاوي (ت ٦٤٣هـ): « فإن قيل: ما في إنزاله جملة إلى سماء الدنيا؟ قلت : في ذلك تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة و تعريفهم عناية الله عزوجل بهم و رحمته لهم ولهذا المعنى أمر سبعين ألفاً من الملائكة لما أنزل سورة الأنعام أن تَرْقُهَا (٣).

- (١) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري أبو عبدالله ، فخر الدين الرازي مفسر أصولي من أئمة المعقول وعلوم الأوائل (٥٤٤-٦٠٦هـ). . الأعلام ٦/٣١٣.
- (٢) التفسير الكبير ٨٥/٥. وقوله: «وكان فيه مصلحة...» يعقب عليه بأن المصلحة واردة لا محالة، ولكن لا ندرك وجهها إلا بدليل، وما قاله الرازي أورده احتمالاً فلا ينهض دليلاً.
- (٣) حديث ضعيف .

أخرجه الطبراني في الصغير ٨١/١ عن ابن عمر مرفوعاً .
قال في مجمع الزوائد ٢٠/٧: «وفيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف» اهـ
قلت : بل متروك كما قال في التقريب ص ٦١١ .
وأخرجه أبو الشيخ عن أبي بن كعب مرفوعاً كما في الإتيان (أبوالفضل) ١٠٨/١ ولم أقف على سنده . وأخرجه البيهقي في الشعب والطبراني عن أنس .
قال في مجمع الزوائد ٢٠/٧: «رواه الطبراني عن شيخه محمد بن عبدالله بن عرس عن أحمد بن محمد بن أبي بكر السالمي، ولم أعرفهما، وبقيّة رجاله ثقات» اهـ
قلت : الحديث عن أنس أورده أبو جعفر النحاس بسنده في معاني القرآن ٣٩٧/٢ وأورده القرطبي في «التذكار» ص ١٨٨ بإسناد النحاس وفي السند أحمد بن محمد بن أبي بكر المذكور آنفاً وضعفه السيوطي في الاتقان (أبوالفضل) ١٠٩/١ .
وأخرجه الحاكم في المستدرک ٣١٥/٢ والبيهقي عن جابر كما في الاتقان (أبوالفضل) ١٠٩/١ وصححه الحاكم على شرط مسلم وتعقبه الذهبي بأن فيه انقطاعاً وقال: «وأظن هذا موضوعاً» اهـ

قلت : وقد قرأت في تحقيق «معاني القرآن» للنحاس ٣٩٧/٢ تصحيحاً لهذا الحديث بنقل كلام الحاكم وترك كلام الذهبي ولذلك لزم التنويه .
وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١٧٢ رقم (٤٤٤) وابن الضريس في فضائل القرآن ص ١٥٧ عن ابن عباس موقوفاً عليه وفي السند علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران، والأول ضعيف كما في التقريب ص ٤٠١، والثاني لين الحديث ولم يرو عنه إلا

وفيه أيضا : إعلام عباده من الملائكة وغيرهم أنه علام الغيوب لايعزب عنه شيء إذ كان في هذا الكتاب العزيز ذكر الأشياء قبل وقوعها .

وفيه أيضا : التسوية بينه وبين موسى عليه السلام في إنزال كتابه جملة والتفضيل لمحمد ﷺ في إنزاله عليه منجماً ليحفظه ، قال الله عزوجل : ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان : ٣٢] وقال عزوجل ﴿سَنُقَرِّكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى : ٦] .

وفيه أيضا: أن جناب العزة عظيم ، ففي إنزاله جملة واحدة وإنزال الملائكة له مفرقا بحسب الوقائع ما يوقع في النفوس تعظيم شأن الربوبية اهـ(١) .

وقول أبي شامة(٢): «فإن قلت : ما السر في إنزاله جملة إلى السماء الدنيا؟»

قلت : فيه تفخيم لأمره وأمر من أنزل عليه؛ وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا القرآن آخر الكتب، المنزل على خاتم الرسل، لأشرف الأمم قد قربناه إليهم لننزله عليهم، ولولا أن الحكمة الالهية اقتضت وصوله إليهم منجما بحسب الوقائع [لهبط به] (٣) إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله تعالى باين بينه و بينها فجمع له الأمرين إنزاله جملة ثم

علي بن زيد هذا كما في التقريب ص ٦١٢ .

وقع في فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٧٢ رقم (٤٤٤) «يونس بن يوسف بن مهران» وهو خطأ ، لعله تحريف أو تصحيف من الناسخ، وقد كرره ص ٣٤٠ رقم (٧٩٧) على الصواب .

ثم رأيت في «فضائل القرآن» لأبي عبيد (طبعة دار الكتب العلمية) ص ١٢٩ ، على الصواب .

وقال السيوطي في الإتيان (أبوالفضل) ١/١٠٧ : «أخرجه البيهقي في الشعب بسند فيه من لايعرف عن علي» اهـ

قلت : أخرجه عنه الخطيب في تاريخ بغداد ٧/٢٧١ وحكم بوضعه عنه في الميزان ١/٣٠٨ وفي لسان الميزان ٢/١٣ .

(١) جمال القراء ١/٢٠-٢١ .

(٢) عبدالرحمن بن إسماعيل بن ابراهيم المقدسي الدمشقي، ابوالقاسم شهاب الدين، أبوشامة، مقرئ، مفسر، مؤرخ(٥٩٩-٦٦٥) . غاية النهاية ١/٣٦٥ الأعلام ٣/٢٩٩ .

(٣) في المطبوعة من «المرشد الوجيز» ص ٢٤ : [لم نهبط به] وهي لا تتفق مع السياق، وأشار المحقق في الفروق بين النسخ التي اعتمد عليها ص ٦١٢ أنها في نسخة: [لهبط] فاثبتها، لأنها تتفق مع السياق، ثم رأيت السيوطي نقل في الاتقان (أبوالفضل) ١/١١٩ كلام أبي شامة وأثبت اللفظ كما أثبتته .

إنزاله مفرقاً .

وهذا من جملة ما شرف به نبينا ﷺ «اهـ(١) .

قلت : وحاصل ما ذكره أهل العلم في النقول السابقة في الحكمة من إنزال القرآن جملة إلى سماء الدنيا :

- تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة .

- التسوية بين رسولنا عليه الصلاة والسلام وبين سائر الرسل عليهم صلوات الله وسلامه في إنزال كتابه جملة والتفضيل له ﷺ في إنزاله عليه منجماً مفرقاً؛ فيكون فيه مزيد اعتناء وكبير شرف له ﷺ حيث كان يأتيه الوحي في كل وقت .

- تفخيم وتعظيم أمر القرآن الكريم والله أعلم .

الحكمة من نزول القرآن منجماً على رسول الله ﷺ :

بين الله تبارك وتعالى الحكمة في نزول القرآن منجماً مفرقاً على رسوله ﷺ حيث قال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ۚ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان: ٣٢-٣٣ .

وقد بسط أهل العلم القول في ذلك(٢) ولهم فصول طويلة الذيل في تعداد الحكم من تنجيم القرآن على رسوله ﷺ ومن هؤلاء : الرازي (ت ٦٠٦هـ) حيث قال في تفسيره ذاكرًا و جوه الحكم في ذلك:

«أحدها : أنه عليه السلام لم يكن من أهل القراءة والكتابة فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة كان لا يضبطه ولجاز عليه الغلط والسهو، وإنما نزلت التوراة جملة لأنها مكتوبة يقرأها موسى عليه الصلاة والسلام .

وثانيها : أن مَنْ كان الكتاب عنده فربما اعتمد على الكتاب وتساهل في الحفظ فالله تعالى ما أعطاه الكتاب رفعة واحدة بل كان ينزل عليه وظيفة ليكون حفظه له أكمل، فيكون أبعد له عن المساهلة وقلة التحصيل .

وثالثها : أنه تعالى لو أنزل الكتاب جملة واحدة على الخلق لنزلت

(١) المرشد الوجيز ص ٢٤-٢٥ .

(٢) وأخص المتأخرين، أنظر مثلاً: مناهل العرفان ١/٤٦-٥٥ المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٦٩-٨٣ مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ٤٩-٦٢ مباحث في علوم القرآن للقطان ص ١٠٧-١١٦ .

الشرائع بأسرها دفعة واحدة على الخلق فكان يثقل عليهم ذلك، أما لما نزل مفرقا منجما لاجرم نزلت التكاليف قليلا قليلا فكان تحملها أسهل.

ورابعها : أنه إذا شاهد جبريل حالاً بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته فكان أقوى على أداء ما حمل، وعلى الصبر على عوارض النبوة و على احتماله أذية قومه وعلى الجهاد.

وخامسها : أنه لما تم شرط الإعجاز فيه مع كونه منجما ثبت كونه معجزا، فانه لو كان ذلك في مقدور البشر لوجب أن يأتوا بمثله منجما مفرقا. وسادسها : كان القرآن ينزل بحسب أسئلتهم و الوقائع الواقعة لهم فكانوا يَرْدَادُونَ بصيرة؛ لأن بسبب ذلك كان ينضم إلى الفصاحة الإخبار عن الغيوب.

وسابعها : أن القرآن لما نَزَلَ مُنْجَمًا مُفَرَّقًا وهو عليه الصلاة والسلام كان يتحداهم من أول الأمر فكأنه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن فلما عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكل أولى، فبهذه الطريق ثبت في فوائده أن القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة.

وثامنها : أن السفارة بين الله تعالى وبين أنبيائه وتبليغ كلامه إلى الخلق منصب عظيم فيحتمل أن يقال: أنه تعالى لو أنزل القرآن على محمد ﷺ دفعة واحدة لبطل ذلك المنصب على جبريل عليه السلام فلما أنزله مفرقا منجما بقي ذلك المنصب العالي عليه.

فلأجل ذلك جعله الله سبحانه وتعالى مفرقا منجما اهـ(١).

وممن تكلم عن حكمة تنجيم القرآن الحافظ عماد الدين ابن كثير(٢) (ت٧٧٤هـ) حيث قال رحمه الله:

«وما هذا إلا اعتناء وكبير شرف للرسول ﷺ حيث كان يأتيه الوحي من الله عزوجل بالقرآن صباحا ومساء وليلا ونهارا، سفرا وحضرا، وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن لا كانزال الكتاب مما قبله من الكتب المتقدمة فهذا المقام أعلى وأجل وأعظم مكانة من سائر إخوانه الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(١) التفسير الكبير ٧٩/٢٤. والوجه الأخير في كلامه فيه نظر، إن مجال وظائف جبريل ﷺ توقيفي. ثم هل بقي جبريل ﷺ بلا وظيفة بعد نزول القرآن كاملا؟.

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبوالفداء عماد الدين، مفسر، محدث، مؤرخ، فقيه (٧٠١-٧٧٤هـ). البدرالطالع ١٥٣/١ الأعلام ٣٢٠/١.

فالقُرآن أشرف كتاب أنزله الله، ومحمد ﷺ أعظم نبي أرسله الله تعالى، وقد جمع الله للقُرآن الصفتين معاً، ففي المَلَأ الأعلى أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزل بعد ذلك الى الأرض منجماً بحسب الوقائع والحوادث» اهـ (١).

تكرار نزول القرآن :

ذهب بعضهم إلى إنكار كون شيء من القرآن يتكرر نزوله، وعلل ذلك بما يأتي:

- بأنه تحصيل حاصل، وهذا لا فائدة فيه .
- وبأنه يحتمل أن الصحابي الذي سمع الآية تتلى أمامه من الرسول ﷺ لم يسمعها قبل ذلك فظنها نزلت في وقت سماعه لها ولم يعلم أنها نزلت قبل.
- قال القطان (٢) حفظه الله معقبا على القول بتكرار النزول عند عدم إمكان الجمع بين الروايات بتعدد سبب النزول، لتباعد الزمن بين الروايات الواردة في ذلك: «لا أرى لهذا الرأي وجهاً مستساغاً؛ حيث لا تتضح الحكمة من تكرار النزول وإنما أرى أن الروايات المتعددة في سبب النزول ولا يمكن الجمع بينها؛ يتأتى فيها الترجيح» اهـ (٣).
- قال الدهلوي (٤) «قد يقررون حادثة في ذلك الباب (يعني: الصحابة) ويقولون: نزلت في كذا، وربما يقولون في هذه الصورة: فأنزل الله قوله كذا، فكأنه إشارة إلى أنه استنباطه ﷺ وإلقاؤها في تلك الساعة بخاطره المبارك أيضاً نوع من الوحي والنفث في الروح فلذلك يمكن أن يقال: فانزلت، ويمكن أيضاً أن يعبر في هذه الصورة بتكرار النزول» اهـ (٥).
- قلت : تلاحظ الأمور التالية :

- يبدو أن سبب الخلاف ظن بعض أهل العلم أن النزول الثاني هو نزول ابتدائي جديد يجعل للآية موضعاً جديداً في السورة؛ وليس كذلك

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣١٨.

(٢) مناع خليل القطان، عني بالتأليف في علوم القرآن وتاريخ التشريع (معاصر).

(٣) مباحث في علوم القرآن (للقطان) ص ٩١.

(٤) أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» مصلح مجتهد مجدد (ت ١١١٤-١١٧٦هـ). رجال الفكر والدعوة في الاسلام ج ٤؛ الامام الدهلوي.

(٥) الفوز الكبير في أصول التفسير ص ٢٢.

وإنما غالب ما قيل فيه بتكرار النزول هو من قبيل التذكير بما سبق نزوله.
- القول بأن تكرار النزول لا فائدة فيه مردود؛ لأن العلماء رحمهم الله نصوا على بعض فوائده، من ذلك :

قول ابن الحصار (١) رحمه الله: «قد يتكرر نزول الآية تذكيراً وموعظة» اهـ (٢).

قول علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ) بعد حكاية القول بنزول الفاتحة مرتين: «إن قيل: فما فائدة نزولها مرة ثانية؟»

قلت: يجوز أن يكون نزلت أول مرة على حرف واحد، ونزلت الثانية ببقية وجوهها نحو ﴿مَلِكٍ﴾ و﴿مَالِكٍ﴾ و﴿السَّرَاطِ﴾ و﴿الصَّرَاطِ﴾ و نحو ذلك» اهـ (٣).

قول ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ) رحمه الله في معرض كلامه عن المنقول عن الصحابة في أسباب نزول القرآن: «وإذا ذُكر أحدهم لها سببا نزلت لأجله (يعني: الآية) وذكر الآخر سببا، فقد يمكن صدقهما بأن تكون نزلت عقب تلك الأسباب أو تكون نزلت مرتين مرة لهذا السبب، ومرة لهذا السبب» اهـ (٤).

قول الزركشي (٥) (ت ٧٩٤هـ) رحمه الله: «قد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه... والحكمة في هذا كله : أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها، فتؤدي تلك الآية بعينها إلى النبي ﷺ تذكيراً لهم بها، وبأنها تتضمن هذه.

والعالم قد يحدث له حوادث، فيتذكر أحاديث وآيات تتضمن الحكم في تلك الواقعة وإن لم تكن خطرت له تلك الحادثة قبل مع حفظه للنص» اهـ (٦).
قلت : القول باحتمال أن الصحابي الذي سمع الآية تتلى أمامه... الخ،

(١) علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى الخزرجي أبو الحسن الحصار، فقيه أصولي اشبيلي الأصل منشأه بمصر (ت ٦١١هـ). الاعلام ٣٣٠/٤.

(٢) انظر الإتيان (أبوالفضل) ١٠٢/١.

(٣) جمال القراءة ١٠٢/١.

(٤) مقدمة في أصول التفسير ص ٩٤، مجموع الفتاوى ٣٤٠/١٣.

(٥) محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، أبو عبدالله، بدرالدين، عالم بفقهِ الشافعية، والأصول، صاحب «البرهان في علوم القرآن» (٧٤٥-٧٩٤هـ). الدرر الكامنة ٣/٣٩٧.

(٦) البرهان في علوم القرآن ٢٩/١-٣٠ باختصار.

إحتمال وارد لكنه خلاف الأصل؛ إذ الأصل أنَّ الصحابي يتكلم بما يعلم، خاصة في أمر القرآن العظيم؛ فهو حين يقول: حَدَّثَ كَذَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ كَذَا، الظاهر أنه يريد الاخبار بنزول الآية حينذاك، ولا يصر إلى خلاف الظاهر إلا بدليل، خاصة أن الجمع بين النصوص ممكن بالقول بتكرار النزول، ولا مانع منه كما سيأتي التدليل عليه قريبا - إن شاء الله -.

والقول بالترجيح مع إمكان الجمع خلاف القاعدة في الاختلاف من أنه: لا يصر إلى الترجيح مع إمكان الجمع (١).

وقد ورد ما يدل على وقوع تكرار نزول القرآن، وهو قوله ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف» (٢).

ووجه الدلالة في الحديث : أن نزول القرآن على سبعة أحرف لم يكن من أول وهلة، بل الظاهر أنه نزل أولاً بلسان قريش كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه للرهط القرشيين الثلاثة حين أمرهم أن يكتبوا المصاحف: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت (٣) في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإئما نزل بلسانهم» (٤).

قال أبوشامة (ت ٦٦٥هـ) : «يعني : أول نزوله قبل الرخصة في قراءته على سبعة أحرف» اهـ (٥).

وتكملة هذا الاستدلال كما قال الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) : «أن يقال: إنه نزل أولاً بلسان قريش أحد الأحرف السبعة ثم نزل بالأحرف السبعة المأذون في قراءتها تسهيلا وتيسيرا فلما جمع عثمان (٦) الناس على حرف

(١) نص عليها ابن حجر في مواضع من فتح الباري ، انظر توجيه القاري ص ١٣١ مختلف الحديث وموقف النقاد منه ص ٣٧٣-٣٧٦.

(٢) حديث متواتر. نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ١١١، حيث رواه بضع وعشرين صحابيا.

(٣) زيد بن ثابت بن الضحاك بن لوزان الأنصاري النجاري أبوسعيد وأبوخارجة، صحابي مشهور، كتب الوحي، قال مسروق: كان من الراسخين في العلم، مات سنة خمس أو ثمان وأربعين وقيل: بعد الخمسين. الإصابة ٥٦١/١.

(٤) إسناده صحيح .

أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن تحت رقم (٤٩٨٧).
(٥) المرشد الوجيز ص ٩٢.

(٦) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي أمير المؤمنين، ذوالنورين، أحد السابقين الأولين، والخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة، أستشهد في سنة ٣٥هـ. الإصابة ٤٦٢/٢.

واحد رأى أن الحرف الذي نزل القرآن أولا بلسانه أولى الأحرف فحمل الناس عليه لكونه لسان النبي ﷺ؛ لما له من الأولوية المذكورة» (١).
 وقال ابن حجر أيضا في التذليل على كلام أبي شامة: «وبدل على ماقرره أنه أنزل أولا بلسان قريش ثم سهل على الأمة أن يقرؤوه بغير لسان قريش، وذلك بعد أن كثر دخول العرب في الاسلام، فقد ثبت أن ورود التخفيف بذلك كان بعد الهجرة كما في حديث أبي بن كعب (٢): «أن جبريل أتى النبي ﷺ وهو عند أضاة بني غفار (٣) فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على

(١) فتح الباري ٩/٩.

(٢) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية الأنصاري الخزرجي أبوالمندر سيد القراء، ويكنى أبا الطفيل أيضا من فضلاء الصحابة، اختلف في سنة وفاته اختلافا كثيرا ف قيل: سنة ١٩ هـ وقيل: ٣٢ هـ وقيل: غير ذلك. الإصابة ١/ ١٩.

(٣) قال ابن حجر: «أضاة بني غفار: هي بفتح الهمزة والضاد المعجمة بغير همزة، وآخره تاء تأنيث هو مستنقع كالغدير وجمعه «أضا» كـ«عصا». وقيل بالمد والهمز مثل اناء.

وهو موضع بالمدينة النبوية ينسب الى بني غفار بكسر المعجمة وتخفيف الفاء؛ لأنهم نزلوا عنده». اهـ فتح الباري ٩/٢٨.

كذا جزم الحافظ ابن حجر أنه موضع بالمدينة، ومن قبله البكري في «معجم ما أستعجم» ١/١٦٤ وساق حديث أبي بن كعب مشيراً إلى أنه الموضع المقصود في الحديث، وقد ضبطه القاضي عياض في «المشارك» ١/٤٧ ونص على أنها موضع بالمدينة وكذلك قال السهوي في «وفاء الوفاء» ٤/١١٢٧ نقلاً عن «المشارك» وذكر السهوي منازل بني غفار في المدينة وعدّها منها: «أضاة بني غفار» وفاء الوفاء ٢/٧٥٧-٧٥٩.

لكن ذكر السهوي أن بمكة موضعاً يسمى كذلك «أضاة بني غفار» في مادة «تناضب» من فصل أسماء بقاع المدينة وفاء الوفاء ٤/١١٦٣.

وجزم ياقوت في «معجم البلدان» ١/٢١٤ أن أضاة بني غفار موضع قريب من مكة فوق «سرف» قرب «التناضب»، وذكر الأزرقي في تاريخ مكة ٢/٢١٣ أثناء حديثه عن مقبرة «الحصاص» أن قبر ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم وخالة ابن عباس، وأم المؤمنين، على الثنية التي بين وادي سرف وبين أضاة بني غفار (ماتت ميمونة بسرف فدفنت هنالك) وصرح بأن أضاة بني غفار هي التي ذكرت في حديث أبي بن كعب هذا.

قلت: سرف بفتح السين وكسر الراء المهملة في طريق الذهاب من مكة إلى المدينة المنورة بعد التنعيم قريباً من حي «النورية» اليوم.

والذي يتحصل من كلامهم رحمهم الله تعالى: أن «أضاة بني غفار» موضعين أحدهما في مكة والآخر في المدينة النبوية، كما قيل في «جبل ثور».

حرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته؛ فإن أمتي لاتطبق ذلك... الحديث أخرجه مسلم (١). «اهـ (٢).

قلت : المقصود أن الحديث يدل على أن القرآن لم ينزل من أول وهلة على الأحرف السبعة، بل مرة بعد أخرى كما يفهم هذا من سائر رواياته . وعليه؛ فإن في الحديث دلالة على تكرار نزول القرآن والله أعلم.

والظاهر أن المراد في حديث أبي بن كعب هو الموضع الذي في المدينة، كما جزم القاضي عياض والبكري وابن حجر وغيرهم لأنه لم يعرف في العهد المكي ذلك التنوع في القراءات والله أعلم.

(١) في كتاب الصلاة باب بيان أن القرآن نزل على سبعة أحرف، حديث رقم (٨٢٠) وأخرجه أبوداود في كتاب الصلاة باب أنزل القرآن على سبعة أحرف حديث رقم (١٤٧٧-١٤٧٨) والترمذي في كتاب القراءات باب ما جاء في أن القرآن أنزل على سبعة أحرف حديث رقم (٢٩٤٥) والنسائي في كتاب الصلاة باب جامع ما جاء في القرآن ١٥٤/٢، ١٥٢ والرواية الثانية بنحوه، وانظر ماتقدم في هذه الرسالة ص ٥٦.

فائدة : جاء عن حذيفة قال رسول ﷺ : «لقيت جبريل عند أحجار المراء، فقلت: يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية.. وسأقه بنحو حديث أبي بن كعب.

وهذا حديث منكر معلول .

أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٣٠٦ رقم (٧٢٠)، (وفي طبعة دار الكتب العلمية ص ٢٠٢) وأحمد في المسند (الميمية) ٣٩/٥، ٤٠٠، ٤٠٥ والطحاوي في مشكل الآثار ١٨٣/٤ ، والطبراني في المعجم الكبير ١٦٧/٣ والبزار (كشف الأستار) ٨٩/٣. وعلته عاصم بن بهدلة، فإنه صدوق له أوهام كما قال في «التقريب» ص ٢٨٥ وقد خالف رواية الثقات لهذا الحديث من وجهين :

الأول : أنه جعل الحديث بهذا السياق من مسند حذيفة والمعروف عنه حديث آخر أخرجه أحمد في المسند (الميمية) ٣٨٥/٥ ، ٤٠١ يختلف عن سياق حديث أبي بن كعب الذي خرجته قبل قليل .

الثاني : قوله : « عند أحجار المراء » خلافا للرواية المعروفة عن أبي بن كعب «عند أضواء بني غفار».

علما بأن لعاصم بن بهدلة رواية أخرى للحديث على وفق رواية الثقات، مما يدل على أنه اضطرب في روايته للحديث وأدخل رواية حذيفة في رواية أبي بن كعب والله أعلم .

(٢) فتح الباري ٢٨/٩ .

ثالثا : جمع القرآن العظيم :

يطلق جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور، وقد تعهد الله تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ بذلك فقال عز وجل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ القيامة: ١٧.

وبلغ الرسول ﷺ ما أنزل إليه من ربه، وقرأ القرآن الكريم على أصحابه، فحفظه منهم من حفظه، وكتب منه منهم من كتب.

عن أبي سعيد الخدري (١) أن رسول الله ﷺ قال: «لا تكتبوا عني غير القرآن» (٢).

قال أبو شامة (ت ٦٦٥هـ): «وحفظه في حياته جماعة من أصحابه، وكل قطعة منه كان يحفظها جماعة كثيرة، أقلهم بالغون حد التواتر، ورخص لهم قراءته على سبعة أحرف» اهـ (٣).

وما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا ومجموع القرآن مكتوب عند مجموع أصحابه.

عن زيد بن ثابت قال: «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع» (٤).

(١) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، أبو سعيد الخدري له ولأبيه صحبة، واستصغر بأحد، ثم شهد ما بعدها، وروى الكثير، مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين، وقيل: سنة أربع وسبعين. الإصابة ٣٥/٢.

(٢) حديث صحيح .

أخرجه مسلم في صحيحه كتاب لزهد باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم حديث رقم (٣٠٠٤).

(٣) المرشد الوجيز ص ٣٣.

(٤) حديث صحيح .

أخرجه أحمد في المسند ٤٨١ هـ والترمذي في كتاب المناقب باب فضل الشام واليمن حديث رقم (٣٩٥٤) وقال: «حديث حسن غريب» وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢١١، ٢٢٩/٢ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (موارد الظمان) ص ٥٧٤ رقم (٢٣١١) وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١٤٧ / ٧ وصححه المنذري في الترغيب والترهيب ٦٣/٤ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (٥٠٣) في بحث طويل ممتع.

قال البيهقي (١): «وهذا يشبه أن يكون أراد به تأليف ما نزل من الكتاب الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ ثم كانت مثبتة في الصدور مكتوبة في الرقاع والخاف والعشب» اهـ (٢).

جمع القرآن في عهد الصديق (٣) رضي الله عنه :
ولم يمض عام واحد بعد أن قبض الرسول ﷺ إلا وبدأت الحاجة ملحة لجمع وثائق القرآن المتفرقة في مجموعة واحدة مدونة، سهلة الاستعمال، حيث تتتابع آيات كل سورة كما هو ثابت من قبل في حافظة جماعات من المؤمنين.

ولقد تقدم بالفكرة عمر بن الخطاب إلى الخليفة الأول رضي الله عنهم عقب معركة اليمامة مع مسيلمة الكذاب التي قتل فيها مئات من المسلمين، منهم - سبعون من حملة القرآن -، خشية أن يتناقص تدريجياً عدد هؤلاء القراء بسبب الحروب المحتملة.

وكان عمر (٤) رضي الله عنه يهدف بهذه الطريقة ليس فقط إلى حفظ المدون من التنزيل في مأمن من الأخطار، وفي صورة يسهل الرجوع إليها، وإنما كان يقصد أيضاً إقرار الشكل النهائي لهذا الكتاب المقدس وتوثيقه، عن طريق حفظه الباقيين على قيد الحياة، واعتماده من الصحابة الذين كان كل منهم يحفظ منه أجزاء كبيرة أو صغيرة (٥).

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «أرسل إليّ أبوبكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر جالس عنده ، فقال أبوبكر: إنَّ عمر جاءني فقال: إنَّ القتل

(١) أحمد بن الحسين بن علي، أبوبكر البيهقي، من أئمة الحديث، صاحب «السنن الكبرى» (٣٨٤-٤٥٨هـ). الشذرات ٣/٣٠٤ الأعلام ١/١١٦.

(٢) دلائل النبوة ٧/١٤٧.

وقع في المطبوعة من «دلائل النبوة»: (العشب) وهو تصحيف والخاف جمع لخف وهي حجارة بيض رقاق. النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٢٤٤ والعُشب بضم العين والسين المهملة جمع عَسِيب وهو جريدة من النخل ، وهي السعفة مما لا ينبت عليه الخوص. النهاية ٣/٢٣٤.

(٣) عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن مرة التيمي، أبوبكر بن أبي قحافة الصديق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ مات سنة ١٣هـ. الإصابة ٢/٣٤١.

(٤) عمر بن الخطاب بن نفيل ابن عبدالعزيز ابن عدي بن كعب القرشي العدوي، أمير المؤمنين الخليفة الثاني، مشهور جم المناقب أستشهد سنة ٢٣ هـ وولي الخلافة عشر سنين ونصفاً. الإصابة ٢/١٨٥ التقريب ص ٤١٢.

(٥) المدخل إلى القرآن الكريم ص ٣٦.

قد أستحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير، واني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

قال : قلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ (١). فقال عمر : هو والله خير. فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال : زيد فقال لي أبوبكر إنك رجل شاب لانتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. قال زيد : فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن

قال : قلت : كيف تفعّلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبوبكر : هو والله خير.

قال : فلم يزل أبوبكر يراجعني (وفي رواية: «فلم يزل عمر يراجعني») حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر. قال : فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والعشب والخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة (٢) الأنصاري لم أجدّها مع أحد غيره (٣): ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] خاتمة

(١) لا يتنافى هذا مع ماتقدم من أن القرآن كله كتب في عهد النبي ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحد، ولا مرتب السور (أي: في الكتابة) لكنه كان يقرأ بالترتيب؛ لأن الكلام هنا في كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة. فتح الباري ١٢/٩. و ما فعله أبوبكر رضي الله عنه من جمع القرآن ليس بدعة في الدين، غاية ما فيه أنه من المصالح المرسلّة، إن لم يكن أمراً أشارت النصوص الشرعيّة إلى جوازه؛ فقد أعلم الله عزوجل في القرآن بانه مجموع في الصحف في قوله: ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ البينة: ٢، وأشار إليه في غير موضع بوصف الكتاب فقال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ البقرة: ٢، وكذا الرسول ﷺ فقال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» متفق عليه والله أعلم.

(٢) وقع في رواية: «خزيمة بن ثابت» وفي رواية: «خزيمة أو أبي خزيمة». قال ابن حجر: «والأرجح أن الذي وجد معه آخر سورة التوبة أبو خزيمة بالكنية، والذي وجد معه الآية من الأحزاب خزيمة» اهـ. فتح الباري ١٥/٩ و انظر فتح الباري ٣٤٤/٨-٣٤٥ والمرشد لوجيز ص ٥١.

وهو أبوخزيمة بن يربوع بن عمرو الأنصاري، وقيل: اسمه يربوع، ذكر العدوي والطبري أنه شهد أحداً والمشاهد بعدها ولا عقب له. الإصابة ٦٥٠/٣، ٥٢/٤.

(٣) المراد بالنفي نفي وجودها مكتوبة لا نفي كونها محفوظة لأن زيदा كان قد سمعها وعلم موضعها في سورة الأحزاب بتعليم النبي ﷺ و كذلك غيره من الصحابة لأنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة ، وكان غرضهم ان لا يكتب الا من عين ماكتب بين يدي

براعة.

قال : فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر (١).

قال بعض الرواة فيه: «اللخاف يعني: الخذف».

وفي سنن الترمذي «يعني: الحجارة» (٢).

قال البغوي (٣): «إن الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئا... فأمر (أي: الخليفة الصديق) بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا شيئا أو أخرجوا، أو وضعوا له ترتيبا لم يأخذه من رسول الله ﷺ (٤) وكان رسول الله ﷺ يلقي أصحابه (٥) و يعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل صلوات الله عليه إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقيب آية كذا في السورة التي يذكر فيها كذا... وكان هذا الاتفاق من الصحابة سببا لبقاء القرآن في الأمة رحمه من الله عزوجل على عبادته وتحقيقا لوعده في

الرسول ﷺ لا من مجرد الحفظ.

أنظر المرشد الوجيز ص ٥١، ٥٧ البرهان في علوم القرآن ١/٢٣٤ فتح الباري ٩/١٥٠.
(١) إنما كان ذلك عند حفصة لأنها كانت وصية عمر بن الخطاب فاستمر ما كان عنده عندها حتى طلبه منها من له طلب ذلك، ولأنها كانت كاتبة قارئة فهي أقدر على حفظه ونفي الدخيل عنه.

وهي حفصة بنت عمر بن الخطاب، أم المؤمنين، تزوجها رسول الله ﷺ بعد خنيس ابن حذافة سنة ثلاث وماتت سنة ٤٥هـ. الإصابة ٤/٣٧٢.

(٢) حديث صحيح.

أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن حديث رقم (٤٩٨٦) وباب كاتب النبي ﷺ (٤٩٨٩) وفي كتاب التفسير تفسير سورة براءة باب «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» حديث رقم (٤٦٧٩) وفي موضع آخر، وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة التوبة حديث رقم (٣١٠٢).

(٣) الحسين بن مسعود بن محمد الفراء أو ابن الفراء، أبو محمد محي السنة البغوي، فقيه مفسر محدث (٤٣٦-٥١٠ أو ٥١٦هـ). الأعلام ٢/٢٥٩.

(٤) أنظر روح المعاني ١/٢٣.

(٥) من الأدلة على تلقين الرسول ﷺ القرآن للصحابة : قول عبدالله بن مسعود: «علمني رسول الله ﷺ التشهد - وكفي بين كفيه - كما يعلمني السورة من القرآن...» متفق عليه.

وقول ابن عباس: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن...» أخرجه مسلم أنظر جامع الأصول ٥/٣٩٥-٣٩٨.

حفظه كما قال عزوجل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩. اهـ (١)].

فجمع أبوبكر القرآن الكريم من الرقاع واللخاف والعصب في صحف فهو أول من جمع كتاب الله عزوجل.

عن عبد خير (٢) قال سمعت عليا يقول: «أعظم الناس أجرا في المصاحف أبوبكر، ورحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع بين اللوحين» (٣).

قلت : يعني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كتابة القرآن على الوجه المذكور وإلا فإن القرآن مجموع مكتوب منذ عهد رسول الله ﷺ. قال ابن كثير (٧٧٤هـ): «فكان الذي فعله الشيخان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما من أكبر المصالح الدينية وأعظمها من حفظهما كتاب الله في الصحف لئلا يذهب منه شيء بموت من تلقاه عن رسول الله ﷺ ثم كانت تلك الصحف عند الصديق أيام حياته ثم أخذها عمر بعده فكانت عنده محروسة معظمة مكرمة فلما مات كانت عند حفصة أم المؤمنين؛ لأنها كانت وصيته من أولاده على أوقافه وتركته، وكانت عند أم المؤمنين حتى أخذها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه» اهـ (٤).

ثم كان جمع عثمان بن عفان :

قال البغوي (ت ٥١٦هـ) : «ثم إن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقرؤون القرآن بعده على الأحرف السبعة التي أقرأهم رسول الله ﷺ بإذن الله عزوجل، إلى أن وقع الاختلاف بين القراء في زمن عثمان ، وعظم الأمر فيه وكتب الناس بذلك من الأمصار إلى عثمان وناشدوه الله تعالى في جمع

(١) شرح السنة ٢٣-٥٢١/٤ باختصار وتصرف.

(٢) عبدخير بن يزيد أبوعمارة، وقيل : عبدخير بن محمد بن حولي بن عبدعمر بن عبدغوث، أدرك النبي ﷺ إلا أنه لم يلقه، شهد مع علي بن أبي طالب حرب الخوارج بالنهروان وثقه ابن معين والعجلي . ت بغداد ١١/١٢٤.

(٣) أثر صحيح .

أخرجه أبوعبيد في «فضائل القرآن» ص ٢١٣ رقم (٥٣٧)، ص ٢١٧ رقم (٥٤٣) وابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ١١، والداني في المقنع ص ١٣.

وصححه ابن كثير في «فضائل القرآن» ص ١٦، وحسن إسناده ابن حجر في فتح الباري ١٢/٩.

(٤) فضائل القرآن لابن كثير ص ١٩.

الكلمة، وتدارك الناس قبل تفاقم الأمر، وقدم حذيفة بن اليمان (١) من غزوة أرمينية (٢) فشافه بذلك، فجمع عثمان عند ذلك المهاجرين والأنصار وشاورهم في جمع القرآن في المصاحف على حرف واحد ليزول بذلك الخلاف وتتفق الكلمة، واستصوبوا رأيه وحضوه عليه ورأوا أنه من أحوط الأمور للقرآن» اهـ (٣).

عن ابن شهاب (٤) عن أنس بن مالك (٥) «أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان (٦) مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك.

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت و عبد الله بن الزبير (٧)

(١) حذيفة بن اليمان، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين وأبوه صحابي أيضاً، أمين سر رسول الله ﷺ وسلم مات في أول خلافة علي بن أبي طالب سنة ٣٦ هـ الإصابة ٣١٧/١.

(٢) بكسر أوله ويفتح، وسكون ثانيه وكسر الميم، وياء ساكنة وكسر النون وياء خفيفة مفتوحة. معجم البلدان ١٥٩-١٦٠.

منطقة جبلية في [شمال شرق] آسيا بين الأناضول وأنجاد إيران جنوبي القوقاس وهي أنجاد واسعة، تتخللها سلاسل جبال شاهقة القوقاس وطوروس وكردستان، تنبع فيها أنهر عديدة أهمها: أراكس ودجلة والفرات وكورا. المنجد في الإعلام ص ٣٩. وهي من الجمهوريات المستقلة حديثاً عما كان يسمى بـ«الاتحاد السوفيتي».

(٣) شرح السنة ٥٢٣/٤.

(٤) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، أبوبكر، فقيه حافظ متفق على جلالته وإتقانه مات سنة ١٢٥ هـ. التقريب ص ٥٠٦.

(٥) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين مشهور، مات اثنتين وقيل: ثلاث وتسعين. التقريب ص ١١٥.

(٦) بالفتح ثم السكون، وفتح الراء وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة وجيم، وقد فتح قوم الذال وسكنوا الراء، ومد آخرون الهمزة مع ذلك. معجم البلدان ١٢٨/١-١٢٩.

وهي الآن إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي، وتقع على بحر قزوين، وحدود إيران، تغطي شماليها جبال القوقاس منطقة نفط غنية. المنجد في الإعلام ص ٣٣. وقد استقلت حديثاً هي وعدة جمهوريات إسلامية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي زعيم الإلحاد العالمي.

(٧) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبوبكر وأبو خبيب بالمعجمة مصغراً، وكان أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين، ولي الخلافة تسع سنين إلى أن قتل

وسعيد بن العاص(١) وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام(٢) فنسخوها.
وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت
في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم .
ف فعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى
حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن
في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

قال ابن شهاب وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت(٣) سمع زيد بن ثابت
قال: «فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله
ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري(٤) : ﴿مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فالحقناها في
سورتها في المصحف»(٥).

وأورد هنا روايتين تلقيان مزيدا من الضوء على الحديث السابق :
عن مصعب بن سعد(٦) قال: «قام عثمان فخطب الناس فقال: أيها الناس
عهدكم بنبികم منذ ثلاث عشرة، وأنتم تمترون في القرآن، وتقولون : قراءة
أبي وقراءة عبد الله .

يقول الرجل : والله ماتقيم قراءتك .
فأعزم على كل رجل منكم ماكان معه من كتاب الله شيء لما جاء به»
وكان الرجل يجيء بالورقة ، والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة.

سنة ٧٣هـ . التقريب ص ٣٠٣.

(١) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي، توفي رسول الله ﷺ و عمر
سعيد تسع سنين، وذكر في الصحابة، وولي إمرة الكوفة لعثمان وامرة المدينة لمعاوية
و مات سنة ٥٨ هـ و قيل غير ذلك . التقريب ص ٢٧٣.

(٢) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي أبو محمد المدني، له رؤية وكان
من كبار ثقات التابعين مات سنة ٤٣ هـ . التقريب ص ٣٣٨.

(٣) خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، أبوزيد المدني ثقة فقيه مات سنة ١٠٠ هـ وقيل
قبلها . التقريب ص ١٨٦.

(٤) خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الخطمي، بفتح المعجمة أبوعمارة المدني،
ذوالشهادتين، من كبار الصحابة، شهد بدرًا وقتل مع علي بن أبي طالب
بصفين . التقريب ص ١٩٣.

(٥) حديث صحيح .
أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه وسقته هنا بسياقه له في كتاب فضائل
القرآن باب جمع القرآن حديث رقم (٤٩٨٧، ٤٩٨٨) وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير
باب ومن سورة التوبة رقم (٣١٠٣).

(٦) مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري ، أبوزرارة المدني ثقة ، مات سنة
١٠٣ هـ . التقريب ص ٥٣٣.

ثم دخل عثمان فدعاهم رجلا رجلا فناشدهم لسمعت رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك؟ فيقول : نعم .

فلما فرغ من ذلك قال : من أكتب الناس ؟

قالوا : كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت.

قال : فأبي الناس أعرب ؟

قالوا : سعيد بن العاص.

قال : فليمل سعيد وليكتب زيد.

فكتب زيد، وكتب مصاحف ففرقها في الناس، فسمعت بعض أصحاب محمد يقول: قد أحسن»(١).

عن سويد بن غفلة(٢) قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: « يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان و لا تقولوا له إلا خيرا أو قولوا له خيرا في المصاحف وإحراق المصاحف.

فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعا.

فقال (يعني: عثمان بن عفان): ما تقولون في هذه القراءة فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قرأتني خير من قرأتك وهذا يكاد يكون كفرا . قلنا : فما ترى ؟

قال : نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة و لا يكون اختلاف (وفي رواية: فقد رأيت أن أجمعهم على قراءة واحدة). قلنا : فنغم ما رأيت .

قال : فقل : أي الناس أفصح وأي الناس أقرأ ؟

قالوا : أفصح الناس سعيد بن العاص وأقرأهم زيد بن ثابت.

فقال : ليكتب أحدهما ويملي الآخر.

ففعلا وجمع الناس على مصحف.

(١) إسناده صحيح.

أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ص ٣١.

وصححه ابن كثير في «فضائل القرآن» ص ٢٦.

فائدة : قوله : «ليمل سعيد وليكتب زيد» كأن هذا كان في ابتداء الأمر، ثم احتاجوا إلى من يساعد في الكتابة بحسب الحاجة إلى عدد من المصاحف التي ترسل إلى الآفاق، فأضافوا إلى زيد من ذكر في حديث أنس الذي سبق آنفا - في الصلب - ثم استظهروا بأبي بن كعب في الاملاء . فتح الباري ١٩/٩.

(٢) سويد بن غفلة، بفتح المعجمة والفاء، أبو أمية الجعفي مخضرم من كبار التابعين قدم المدينة يوم دفن النبي ﷺ و كان مسلما في حياته، ثم نزل الكوفة ومات سنة ٨٠هـ . التقريب ص ٢٦٠.

قال : قال علي : والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل«(١).

ويلاحظ ماييلي :

١ - زمن جمع عثمان رضي الله عنه :

قال ابن حجر(ت٨٥٢هـ) :«كانت هذه القصة في سنة خمس وعشرين في السنة الثالثة أو الثانية من خلافة عثمان ، وقد أخرج ابن أبي داود(٢)من طريق أبي اسحاق(٣) عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال:«خطب عثمان فقال: يا أيها الناس، إنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة وقد أختلفتم في القراءة...» الحديث في جمع القرآن.
وكانت خلافة عثمان بعد مقتل عمر.
وكان قتل عمر في أواخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة بعد وفاة النبي ﷺ بثلاث عشرة سنة إلا ثلاثة أشهر.
فان كان قوله :«خمس عشرة سنة» أي : كاملة ، فيكون ذلك بعد مضي سنتين وثلاثة أشهر من خلافته .

(١) أثر صحيح .

أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص٢٢٠ رقم (٥٤٨) مقتصرًا على قول علي : «والله لو وليت...» وأخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص٢٩-٣٠ وأبو عمرو الداني في المقنع ص١٨ مقتصرًا على قول علي : «والله لو وليت...» وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٤٢/٢.

وصححه ابن حجر في فتح الباري ١٨/٩ ، والسيوطي في الاتقان (أبوالفضل) ١٧٠/١ و محقق شرح السنة ٥٢٥/٤.

(٢) كتاب المصاحف ص٣١.

وهي من طريق غيلان عن أبي اسحاق، وفيها علة حيث أخرج ابن أبي داود رواية ثانية للأثر بلفظ :«منذ ثلاث عشرة سنة» من طريق اسراييل عن أبي اسحاق.
ورواية غيلان خالفت رواية اسراييل في موضعين :
الأول : في قوله : «منذ خمس عشرة سنة».

الثاني : في قوله فيها : «قراءة أبي وعبدالله ومعان» فسمّى : «معانًا» ولم يذكره إسرائيل في روايته، ورواية إسرائيل عن أبي اسحاق أرجح من رواية غيلان عن أبي اسحاق كما يستفاد ذلك من ترجمة اسراييل في «تهذيب التهذيب» ٢٦١/١ خاصة وأن الواقع هنا يؤيد روايته، فيكون قوله في رواية غيلان : «منذ خمس عشرة سنة» من قبيل الشاذ والله أعلم.

(٣) عمرو بن عبدالله بن عبيد، ويقال : علي، ويقال : ابن أبي شعيرة الهمداني أبو اسحاق السبيعي، بفتح المهملة و كسر الموحدة، ثقة مكثّر عابد، اختلط بأخرة مات سنة ١٢٩هـ وقيل : قبل ذلك . التقريب ص٤٢٣.

غير الحرف الذي اختاره ووافقه عليه الصحابة رضوان الله عليهم؛ لأن الظاهر أن عثمان إنما اختار للناس حرفاً اتفق الجميع عليه، ولم يبلغ سائر الحروف إنما ترك الباب مفتوحاً لكل من كان يؤكد من الصحابة أنه سمع الرسول ﷺ يقرأ بقراءة معينة أن يقرأ بقراءته الخاصة بحرية تامة وتحت كامل مسؤوليته الدينية ومن غير أن يلزم جماعة المسلمين كلها بما يؤكد سماعه، ولا يكون التعليم العام للناس إلا من المصحف الذي أجمع على مافيه الصحابة رضوان الله عليهم (١).

وهذا الموقف المعقول والعادل يتضح بجلاء ممايلي :

الأول : من كلام علي بن أبي طالب في النص السابق عن سويد بن غفلة، فإنه يدل عليه بأمور:

(أ) أنه لم يقل فيه أن عثمان قال: ما عدا هذه القراءة باطل ليس بقرآن، لكنه اكتفى بأن جمعهم على قراءة واحدة خشية الفرقة والمراء في القرآن.

(ب) أن عثمان لو قال باطلاً من القول لرد عليه الصحابة قوله إذ كيف يقر صحابة رسول الله ﷺ عثمان رضي الله عنه على إبطال ما أباحه الرسول للأمة فلما أقروه دل هذا على أن مراد عثمان هو ما ذكرته، وهو ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم وأمثلوه طاعة لولي الأمر فاقترضوا في تعليمهم العام للناس على الحرف الذي اختاره عثمان رضي الله عنه لهم فحظي بالتواتر في النقل، أما ما يخالفه فإبهم اقتصروا على القراءة به في خاصتهم ولذلك لم تحظ القراءات المخالفة لمصحف عثمان إلا بنقل الآحاد فقط والله أعلم.

الثاني : قول عثمان رضي الله عنه للرهط القرشيين الثلاثة : «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش» (٢) فإنه يوضح أنه إنما اختار من الأحرف ما كان على لسان قريش، أما البقية التي يجزم الصحابي أنه سمع الرسول يقرأ بها، أو أقرأه إياه ﷺ فلم يبطلها عثمان، لكن سكت عن تسجيلها في المصحف الذي أراد جمع الناس عليه، ووافقه الصحابة فيه، وترك للصحابي الحرية في قراءته لنفسه، وتحمل مسؤوليته بمفرده.

الثالث : رد عثمان رضي الله عنه على المتمردين بقوله : «أما

(١) التحرير والتنوير ١/٥٢-٥٣ المدخل إلى القرآن الكريم ص ٤٤.

(٢) إسناده صحيح. تقدم تخريجه قريبا ص ٤١.

لكن وقع في رواية أخرى له (١) : «منذ ثلاث عشرة سنة» فيجمع بينهما بالغاء الكسر في هذه وجبره في الأولى؛ فيكون ذلك بعد مضي سنة واحدة من خلافته ، فيكون ذلك في أواخر سنة أربع وعشرين و أوائل سنة خمس وعشرين ، وهو الوقت الذي ذكر أهل التاريخ أن أرمينية فتحت فيه ، وذلك في أول ولاية الوليد بن عقبة بن أبي معيط (٢) على الكوفة من قبل عثمان اهـ (٣).

قلت : الرواية الأولى معلولة، فلا حاجة لتكلف الجمع بينها وبين الرواية الصحيحة بلفظ «منذ ثلاث عشرة سنة» التي تتفق مع الواقع والله أعلم.

٢ - ماذا فعل عثمان رضي الله عنه ؟ :

قال الحارث المحاسبي (٤) (ت ٢٤٣ هـ) : «المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك.

إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على إختيار وقع بينه وبين من شاهده من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات.

فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن.

فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق.

وقد قال علي «لو وليت لعملت بالمصاحف الذي عمل بها عثمان» (٥). اهـ (٦).

قلت : ولا يعترض على هذا (أعني: ماقرره المحاسبي رحمه الله مما يستفاد من النصوص السابقة من أن عثمان جمع الناس على حرف واحد) لايعترض عليه بأنه لم يكن لعثمان ولا للصحابه إلغاء سائر الحروف السبعة

(١) كتاب المصاحف ص ١٣ ، وتقدم سياقها كاملا مع تخريجها وبيان صحتها .

(٢) الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن عمرو بن أمية القرشي الأموي أخو عثمان بن عفان لأمه ، له صحبة وعاش إلى خلافة معاوية . التقريب ص ٥٨٣ .

(٣) فتح الباري ١٧/٩ .

(٤) الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي أبو عبدالله زاهد عابد (ت ٢٤٣ هـ) كان معاصرا لأحمد بن حنبل .

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢/١١٠-١١٢) : «المحاسبي كبير القدر وقد دخل في شيء يسير من الكلام فنقم عليه وورد أن الامام أحمد أثنى على حال الحارث من وجه وحذر منه» اهـ

وانظر : حلية الأولياء ١٠٩-٧٣/١٠ .

(٥) أثر صحيح . تقدم تخريجه ص ٤٣ .

(٦) انظر الإتيقان في علوم القرآن (أبوالفضل) ١٧١/١-١٧٢ .

القرآن فمن عند الله، إنما نهيتكم لأنني خفت عليكم الاختلاف، فاقروا أو على أي حرف شئتم» (١).

٣ - هل تحتوي المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة ؟ :

قال ابن الجزري (٢) : «إذا قلنا: إن المصاحف العثمانية محتوية على جميع الأحرف السبعة التي أنزلها الله تعالى كان ما خالف الرسم يقطع بأنه ليس من الأحرف السبعة وهذا قول محذور؛ لأن كثيرا مما خالف الرسم قد صح عن الصحابة رضي الله عنهم، وعن النبي ﷺ.

والحق ما تحرر من كلام الامام محمد بن جرير الطبري (٣) وأبي عمر بن عبد البر (٤) وأبي العباس المهدوي (٥) ومكي بن أبي طالب القيسي (٦) وأبي القاسم الشاطبي (٧) وابن تيمية وغيرهم، وذلك أن المصاحف التي كتبت في زمن أبي بكر رضي الله عنه كانت محتوية على جميع الأحرف السبعة، فلما كثر الاختلاف وكاد المسلمون يكفر بعضهم بعضا أجمع الصحابة على كتابة القرآن العظيم على العرضة الأخيرة التي قرأها النبي ﷺ على جبريل عام قبض، وعلى ما أنزل الله تعالى دون ما أذن فيه، وعلى ما صح مستفاضاً عن النبي ﷺ دون غيره، إذ لم تكن الأحرف السبعة واجبة على الأمة، وإنما كان ذلك جائزا لهم مرخصا فيه، وقد جعل إليهم الاختيار في

(١) كتاب المصاحف ص ٥٤-٦٤، عن إسماعيل بن أبي خالد قال: لما نزل أهل مصر الجحفة ... وساق قصة محاور عثمان لهم بواسطة علي بن أبي طالب.

وإسماعيل لم يدرك عثمان وعلي، فروايته منقطعة، لكن يشهد لقول عثمان ماتقدم في رواية سويد ومصعب والله أعلم.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف أبوالخير شمس الدين العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي الشهير بابن الجزري شيخ الاقراء في زمانه (٧٥١-٨٣٣هـ). الأعلام ٤٥/٧.

(٣) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبوجعفر إمام في التفسير والقراءات والحديث والفقه والتاريخ (٢٢٤-٣١٠هـ). الأعلام ٦٩/٦.

(٤) يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي أبوعمر حافظ محدث مؤرخ نسابة أديب (٣٦٨-٤٦٣هـ). الأعلام ٢٤٠/٨.

(٥) أحمد بن عمار بن أبي العباس، أبو العباس المهدوي نسبة إلى المهدية بالمغرب، مفسر مقريء (ت بعد ٤٣٠هـ). غاية النهاية ٩٢/١.

(٦) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي أبومحمد، مقريء عالم بالتفسير والعربية (٣٥٥-٤٣٧هـ). الأعلام ٢٨٦/٧.

(٧) القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني، أبومحمد وأبو القاسم الشاطبي، إمام القراء صاحب «حز الأمان» قصيدة نظم فيها التيسير للداني مع زيادات (٥٣٨-٥٩٠هـ). الأعلام ١٨٠/٥.

أي حرف اختاروه.

قالوا : فلما رأى الصحابة أن الأمة تتفرق وتختلف وتتقاتل إذا لم يجتمعوا على حرف واحد، اجتمعوا على ذلك اجتماعاً سائغاً، وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة ولم يكن في ذلك ترك واجب ولا فعل محظور» اهـ (١).

٤ - جمع الناس على حرف من مناقب عثمان رضي الله عنه :

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) : «وهذا أيضاً من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ فإن الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء، وهو جمع الناس على قراءة واحدة لئلا يختلفوا في القرآن، ووافقه على ذلك جميع الصحابة والله أعلم.

وإنما روي عن عبد الله بن مسعود (٢) شيء من التغضب بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف، وأمر أصحابه بغل (٣) مصاحفهم لما أمر عثمان بحرق ما عدا المصحف الامام، ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق (٤) حتى قال علي بن أبي طالب: «لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا». (٥).

فاتفق الأئمة الأربعة أبوبكر وعمر وعثمان وعلي على أن ذلك من مصالح الدين (يعني: جمع القرآن) (٦) وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ:

(١) المنجد ٢١-٢٢.

(٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء، ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء من الصحابة، مناقبه جمة، وأمره عمر بن الخطاب على الكوفة ومات سنة ٣٢هـ أو التي بعدها بالمدينة. التقريب ص ٣٢٣.

(٣) بكسر الباء وفتح العين المعجمة وتشديد اللام وخفضها، من الغلول، أي: اخفوا مصاحفكم ولا تظهروها حتى لا تحرق. معجم مقاييس اللغة ٤/ ٣٧٥-٣٧٧.

(٤) ساق جملة من هذه الروايات في تغضب ابن مسعود في كتاب المصاحف ص ١٨-٢٥ وأخرجها الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة التوبة رقم (٣١٠٣)، وصححها الألباني في صحيح الترمذي ٦٠/٣.

وبالسند نفسه أخرج الترمذي وأبو عبيد في «فضائل القرآن» ص ٢١٦ رقم (٥٤٢) عن الزهري أنه قال تعقياً على مقالة ابن مسعود: «فبلغني أن ذلك كره من مقالة ابن مسعود رجال من أفاضل الصحابة»

قال ابن حجر في «فتح الباري» ١٩/٩: «والعذر لعثمان في ذلك أنه فعله بالمدينة وعبد الله بالكوفة ولم يؤخر ماعزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر، وأيضاً فإن عثمان إنما أراد نسخ الصحف التي كانت جمعت في عهد أبي بكر وأن يجعلها مصحفاً واحداً وكان الذي نسخ ذلك في عهد أبي بكر هو زيد بن ثابت لكونه كان كاتب الوحي فكانت له في ذلك أولية ليست لغيره» اهـ.

(٥) أثر صحيح. تقدم تخريجه قريباً ص ٤٣ بنحوه.

(٦) أنظر كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ٢٥ وفضائل القرآن لابن كثير ص ٢٦.

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي...» (١). «اهـ» (٢).

حاصل ما تقدم :

حاصل ما شهدت به الأخبار المتقدمة وما صرحت به أقوال الأئمة (٣) :

- أن تأليف القرآن على ما هو عليه الآن كان في زمن النبي ﷺ باذنه وأمره.

- وأن جمع أبي بكر إنما قصد به جمع القرآن في الصحف في مكان واحد خشية ضياعه - والعياذ بالله - بقتل القراء.

- وأن جمع عثمان إنما قصد به أن يقتصر الناس على تلاوة القرآن على حرف واحد من أحرف القراءة التي أباح لهم الرسول ﷺ القراءة بها خوفاً عليهم من المراء في القرآن والاختلاف فيه فاستوسقت له (٤) الأمة على ذلك بالطاعة ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية، فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها امامها العادل في تركها طاعة منها له، ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها حتى درست من الأمة معرفتها وتعفت آثارها فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها، لدثورها وعفو آثارها وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها من غير جحود منهم صحتها وصحة شيء منها، ولكن نظراً منها لأنفسها ولسائر أهل دينها فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشقيق الناصح، دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية والله أعلم (٥).

قلت : و يعني رحمه الله بقوله: «فلا قراءة..» أي: بمجموع الأحرف الستة لعامة للمسلمين، و سياق كلامه ولحاظه وسياقه يدل على ذلك وإلا فالصواب: أن رسم المصحف اشتمل على هذا الحرف الذي جمع عثمان

(١) حديث صحيح .

أخرجه أحمد في المسند ١٢٦/٤-١٢٧ وأبو داود في سننه كتاب السنة باب لزوم السنة حديث رقم (٤٦٠٧) والترمذي في كتاب العلم حديث رقم (٢٦٧٦) وابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين حديث رقم (٤٢).

وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣٤١-٣٤٢ وصححه محقق جامع الأصول ٢٧٩/١.

(٢) فضائل القرآن لابن كثير ص ٢٠.

(٣) مستفاد من كلام أبي شامة في الرشد الوجيز ص ٧٠-٧١.

(٤) تتابعت وانقادت من التساوق والمساوقة. لسان العرب ١٠/١٦٦.

(٥) من كلام الطبري في تفسيره (شاكر) ٦٤/١.

رضي الله عنه الناس عليه، وعلى ما يوافق من سائر الأحرف (١).
- وأن جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه اقتصر على مجرد النسخ
للصحف مكتفيا بحرف واحد، فلم يحدث فيه ترتيبا لم يكن فكتبوا كما سمعوا
من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا شيئا أو أخروا، أو وضعوا له
ترتيبا لم يأخذه من رسول الله ﷺ.
قال ابن وهب (٢) : سمعت مالكا (٣) يقول : «إنما ألف القرآن على ما كانوا
يسمعون من قراءة رسول الله ﷺ» (٤).

ولعل القاريء الكريم بعد وصوله في قراءته إلى هذا الحد وقد تكررت
معه كلمة القراءات يتساءل عن القراءات ماهي ؟ ما أقسامها ؟ ما علاقتها
بالأحرف السبعة ؟ هذه الأسئلة وأمثالها تخطر في ذهنه وللجواب عليها عقد
الباب التالي :

-
- (١) وسيأتي تقرير هذا وبسطه ص ١٠٤-١٠٨.
 - (٢) عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم ، أبو محمد المصري الفقيه ، ثقة حافظ عابد
مات سنة ١٩٧هـ. التقريب ص ٣٢٨.
 - (٣) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي أبو عبدالله المدني محدث فقيه
إمام دار الهجرة، رأس المتقنين وكبير المتنبئين إمام المذهب المشهور
(٩٣-١٧٩هـ). التقريب ص ٥١٦.
 - (٤) المقنع للداني ص ١٨ المرشد الوجيز ص ٤٦ وانظر روح المعاني ٢٣/١ ومباحث في علوم
القرآن لصبحي الصالح ص ٧١-٧٣.

الباب الأول **القراءات تعريفًا وأقسامًا**

ويشتمل على تمهيد وفصلين :

- التمهيد : في أهمية القراءات .**
- الفصل الأول : تعريف القراءات .**
- الفصل الثاني : أقسام القراءات .**

تمهيد : أهمية القراءات .

لايكاد يوجد علم من علوم العربية بله الشريعة إلا وتعتبر القراءات رافداً من روافده الثرة؛ فهذا علم النحو وعلم الصرف، وهذه علوم البلاغة، وهذه كتب المعاجم اللغوية يشكل القرآن بقراءاته أصلاً أصيلاً وركناً ركيناً فيها (١).

وهل نهضت علوم العربية إلا بالقرآن وعلومه ؟.

قال الشيخ سعيد الأفغاني (٢) متحدثاً عن القرآن الكريم: «هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به في اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة، وقراءاته جميعاً الواصلة إلينا بالسند الصحيح حجة لاتضاهيها حجة.

أما طرقه المختلفة في الأداء فهي كذلك؛ إذ أنّها مروية عن الصحابة

(١) اهتم العلماء المتأخرون بابرار هذا الأمر، وبيان أثر القراءات في العلوم و من المصنفات في ذلك:

(أ) - «أثر القراءات في الدراسات النحوية» د/ عبدالعال سالم علي. القاهرة مطبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

(ب) - «القراءات واللهجات» عبدالوهاب حمودة . القاهرة مطبعة السعادة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م.

(ج) - «الإمالة في القراءات واللهجات» د/ عبدالفتاح إسماعيل شلبي القاهرة مطبعة نهضة مصر ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

(د) - «اللهجات في القراءات القرآنية» د/ عبده الراجحي القاهرة مطبعة دارالمعارف ١٩٦٨م.

(هـ) - «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» محمد عبدالخالق عضيمة، في أحد عشر مجلداً قسمه إلى ثلاثة أقسام قسم في معاني الحروف ثلاثة مجلدات، وقسم في النحو أربعة مجلدات، وقسم في الصرف أربعة مجلدات، تجاوزت الآيات القرآنية والقراءات في القسم الأول (٢٨٧٠٠) كما صرح في قاجاص ١٨.

(و) - «القراءات وأثرها في علوم العربية» د/ محمد سالم محيسن - مكتبة الكليات الأزهرية.

(ز) - «القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث» د/ عبدالصبور شاهين نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.

(٢) سعيد الأفغاني عالم بالنحو، له مصنفات وتحقيقات منها كتابه «في أصول النحو» وتحقيق «لمع الأدلة» لابن الأنباري (معاصر).

وقراء التابعين و هم جميعا ممن يحتج بكلامهم العادي بله قراءاتهم التي تحروا ضبطها جهد طاقتهم كما سمعوها من رسول الله ﷺ.

ولاننس بعد ذلك أن أئمة القراء كأبي عمرو بن العلاء والكسائي ويعقوب الحصري هم أئمة في اللغة والنحو أيضا.

وقد جرى عُرْف العلماء على الاحتجاج برواياته (يعني: القرآن) سواء أكانت متواترة أم روايات آحاد أم شاذة.

والقراءة الشاذة التي منع القراء قراءتها في التلاوة يحتج بها في اللغة والنحو؛ إذ هي على كل حال أقوى سندا وأصح نقلا من كل ما أحتج به العلماء من الكلام العربي غير القرآن اهـ (١).

قلت : وغير السنة الصحيحة على الصواب، وسيأتي - إن شاء الله - الحديث عن القراءة الشاذة.

ويقول الشيخ محمد عبد الخالق عظيمه (٢) : «القرآن الكريم حجة في العربية بقراءاته المتواترة وغير المتواترة، كما هو حجة في الشريعة، فالقراءة الشاذة التي فقدت شرط التواتر لا تقل شأننا عن أوثق ما نقل إلينا من الفاظ اللغة وأساليبها وقد أجمع العلماء على أن نقل اللغة يكتفى فيه برواية الآحاد» اهـ (٣).

قلت : وإذا كان هذا شأن القرآن المتواتر والقراءات الشاذة في تلك العلوم فإن شأنهما في الشريعة وعلومها أعظم وأفخم؛ فالقرآن الكريم وقراءاته الصحيحة مع السنة النبوية هما مصدر الشرع في العقائد والأحكام.

والمفسر للقرآن الكريم لابد له من تعلم القراءات (٤) إذا أراد بيان معاني القرآن الكريم؛ لأنه بالقراءات ينكشف من معاني الآية مالا ينكشف بالقراءة الواحدة، وبالقراءات يترجح لديه بعض الوجوه المحتملة على بعض في معاني القرآن، وبها يعرف كيفية النطق بالقرآن وكيفية الأداء ومافيه من إعجاز ليس فقط في نظمه ومعانيه بل في تركيب الألفاظ

(١) في أصول النحو ص ٢٨-٢٩.

(٢) محمد عبد الخالق عزيمة، عالم بالنحو والصرف، وأستاذ في كلية اللغة العربية بالقاهرة والرياض، صاحب كتاب «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» لم أر مثله (معاصر) توفي سنة ١٤٠٤هـ عن عمر يقارب التسعين.

(٣) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق ١ ج ٢ ص ٢.

(٤) الإتيان في علوم القرآن (أبو الفضل) ١٨٧/٤.

وحروف الكلم(١).

وهذه المعاني في تفسير آيات القرآن الكريم من شأنها أن تفيد الفقيه في تفقهه لنصوص القرآن الكريم واستنباط الأحكام الشرعية منها.
قال الشيخ القسطلاني(٢): «لم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارئ معنى لا يوجد في قراءة الآخر ذلك المعنى.
فالقراءات حجة الفقهاء في الاستنباط ومحجتهم في الاهتداء إلى سواء الصراط» اهـ(٣).

ولما كانت القراءات بهذه المثابة، ولما كانت هذه الدراسة في بيان أثر القراءات في التفسير؛ احتاج الأمر إلى تعريف القراءات وبيان عددها وأقسامها وهذا بحول الله وقوته هو موضوع الفصلين التاليين - إن شاء الله تعالى -.

(١) من أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن) ص ٢٢-٦٥.

(٢) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري أبو العباس شهاب الدين، مقريء محدث (٨٥١-٩٢٣هـ). الأعلام ٢٣٢/١.

(٣) لطائف الإشارات ١/١٧١ وقارن بـ «إتحاف فضلاء البشر» ص ٥.

الفصل الأول : تعريف القراءات.

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : نشأة القراءات ومصدرها .
- المبحث الثاني : تعريف القراءات لغة واصطلاحاً .
- المبحث الثالث : الفرق بين القرآن والقراءة والرواية والوجه والطريق والوجه.

وإليك البيان :

المبحث الأول : نشأة القراءات ومصدرها.

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : نشأة القراءات .
- المطلب الثاني : مصدر القراءات .

المطلب الأول : نشأة القراءات .

بُديء القرآن العظيم بقول الله تبارك وتعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ العلق: ١-٥.

وأمر عليه الصلاة والسلام بالبلاغ قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ المدثر: ١-٥.

وكان أعظم ما أمر ﷺ ببلاغه القرآن العظيم قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ الاسراء: ١٠٦.

فأقرأ رسول الله ﷺ أصحابه القرآن على الوجه الذي أقرأه به جبريل عليه الصلاة والسلام:

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ القيامة: ١٦.

قال (ابن عباس رضي الله عنهما) : «كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفثيه.

فقال ابن عباس : فأنا أحركهم لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهم.

وقال سعيد : أنا أحركها كما رأيت ابن عباس يحركها فحرك شفثيه .
 (قال ابن عباس) : فأنزل الله تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال : جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْتَاه فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قال : فاستمع له وانصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه [الآيات الكريمات من سورة القيامة: ١٦-١٩].

[قال ابن عباس] : فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه (١).

ومكث رسول الله ﷺ طوال زمن الرسالة يتدارس القرآن مع جبريل عليه السلام كل عام في رمضان.

عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ (٢) قالت: «أسرَّ إليَّ النبي ﷺ أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي» (٣).

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس وأجود ما يكون في شهر رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن» (٤).

عن أبي هريرة (٥) رضي الله عنه قال : «كان يعرض على النبي ﷺ

(١) حديث صحيح .

أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي حديث رقم (٥).

(٢) فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ أم الحسن سيدة نساء هذه الأمة، تزوجها علي بن أبي طالب في السنة الثانية من الهجرة وماتت بعد النبي ﷺ بستة أشهر، وقد جاوزت العشرين بقليل . التقريب ص ٧٥١ .

(٣) حديث صحيح .

أخرجه البخاري معلقا في كتاب فضائل القرآن باب كان جبريل يعرض القرآن على رسول الله ﷺ ووصله في كتاب المناقب باب علامات النبوة حديث رقم (٣٦٢٤) .

(٤) هذا يخالف ما في حديث أبي هريرة الآتي بعده (في المتن) لأن فيه أن جبريل كان يعرض على النبي ﷺ وفي هذا أن النبي ﷺ كان يعرض على جبريل . ولا اختلاف إذ يحمل على أن كلا منهما كان يعرض على الآخر . فتح الباري ٤٤/٩ .

وقد ورد في رواية للحديث في البخاري في بدء الوحي: «وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن» فقلوه: «يدارسه» يشمل عرض كل واحد منهما على الآخر فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة . حديث صحيح .

أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ حديث رقم (٤٩٩٧) .

(٥) أبو هريرة الدوسي، صحابي جليل، حافظ الصحابة، اختلف في اسمه واسم أبيه، وأرجح ما قيل أنه عبدالرحمن بن صخر، مات سنة سبع وقيل: سنة ثمان وقيل: تسع

القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه وكان يعتكف في كل عام عشرا، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه» (١).

وأشفق رسول الله ﷺ على أمته أن تقرأ القرآن العظيم على حرف واحد فيشق عليها، فسأل الله أن يخفف عنها فأنزل الله تبارك وتعالى القرآن على سبعة أحرف "كلها شاف كاف".

عن أبي بن كعب قال: «إن النبي ﷺ كان عند أضائة بني غفار قال فاتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف.

فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لاتطبق ذلك. ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لاتطبق ذلك. ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف.

فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لاتطبق ذلك. ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأیما حرف قرؤا عليه فقد أصابوا» (٢).

وفي رواية: «لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال: يا جبريل بعثت إلى أمة أميين فيهم العجوز والشيخ والكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط.

فقال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف» (٣).

وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة. التقريب ص ٦٨١.

(١) حديث صحيح .

أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ حديث رقم (٤٩٩٨).

(٢) حديث صحيح .

أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب بيان أن القرآن نزل على سبعة أحرف حديث رقم (٢٨٠) واللفظ له وأخرجه أبوداود في كتاب الصلاة باب أنزل القرآن على سبعة أحرف حديث رقم (١٤٧٧-١٤٧٨) والنسائي في كتاب الصلاة باب جامع ما جاء في القرآن ١٥٤، ١٥٢/٢.

(٣) حديث صحيح .

أخرجه الترمذي في كتاب باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف حديث رقم (٢٩٤٤) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح و قد روي من غير وجه عن أبي بن كعب» سنن الترمذي ١٩٥/٥.

والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ١٥/٣ وحسن إسناده محقق جامع

فقرأ رسول الله ﷺ القرآن على أصحابه وعلمهم إياه، وأمرهم بتبليغه.
 عن ابن مسعود قال: «علمني رسول الله ﷺ - وكفي بين كفيه - التشهد
 كما يعلمني السورة من القرآن...» (١).
 عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا
 السورة من القرآن» (٢).
 ووجه الدلالة: أن رسول الله ﷺ علمهم التشهد بحروفه كما كان يعلمهم
 القرآن بحروفه ووجه الشبه في المشبه به أقوى وأوضح.
 عن ابن مسعود قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن
 حتى يعرف معانيهن والعمل بهن» (٣).
 عن أبي عبد الرحمن السلمي (٤) قال: «حدثنا الذين كانوا يقرئونا أنهم
 كانوا يستقرئون من النبي ﷺ فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها
 حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً» (٥).

-
- الأصول ٤٨٣/٢، وانظر ص ٣٣ رواية أخرى للحديث مع تخرجها.
 وأضاعة بني غفارتقدم في آخر بحث نزول القرآن ص ٣٤، ذكر الخلاف في تحديد
 مكانها، والمقصود في الحديث هنا - والله أعلم - أضاعة بني غفار التي في المدينة.
 (١) حديث صحيح .
 أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه واللفظ هنا أخرجه في كتاب الاستئذان باب
 الأخذ باليد حديث رقم (٦٢٦٥).
 (٢) حديث صحيح .
 أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب التشهد حديث رقم (٤٠٣).
 (٣) حديث صحيح .
 أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٨٠/١.
 وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري وقال: «هو موقوف
 على ابن مسعود، لكنه مرفوع معنى، لأن ابن مسعود إنما تعلم القرآن من رسول الله
 ﷺ فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النبوي المنير» - هـ.
 (٤) عبدالله بن حبيب بن ربيعة بفتح الموحدة وتشديد الياء أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي
 المقرئ، مشهور بكنيته ولأبيه صحبة، ثقة ثبت، مات بعد السبعين. التقريب
 ص ٢٩٩.
 (٥) حديث صحيح .
 أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٨٠/١ من طريق جرير عن عطاء بن السائب عن
 أبي عبد الرحمن السلمي.
 قلت: عطاء بن السائب قد اختلط بأخرة و جرير سمع منه بعد الاختلاط لكن ذكر
 الذهبي في كتابه «معرفة القراء الكبار» ٤/١ هـ أن حماد بن زيد رواه عن عطاء، وهو قد
 سمع منه قبل الاختلاط فالسند صحيح، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه

ومن أجل هذا كان صحابة رسول الله ﷺ إذا تعلم رجل منهم سورة البقرة جد وعظم في أعينهم.

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ، يعني : عظم» (١).

وأمرهم رسول الله ﷺ بتبليغ القرآن :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص (٢) رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» (٣).

قال ابن كثير (٧٧٤هـ) : «يعني ولو لم يكن مع أحدكم سوى آية واحدة فليؤدها إلى من ورائه، فبلغوا عنه ما أمرهم به فأدوا القرآن قرآنا والسنة سنة، لم يلبسوا هذا بهذا...»

فلهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبق من القرآن مما أداه الرسول ﷺ إليهم إلا وقد بلغوه إلينا ولله الحمد والمنة. (٤).

فَلَقِّنْ صحابة رسول الله ﷺ القرآن العظيم و حَدِّثْ فيه جماعة منهم، كانوا يتدارسون، ويرسلهم ﷺ ليعلموه الناس، فكان يقال لهم: (القراء).

لتفسير الطبري كما صححه محققو كتاب «معرفة القراء الكبار» للذهبي.

قلت : ويشهد له الذي قبله.

- (١) حديث صحيح .
- أخرجه أحمد في المسند (الميمنية) ٣/ ١٢٠-١٢١.
- (٢) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد (بالتصغير) ابن سعد بن سهم السهمي أبو محمد وقيل: أبو عبد الرحمن، أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح بالطائف على الأرجح سنة ٦٥هـ. التقريب ص ٣١٥.
- (٣) حديث صحيح .
- أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل حديث رقم (٣٤٦٢) والترمذي في كتاب العلم باب العلم باب ماجاء في الحديث عن بني إسرائيل حديث رقم (٢٦٧١).
- (٤) فضائل القرآن لابن كثير ص ١٩ بإختصار.

عن أنس رضي الله عنه : «إن رِعْلًا (١) وذَكْوَان (٢) وعُصَيَّة (٣) وبني لَحْيَان (٤) استمدوا رسول الله ﷺ على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار كُنَّا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ النبي ﷺ؛ ففقت شهرا يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب على رِعْل وذَكْوَان وعُصَيَّة وبني لَحْيَان» (٥).

وفي رواية عنه أيضا: «جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا : ابعث معنا رجلا يعلمونا القرآن والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم: القراء فيهم خالي حرام يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة والفقراء» (٦).

وحفظ القرآن في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم جمع من الصحابة اتصلت أسانيد القراءات ببعضهم (٧).

قال الذهبي (٨): «الذين عرضوا على رسول الله ﷺ القرآن: عثمان بن

(١) رِعْل بن مالك ، قبيلة من سليم بن منصور، من العدنانية تنتسب إلى رعل بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة ابن سليم بن منصور، إحدى القبائل التي لعنها رسول الله ﷺ لقتلهم أهل بئر معونة. جمهرة أنساب العرب ص ٢٦٢، ٤٦٨.

(٢) ذَكْوَان بن رفاعة قبيلة من بني سليم بن منصور، من قيس عيلان من العدنانية، وهي إحدى القبائل التي لعنها رسول الله ﷺ لقتلهم أهل بئر معونة. جمهرة أنساب العرب ص ٢٦٣، ٤٦٨.

(٣) عُصَيَّة بن خفاف قبيلة من بني سليم بن منصور، من قيس عيلان من العدنانية وهي إحدى القبائل التي لعنها رسول الله ﷺ إذ قتلوا أصحاب بئر معونة. جمهرة أنساب العرب ص ٢٦١، ٤٦٨.

(٤) لَحْيَان بن هذيل من العدنانية، وهم بنو لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد عدنان، وهي إحدى القبائل التي لعنها رسول الله ﷺ إذ قتلوا أصحاب بئر معونة. جمهرة أنساب العرب ص ١٩٦.

(٥) حديث صحيح .

أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة حديث رقم (٤٠٩٠).

(٦) حديث صحيح .

أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة حديث رقم (٦٧٧).

(٧) انظر صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي ﷺ.

(٨) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين أبوعبدالله، محدث ناقد مؤرخ (٦٧٣-٧٤٨هـ). الأعلام ٣٢٦/٥.

عفان [٣٥هـ] وعلي بن أبي طالب [ت ٤٠هـ] وأبي بن كعب [ت ٣٢هـ] على خلاف، وهذا [الراجح] وعبدالله بن مسعود [ت ٣٢هـ] وزيد بن ثابت [ت ٤٥هـ] وأبوموسى الأشعري (١) وأبو الدرداء (٢).

فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ وأخذ عنهم عرضا وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة.

وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة كعماد بن جبل (٣) وأبي زيد (٤) و سالم مولى أبي حذيفة (٥) و عبدالله بن عمر (٦) و عقبة بن عامر (٧) لكن لم تتصل بنا قراءتهم (٨).

فقرأ أصحاب الرسول ﷺ القرآن العظيم وأقرأوه، وحفظه جملة منهم،

(١) عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بفتح المهملة وتشديد الضاد المعجمة، أبوموسى الأشعري، صحابي مشهور، أمّره عمر ثم عثمان وهو أحد الحكمين بصفين مات سنة ٥٠هـ وقيل: بعدها. التقريب ص ٣١٨.

(٢) عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري أبو الدرداء مختلف في اسم أبيه وأما هو فمشهور بكنيته وقيل: اسمه عامر وعويمر لقب، صحابي جليل، أول مشاهده أحد، كان عابدا مات في أواخر خلافة عثمان، وقيل: عاش بعد ذلك. التقريب ص ٤٣٤.

(٣) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن مشهور من أعيان الصحابة، شهد بدرًا و ما بعدها وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن مات بالشام سنة ثمان عشرة. التقريب ص ٥٣٥.

(٤) عمرو بن أخطب أبوزيد الأنصاري، صحابي جليل، نزل البصرة مشهور بكنيته. التقريب ص ٤١٨.

(٥) سالم مولى أبي حذيفة بن عتيبة بن ربيعة بن عبد شمس، أحد السابقين الأولين، أستشهد يوم اليمامة في السنة ١٢هـ. الإصابة ٦/٢.

(٦) عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن، ولد بعد المبعث ببسبر واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة، وهو أحد الكثرين من الصحابة، والعبادة، وكان من أشد الناس اتباعا للأثر مات سنة ٧٣هـ في آخرها أو في أول التي تليها. التقريب ص ٣١٥.

(٧) وقع في معرفة القراء الكبار للذهبي ٤٢/١: «... عتبة بن عامر» بالتاء المثناة من فوق ولم أجد في الصحابة ولا في القراء ولا في الرواة من اسمه «عتبة بن عامر» وترجح - عندي - أنه تصحيف عن - عقبة بن عامر - والله أعلم.

وهو عقبة بن عامر بن عيس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودعة بن عدي بن غنم ابن قيس بن جهمية الجهني صحابي مشهور، قال ابن يونس: «كان قارئًا عالما بالفرائض والفقه فصيح اللسان شاعرا كاتبًا وهو أحد من جمع القرآن» وقال أيضا: «ورأيت مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف عثمان وفي آخره كتب عقبة بن عامر بيده» توفي سنة ٥٨هـ. الإصابة ٤٨٩/٢.

(٨) معرفة القراء الكبار ٢٤-٤٢ بتصرف واختصار.

وكان حفظه خصوصية خص الله بها كتابه القرآن العظيم دون سائر الكتب، وهذه أشرف خصوصية من الله تعالى بها على أمة محمد ﷺ و كان على هذا الحفظ الاعتماد في نقل القرآن العظيم تؤازره وتوثقه الكتابة كما بينا.

قال ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) : «الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب لا على المصاحف، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن ربي قال لي: أن قم في قريش فأنذرهم.

فقلت : أي رب اذا يثلغوا رأسي(١).

فقال : إني مبتليك ومبتل بك ، ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظانا، فابعث جندا أبعث مثليهم وقاتل بمن أطاعك من عصاك، وأنفق أنفق عليك»(٢).

فأخبر أن كتابه لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل قرأوه في كل حال كما جاء في نعت أمته: «أناجيلهم في صدورهم» بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ولا يقرأونه كله إلا نظرا لا عن ظهر قلب»(٣) اهـ.

قلت : إن القرآن العظيم لم يقتصر على كونه آيات تتلى أو تقرأ وتحفظ في الصدور وإنما كان أيضا كتابا مدونا بالمداد فهاتان الصورتان تتضافران وتصح كل منهما الأخرى، ولهذا كان الرسول ﷺ كلما جاءه الوحي بالقرآن تلاه على الحاضرين وأملاه من فوره على كتبه الوحي ليدونوه على أي شيء كان في متناول أيديهم مما تمكن الكتابة عليه(٤).

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) : «ولما خصَّ الله تعالى بحفظه من شاء من أهله أقام له أئمة ثقات تجردوا لتصححه وبذلوا أنفسهم في اتقانه وتلقوه

(١) يثلغوا رأسي: أي: يشدخوا.

(٢) حديث صحيح .

أخرجه مسلم في كتاب الجنة باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار عن عياض بن حمار حديث رقم (٢٨٦٥) ولفظ محل الشاهد منه: «إن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا... وقال: إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان.

وإن الله أمرني أن أحرق قريشا، فقلت : ربّ إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة.

قال : أستخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق فسنفق عليك، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك...»

(٣) مجموع الفتاوي ٤٠٠/١٣.

(٤) مدخل إلى القرآن الكريم ص ٣٤.

من النبي ﷺ حرفا حرفا لم يهملوا منه حركة و لا سكونا و لا إثباتا و لا حذفاء، ولا دخل عليهم في شيء منه شك و لا وهم و كان منهم من حفظه كله ومنهم من حفظ أكثره ومنهم من حفظ بعضه كل ذلك في زمن النبي ﷺ اهـ (١).

القراء من الصحابة :

ولما توفي رسول الله ﷺ و جاء أبوبكر خليفة رسول الله ﷺ كان ما كان من أمر حروب الردة، واستحرار القتل في القراء من الصحابة، فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أبي بكر بجمع القرآن العظيم في صحف خشية زهابه - والعياذ بالله - بذهاب القراء من الصحابة، فجمع المصحف في صحف كانت عند أبي بكر حتى توفي ثم عند عمر حتى توفي ثم عند حفصة رضي الله عنها أم المؤمنين ووصية عمر رضي الله عنهما. وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه انتشر الصحابة في أرجاء البلاد التي دخلت في الاسلام يعلمون الناس أمور دينهم ويقرئونهم كتاب ربهم.

وفي أواخر عام أربع وعشرين وأوائل عام خمس وعشرين من الهجرة حضر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فتح أرمينية و أذربيجان، فرأى وسمع من الناس ما أفزعهم، إذ اختلف عوام الناس في القرآن فصار أحدهم يقول للآخر: قراءتي خير من قراءتك، فقدم المدينة على عثمان وطلب إليه أن يضع حدا لهذا اللجاج الذي قد يؤدي إلى مثل ما وقع فيه اليهود والنصارى من فرقة بشأن كتبهم، فشغل عثمان لجنة من أربعة نساخ هم : زيد بن ثابت - وهو من الانتصار - وعبدالله بن الزبير و سعيد بن العاص و عبدالرحمن بن الحارث - من المهاجرين - وكلفهم بنسخ مصحف حفصة بعدد من النسخ يعادل عدد الأمصار الرئيسية في الدولة الاسلامية، وقال لهم: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم» (٢).

وبانتهاء هذا العمل بما يتفق تماما مع النص الأصلي أعيد مصحف حفصة اليها بينما وزعت النسخ على الأمصار (٣).

(١) النشر في القراءات العشر ٦/١.

(٢) أثر صحيح . سبق تخريجه ص ٤١، ٣٢.

(٣) مدخل إلى القرآن الكريم ص ٣٨-٣٩ بتصرف، وقد تقدم الحديث بتوسع عن جمع القرآن.

القراء من التابعين :

[وقرأ أهل كل مصر بما في مصحفهم وتلقوا مافيه عن الصحابة الذين تلقوه من رسول الله ﷺ].

ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ [١].

وقد كثر هؤلاء وانتشروا في البلاد وكان منهم (٢) :

(١) في المدينة : سعيد بن المسيب (٣) و عروة بن الزبير (٤) و سالم بن عبدالله (٥) وابن شهاب الزهري (ت ١٢٣هـ) وعبدالرحمن بن هرمز الذي يعرف بالأعرج (٦).

(٢) وفي مكة : عبيدالله بن عمير الليثي (٧) وعطاء بن أبي رباح (٨) وطاووس (٩) وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠هـ) وعبدالله بن أبي مليكة (١٠).

(١) من كلام ابن الجزري في النشر ٨/١.

(٢) جمال القراء ٢/٢٥٥ نقلا عن كتاب «القراءات» لأبي عبيد، وقارن بـ«النشر» ٨/١.

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين. التقريب ص ٢٤١.

(٤) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أبوعبدالله المدني، ثقة فقيه مشهور مات سنة أربع وتسعين على الصحيح ومولده في أوائل خلافة عثمان. التقريب ص ٣٨٩.

(٥) سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أبوعمر أو أبوعبدالله المدني أحد الفقهاء السبعة كان ثبنا عابدا فاضلا كان يشبه بأبيه في الهدى والسمت مات في آخر سنة ست ومئة على الصحيح. التقريب ص ٢٢٦.

(٦) عبدالرحمن بن هرمز الأعرج أبوداود المدني، مولى ربيعة بن الحارث، ثقة فقيه ثبت عالم مات سنة سبع عشرة ومئة. التقريب ص ٣٥٢.

(٧) عبيد الله بن عبيد بن غمير بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع أبوهاشم الليثي المكي، تابعي جليل مات سنة ١١٣هـ. غاية النهاية ١/٤٣٠.

وذكر في «النشر» بدلا منه: «عبيد بن عمير»، له ترجمة في «غاية النهاية» ١/٤٩٧.

(٨) عطاء بن أبي رباح بفتح الراء والموحدة واسم أبي رباح أسلم القرشي مولاهم المكي، ثقة فقيه فاضل مات سنة أربع عشرة ومئة على المشهور. التقريب ص ٣٩١.

(٩) طاووس بن كيسان اليماني أبوعبدالرحمن الحميري مولاهم الفارسي يقال: اسمه ذكوان و طاووس لقب، ثقة فقيه فاضل مات سنة ست ومئة، وقيل: بعد ذلك. التقريب ص ٢٨١.

(١٠) عبدالله بن عبيدالله بن عبدالله بن أبي مليكة بالتصغير ابن عبدالله بن جدعان، يقال اسم أبي مليكة زهير التيمي المدني، أدرك ثلاثين من الصحابة، ثقة فقيه مات سنة سبع عشرة ومئة. التقريب ص ٣٢١.

(٣) وفي الكوفة : علقمة بن قيس (١) والأسود بن يزيد (٢) ومسروق بن الأجدع (٣) وعبيدة السلماني (٤) وعمرو بن شرحبيل (٥).
 (٤) وفي البصرة : عامر بن عبد الله (٦) و أبو العالية الرياحي (٧) وأبو رجاء العطاردي (٨) ونصر بن عاصم الليثي (٩) ويحيى بن يعمر (١٠).
 (٥) وفي الشام : المغيرة بن أبي شهاب المخزومي (١١) و خلود بن سعد (١٢).

القراء بعد التابعين :

قال أبو عبيد القاسم بن سلام (١٣) بعد ذكر هؤلاء وغيرهم: «ثم قام من

- (١) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، ثقة ثبت فقيه عابد مات بعد الستين وقيل: بعد السبعين. التقريب ص ٣٩٧.
- (٢) الأسود بن يزيد بن قيس النخعي أبو عمرو أو أبو عبد الرحمن مخضرم ثقة مكث فقيه مات سنة أربع أو خمس وسبعين. التقريب ص ١١١.
- (٣) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي أبو عائشة الكوفي، ثقة فقيه عابد، مخضرم مات سنة اثنتين ويقال: سنة ثلاث وستين. التقريب ص ٥٢٨.
- (٤) عبيدة بن عمرو السلماني بسكون اللام، ويقال: بفتحها المرادي أبو عمرو الكوفي تابعي كبير مخضرم، فقيه ثبت مات سنة اثنتين وسبعين أو بعدها والصحيح أنه مات قبل سنة سبعين. التقريب ص ٣٧٩.
- (٥) عمرو بن شرحبيل الهمداني أبو ميسرة الكوفي، ثقة عابد مخضرم مات سنة ثلاث وستين. التقريب ص ٤٢٢.
- (٦) عامر بن عبد الله هو الذي يعرف بابن عبد قيس كان يقرئ الناس. جمال القراء ٤٢٧/٢.
- (٧) رفيع بالتصغير ابن مهران أبو العالية الرياحي بكسر الراء والتحتانية ثقة كثير الإرسال مات سنة تسعين وقيل: ثلاث وتسعين وقيل: بعد ذلك. التقريب ص ٢١٠.
- (٨) عمران بن تيم ويقال: ابن ملحان أبو رجاء العطاردي البصري التابعي الكبير ولد قبل الهجرة بأحدى عشرة سنة، وكان مخضرمًا، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره فهو تابعي لذلك مات سنة خمس ومئة. غاية النهاية ٦٠٤/١.
- (٩) نصر بن عاصم الليثي ويقال الدولي البصري النحوي تابعي، توفي قديما قبل سنة مئة، قال خليفة: مات سنة تسعين. غاية النهاية ٣٣٦/٢.
- (١٠) يحيى بن يعمر أبو سليمان العدواني البصري، تابعي جليل يقال: إنه أول من نقط المصاحف، توفي قبل سنة تسعين. غاية النهاية ٣٨١/٢.
- (١١) المغيرة بن أبي شهاب عبد الله بن عمرو بن المغيرة بن ربيعة بن عمرو بن مخزوم أبو هاشم المخزومي الشامي أخذ القراءة عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ومات سنة ٩١هـ. غاية النهاية ٣٠٥/٢.
- (١٢) خلود بن سعد السلماني مولى أم الدرداء تابعي قاري. جمال القراء ٤٣١/٢.
- (١٣) القاسم بن سلام أبو عبيد الخراساني الأنصاري مولا هم البغدادي امام كبير حافظ علامة، صاحب التصانيف في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر مات سنة أربع

بعدهم بالقرآن قوم ليست لهم أسنان من ذكرنا ولا قدمتهم غير أنهم تجردوا للقراءة واشتدت بها عنايتهم ولها طلبهم حتى صاروا بذلك أئمة يأخذها الناس عنهم ويقتدون بهم فيها» اهـ (١).

ومن هؤلاء :

(١) بالمدينة : أبوجعفر يزيد بن القعقاع (٢) ثم شيبه بن نصاح (٣) ثم نافع ابن أبي نعيم (٤) .

(٢) وبمكة : عبدالله بن كثير (٥) وحמיד بن قيس الأعرج (٦) ومحمد بن محيصن (٧) .

(٣) وبالكوفة : يحيى بن وثاب (٨) وعاصم بن أبي النجود (٩) وسليمان

وعشرين ومائتين بمكة . غاية النهاية ١٨/٢ .

(١) جمال القراءة ٤٢٨/٢ ، نقلا عن كتاب «القراءات» لأبي عبيد .

(٢) يزيد بن القعقاع الإمام أبوجعفر المخزومي المدني القاري أحد القراء العشرة تابعي مشهور كبير القدر ويقال : اسمه جندب ابن فيروز ، مات سنة ١٣٠ وقيل : سنة ١٣٢ وقيل : غير ذلك . غاية النهاية ٣٨٢/٢ .

(٣) شيبه بن نصاح بن سرجس بن يعقوب امام ثقة مقريء المدينة مع أبي جعفر وقاضيهامولى أم سلمة رضي الله عنها مسحت على رأسه ودعت له بالخير وهو أول من ألف في الوقوف مات سنة ١٣٠هـ في أيام مروان بن محمد وقيل : ١٣٨هـ في أيام المنصور . غاية النهاية ٣٣٠/١ .

(٤) نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم أبودرويم ويقال : أبونعيم ويقال : أبوالحسن وقيل : أبو عبدالله وقيل : أبو عبدالرحمن الليثي مولا هم ، وهو مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبدالمطلب ، أحد القراء السبعة ، ثقة صالح ، مات سنة تسع وستين ومئة وقيل : سبعين وقيل : سبع وستين وقيل غير ذلك . غاية النهاية ٣٣٠/٢ .

(٥) عبدالله بن كثير ، امام أهل مكة في القراءة (٤٥-١٢٠هـ) . غاية النهاية ٤٤٣/١ .

(٦) حميد بن قيس الأعرج أبو صفوان المكي القاري ثقة توفي سنة ١٣٠هـ . غاية النهاية ٢٦٥/١ .

(٧) محمد بن عبدالرحمن بن محيصن السهمي ، مولا هم المكي مقريء أهل مكة مع ابن كثير ، ثقة مات سنة ١٢٢هـ وقيل : سنة ١٢٣هـ . غاية النهاية ١٦٧/٢ .

(٨) يحيى بن وثاب الأسدي مولا هم الكوفي تابعي ثقة كبير من العباد الأعلام مات سنة ١٠٣هـ . غاية النهاية ٣٨٠/٢ .

(٩) عاصم بن بهدلة أبي النجود بفتح النون وضم الجيم أبوبكر الأسدي مولا هم الكوفي شيخ الإقراء بالكوفة ، أحد القراء السبعة توفي سنة ١٢٧هـ وقيل غير ذلك . غاية النهاية ٣٤٦/١ .

الأعمش (١) ثم حمزة (٢) ثم الكسائي (٣).
 (٤) وبالبصرة : عبدالله بن أبي اسحاق الحضرمي (٤) وعيسى بن عمر
 الثقفي (٥) وأبو عمرو بن العلاء (٦) ثم عاصم الجحدري (٧) ثم يعقوب
 الحضرمي (٨).
 (٥) وبالشام : عبدالله بن عامر (٩) وعطية بن قيس الكلابي (١٠) ويحيى بن

- (١) سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الأسدي الكاهلي مولا هم الكوفي، امام جليل (٦٠-١٤٨هـ). غاية النهاية ٣١٥/١.
- (٢) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الامام الحبر أبو عمارة الكوفي التيمي مولا هم، وقيل: من صميمهم الزياد أحد القراء السبعة (٨٠-١٥٦هـ). غاية النهاية ١/ ٢٦١.
- (٣) علي بن حمزة بن عبدالله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولا هم ، أبو الحسن الكسائي إمام انتهت اليه رئاسة الاقراء بالكوفة بعد حمزة الزياد توفي سنة ١٨٩هـ. غاية النهاية ٥٣٥/١.
- (٤) عبدالله بن إسحاق الحضرمي النخوي البصري ، جد يعقوب بن إسحاق الحضرمي توفي سنة ١١٧هـ. غاية النهاية ١٤٠/١.
- (٥) عيسى بن عمر أبو عمر الثقفي النخوي البصري ، مات سنة ١٤٩هـ. غاية النهاية ٦١٣/١.
- (٦) زبّان بن العلاء بن عمار بن إلغريان بن عبدالله بن الحسين بن الحارث بن جلهمة بن حجر بن خزاعي ، أبو عمرو التيمي المازني البصري ، أحد القراء السبعة ، مات سنة ١٥٤هـ وقيل غير ذلك . غاية النهاية ٢٨٨/١.
- (٧) عاصم بن أبي الصباح العجاج ، وقيل: ميمون أبو المجشر بالجيم والشين المعجمة مشددة مكسورة ، الجحدري البصري توفي قبل ١٣٠هـ. غاية النهاية ٣٤٩/١.
- (٨) يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبدالله بن أبي اسحاق أبو محمد الحضرمي ، مولا هم البصري أحد القراء العشرة ، وإمام أهل البصرة ومقرها توفي سنة ٢٠٥هـ. غاية النهاية ٣٨٦/٢.
- (٩) عبدالله بن عامر بن زيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبدالله بن عمران اليحصبي بضم الصاد وكسرهما نسبة الى يَحْصِبُ بن دهمان بن عامر بن حمير بن سبأ وقيل: يَحْصِبُ بن مالك بن أصبح بن ابرهة بن الصباح ، أبو عمران امام أهل الشام في القراءة والذي انتهت اليه مشيخة الإقراء بها مات سنة ١١٨هـ. غاية النهاية ٣٨٦/١.
- (١٠) عطية بن قيس أبو يحيى الكلابي الحمصي الدمشقي تابعي قاريء دمشق بعد ابن عامر ثقة مات سنة ١٢١هـ. غاية النهاية ٥١٣/١.

الجارث الذماري(١) ثم شريح بن يزيد الحضرمي(٢). (٣).

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) :«ثم إن القراء بعد هؤلاء المذكورين كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا وخلفهم أمم بعد أمم وعرفت طبقاتهم واختلفت صفاتهم فكان منهم : المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية . ومنهم : المقتصر على وصف من هذه الأوصاف . وكثر بينهم لذلك الاختلاف و قلَّ الضبط واتسع الخرق و كاد الباطل يلتبس بالحق فقام جهابذة علماء الأمة و صناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد و بينوا الحق المراد و جمعوا الحروف والقراءات و عَزَّوْا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ ، والصحيح والفاذ بأصول أصلوها و أركان فصلوها» اهـ(٤) فرضي الله عنهم وأرضاهم بما قدموا من خدمة القرآن و الاسلام.

هذا ما كان من نشأة القراءات في هذا الطور ، حيث لم تتجاوز مجرد التلقي والسماع ، ثم انتقلت من طور الرواية المجردة إلى طور الرواية مع التدوين والتأليف ، والحديث عن هذا الطور الثاني سيأتي في موضعه من هذه الرسالة (٥) - إن شاء الله - والله المستعان.

-
- (١) يحيى بن الحارث بن عمرو بن يحيى بن سليمان بن الحارث أبوعمر و يقال: أبوعمر و يقال: أبوعليّ، الغساني الذماري ثم الدمشقي، إمام الجامع الأموي وشيخ القراءة بدمشق بعد ابن عامر يعد من التابعين مات سنة ١٤٥هـ. غاية النهاية ٣٦٧/٢.
- (٢) شريح بن يزيد أبوحياة الحضرمي الحمصي صاحب القراءة الشاذة ، ومقرئ الشام مات سنة ٢٠٣هـ. غاية النهاية ٣٢٥/١.
- (٣) جمال القراءة ٤٢٥-٤٣١ و قارن بالنشر ٨/١-٩.
- (٤) النشر ٩/١.
- (٥) في الباب الثاني من هذا القسم .

المطلب الثاني : مصدر القراءات .

الأصل في القراءات إنما هو التلقي والسماع عن رسول الله ﷺ كما وضحت في المطلب السابق، وقد تقرر ذلك بالأدلة القاطعة ومنها:
قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ الاسراء: ١٠٦.

وجه الدلالة في هذه الآية الكريمة : أنها تقرر أن القرآن العظيم انما نزل من عند الله تعالى، وأنه سبحانه وتعالى فرقه على زمن البعثة ليقراه عليه الصلاة والسلام على الناس.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ القيامة: ١٦-١٩.
وقوله تبارك وتعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنَذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: ٢.

وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا. قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهِ، وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ الكهف: ١-٣.

وفي هذه الآيات تقرير أن القرآن العظيم من عند الله تعالى وأن الرسول ﷺ مهمته إعلام الناس به.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «سمعت هشام بن حكيم بن حزام (١) يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة ، لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره (٢) في الصلاة فتربصت (٣) حتى سلم، فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها؟»

قال : أقرأنيها رسول الله ﷺ .

(١) أسلم يوم الفتح، ومات قبل أبيه، وكان من فضلاء الصحابة قال ابن شهاب: كان هشام ابن حكيم في نفر من أهل الشام يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ليس لأحد عليهم إمارة.

قال أبو نعيم: استشهد بإجنادين .

ووقعة إجنادين كانت عام ١٥هـ . الإستيعاب ٩٣/٣ الإصابة ٦٠٣/٣ .

(٢) أساوره أوأثبه وأقاتله . النهاية ٤٢٠/٢ .

(٣) تربصت التربص المكث والانتظار . النهاية ١٨٤/٢ .

فقلت : كذبت ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيتها على غير ما قرأت.
فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ .
فقلت : يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان (١) على حروف
لم تقرئنيها .

فقال رسول الله ﷺ : إقرأ ياهشام .
فقرأ عليه القراءة التي كنت سمعته يقرأ .
فقال رسول الله ﷺ : هكذا أنزلت، ثم قال النبي ﷺ : اقرأ يا عمر
فقرأت القراءة التي أقرأني .
فقال رسول الله ﷺ : هكذا أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة
أحرف، فاقروا ما تيسر منه» (٢) .

وهذا الحديث يدل على أمور منها :

- أن القراءات مبنية على التلقي والرواية لا على الرأي
والدراية و يؤخذ هذا من قول عمر لما سمع هشاماً يقرأ: «فاذا هو يقرأ
على حروف لم يقرئنيها رسول الله ﷺ» ومن قول هشام لعمر: «أقرأنيتها رسول
الله ﷺ» ومن قول عمر لهشام: «فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيتها على غير ما
قد قرأت» وقول عمر للرسول: «إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف
لم تقرئنيها» وقول الرسول: «إقرأ ياهشام. قال: عمر فقرأ القراءة التي
سمعته يقرأ بها» وقول الرسول: «اقرأ يا عمر» فقال عمر: «فقرأت القراءة
التي أقرأني» ثم إقرار الرسول ﷺ لهذا كله كما في تمام الحديث.
فالحديث قد تكررت فيه لفظة: «الاقراء» مما يدل على أن القراءات إنما
ثبتت بالتوقيف والتلقين والتلقي، والأخذ والمشافهة، والنقل والسماع، عن
رسول الله ﷺ .

ويلاحظ في هذا : أن عمر رضي الله عنه لمّا أنكر على هشام بن حكيم
رضي الله عنه لم ينكر عليه لأنه سمع مالميس في لغته وإنما كان ذلك لأنه سمع

(١) فيه جواز قول سورة كذا، وفيه أن تسمية السورة بـ«الفرقان» توقيفية .

(٢) حديث صحيح .

أخرجه البخاري في مواضع منها في كتاب فضائل القرآن باب أنزل القرآن على سبعة
أحرف حديث رقم (٤٩٩٢) وباب من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا
حديث رقم (٥٠٤١) ومسلم في كتاب الصلاة باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف
حديث رقم (٨١٨) .

وأخرجه مالك وأبو داود والنسائي والترمذي كما في جامع الأصول ٤٧٩/٢ .
وهو حديث متواتر . انظر نظم المتناثر ص ١١١ .

خلاف ما قرأه النبي ﷺ حسب علمه رضي الله عنه.

ويؤكد هذا الأمر رجوع عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فلو كانت القراءة بالرأي وبالهوى لما احتاج عمر إلى هذا الرجوع ، مما يبين أوضح بيان أنه ليس لأحد أن يقرأ برأيه واختياره أو من تلقاء نفسه وليس لأحد منهم أن يقرأ حسب رغبته وهواه - ولو صح لغة - فيغير عبارة بعبارة، أو يأتي في مكان اللفظ بمرادفه أو مساويه خاصة وعمر وهشام قرشيان لغتهما واحدة، ومع ذلك اختلفت قراءتهما لاختلاف الإقراء النبوي لكل واحد منهما.

- أن القراءات منزلة من عند الله تعالى، وموحى بها إلى النبي ﷺ و يؤخذ هذا من قول الرسول ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف».

- أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا في الذروة العليا رقة وضبطا لألفاظ القرآن الكريم، وإحكاما لكلماته وحروفه و حرصا على إمالة أدنى تصحيف عن ساحته و حسبنا برهانا على ذلك موقف عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم، ومن تلبينه له وأخذه بخناقه، وسوقه لرسول الله ﷺ لما سمعه يقرأ على غير القراءة التي أقرأه إياها رسول الله ﷺ (١).
- وفي كل ذلك تأكيد على أن القراءات تلق ورواية وليست رأيا ودراية.

لذلك نجد أصحاب القراءات يرجعون قراءاتهم إلى صحابة رسول الله ﷺ و كلهم يروي عن رسول الله ﷺ (٢).

(١) هذه الأمور التي استفيدت من حديث هشام بن حكيم ذكرها مع بسط في الموضوع صاحب كتاب «القراءات في نظر المستشرقين والملحدين» ص ٤٥-٤٧.

(٢) جرى المصنفون في كتب القراءات على عقد فصول في مقدماتها تتضمن أسانيد القراءات التي يوردونها؛ وذلك تأكيدا منهم لهذا الأصل التلقي والسماع. وقد يظن من لا يمعن النظر أنه لافائدة في حشد هذه الأسانيد في أول كتب القراءات، فإذا تمعن وجد أن لايرادها فائدة وأصلا أصيلا وهو تأكيد شأن اعتمادهم فيما يوردونه من قراءات على التلقي والسماع.

ومن علماء القراءات مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) عقد في مقدمته لكتابه «التبصرة» في القراءات السبع فصلا ترجمته: «ذكر إتصال قراءة من ذكرنا من الأئمة بالنبي ﷺ و شرف وكرم» التبصرة ص٤٤-٧٤.

قال الخطابي (١) : «إن اصحاب القراءات من أهل الحجاز والشام والعراق كل منهم عزا قراءته التي اختارها إلى رجل من الصحابة قرأها على رسول الله ﷺ لم يستثن من جملة القرآن شيئا . فأسند عاصم قراءته إلى علي وابن مسعود . وأسند ابن كثير قراءته إلى أبي . وكذلك أبو عمرو بن العلاء أسند قراءته إلى أبي . وأما عبد الله بن عامر فانه أسند قراءته إلى عثمان . وهؤلاء كلهم يقولون قرأنا على رسول الله ﷺ وأسانيد هذه القراءات متصلة ورجالها ثقات» اهـ (٢) .

فالقراءات سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول عن رسول الله ﷺ . قال ابن مجاهد (٣) : «القراءة التي عليها الناس بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام، هي القراءة التي تلقوها عن أوليهم تلقيا وقام بها في كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين أجمعت الخاصة والعامة على قراءته و سلكوا فيها طريقه، وتمسكوا بمذهبه على ما روي عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وعروة بن الزبير ومحمد بن المنكدر (٤) وعمر بن

(١) حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي أبو سليمان الخطابي، فقيه محدث (٣١٩-٣٨٨هـ) . الأعلام ٢/٢٧٣ .

(٢) نقله القرطبي في تفسيره ١/٥٩ .

ليُعلم أن نسبة القراءة إلى شخص من هؤلاء القراء لا يعني كونها أحادية؛ لأن كل قراءة نسبت إلى قارئ من هؤلاء كان قراؤها زمن قارئها وقبله أكثر من قرائها في هذا الزمان وأضعافهم .

قال أبو المعالي محمد بن أحمد بن اللبان (ت ٧٧٦هـ) - وهو من شيوخ ابن الجزري - : «إنحصار الأسانيد في طائفة لا يمنع مجيء القرآن عن غيرهم، فلقد كان يتلقاه أهل كل بلد يقرأه منهم الجم الغفير عن مثلهم، وكذلك دائما، والتواتر حاصل لهم، ولكن الأئمة الذين تصدوا لضبط الحروف وحفظ شيوخهم فيها جاء السند من جهتهم، وهذه الأخبار الواردة في حجة الوداع ونحوها أجلى، ولم تزل حجة الوداع منقولة ممن يحصل بهم التواتر عن مثلهم في كل عصر؛ فهذه كذلك» .

وقال ابن اللبان رحمه الله أيضا : « هذا موضع ينبغي [التنبه] له» اهـ . نقله في المنجد ص ٧٠ وانظر منه ص ٦٧-٧٠ ولطائف الاشارات ١/٧٨ .

(٣) أحمد بن موسى بن العباس التيمي أبوبكر بن مجاهد ، كبير العلماء بالقراءات في عصره توفي سنة ٣٢٤هـ . الأعلام ١/٢٦١ .

(٤) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بالتصغير التيمي المدني، ثقة فاضل مات سنة ١٣٠هـ أو بعدها . التقريب ص ٥٠٨ .

عبد العزيز (١) وعامر الشعبي أنهم قالوا (٢): «القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول فاقروءه كما تجدونه» اهـ (٣).

ومن ثمَّ حذروا من أخذ القرآن من المصحِّفين الذين أخذوا القرآن من المصحف و الصحف ولم يتلقوه بالسمع والمشافهة.

عن سليمان بن موسى (٤) قال: «كان يقال: لاتأخذوا القرآن من المصحفيين ولا العلم من الصحفيين» (٥).

عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي (٦) قال: «كان يقال: لاتحملوا العلم عن صُحفي، ولا تأخذوا القرآن من مصحفي» (٧).

ومنعوا القراءة بالقياس المطلق وهو الذي ليس له أصل في القراءة يرجع إليه، ولا ركن وثيق في الأداء يعتمد عليه (٨).

يقول ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) أثناء كلامه عن حملة القرآن:

«ومنهم من يعرب قراءته، ويبصر المعاني ويعرف اللغات ولا علم له بالقراءات، واختلاف الناس والآثار، فربما دعاه بصره بالإعراب إلى أن يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضيين، فيكون بذلك مبتدعاً، وقد رويت في كراهة ذلك وحظره أحاديث»

ثم ساق بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «اتبعوا ولا تبدعوا فقد كفيتم»

وبسنده عن حذيفة قال: «اتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أمير المؤمنين، امه أم عاصم بن عمر بن الخطاب، ولي أمرة للوليد وكان مع سليمان كالوزير و ولي الخلافة بعده فعد من الخلفاء الراشدين، مات في رجب سنة ١٠١هـ ومدة خلافته سنتان ونصف. التقريب ص ٤١٥.

(٢) ساق ابن مجاهد رحمه الله أسانيده إلى هؤلاء وأقوالهم، وهي في معنى النص الذي لفته منها.

(٣) كتاب السبعة ص ٤٩-٥٢ بتصرف واختصار.

(٤) سليمان بن موسى الأموي مولا هم الدمشقي، الأشدق، صدوق فقيه في حديثه بعض لين وخولط قبل موته بقليل. التقريب ص ٢٥٥.

(٥) تصحيقات المحدثين ٦/١.

(٦) سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي ثقة إمام سواه أحمد بالأوزاعي و قدمه أبو مسهر لكنه اختلط في آخر أمره مات سنة ١٦٧هـ وقيل: بعدها. التقريب ص ٢٣٨.

(٧) تصحيقات المحدثين ٧/١.

(٨) النشر ١٧/١ وأنظر الاتقان (أبوالفضل) ٢١٧/١.

كان قبلكم، فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن تركتموهم يمينا وشمالاً، لقد ضللتم ضلالاً بعيداً»

وبسنده عن علي بن أبي طالب قال: «إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا القرآن كما علمتم» (١).

وبسنده عن عبد الله قال: «إني سمعت القرأة فرأيتهم متقاربين، فأقرأوا كما علمتم وإياكم والتنطع والاختلاف وإنما هو كقول أحدكم: هلم وأقبل وتعال» (٢).

وبسنده عن أبي عمرو بن العلاء قال: «لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا وحرف كذا كذا»

وبسنده عن الأصمعي (٣) قال: قلت لأبي عمرو بن العلاء: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾ في موضع ﴿وَوَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ في موضع، أيعرف هذا؟ فقال: ما يعرف إلا أن يسمع من المشايخ الأولين (٤).

(١) حديث صحيح .

أخرجه أحمد في المسند (شاكراً) ٣٥/٥ رقم (٣٩٨١) بنحوه والحاكم في المستدرک ٢٢٣/٢-٢٢٤ وأخرجه الطبري في تفسيره (شاكراً) ٢٣/١-٢٤ ولفظ ابن مجاهد عند الطبري تحت رقم (٣١) وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» تحت رقم (٧٥٧، ٧٥٣) وأخرجه ابن حبان في صحيحه (موارد الزمآن) ص ٤٤١ تحت رقم (١٧٨٣) وأخرجه بنحوه أبو يعلى في مسنده (أسد) ٤٠٨/١ رقم (٥٣٦).

والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وصححه ابن حبان والشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ولتفسير الطبري وحسنه الشيخ حسين أسد في تحقيقه لمسند أبي يعلى.

(٢) أثر صحيح .

أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٣٣٤ تحت رقم (٧٨٤) وأخرجه الطبري في تفسيره (شاكراً) ٥٠/١-٥١ بإسنادين أحدهما عال جداً كما قال الشيخ أحمد شاكر . قال الشيخ أحمد شاكر: «هذا الأثر لم نجده في غير هذا الكتاب (يعني: تفسير الطبري)» ٥٧/١ ..

قلت : أخرجه ابن مجاهد بسنده في كتاب «السبعة» كما ترى وأبو عبيد في فضائل القرآن كما ذكرت في التخریج، و لعل الشيخ لم يقف عليهما .

(٣) عبد الملك بن قزيب بن عبد الملك بن علي بن أصمع أبوسعيد الباهلي الأصمعي البصري، صدوق سني، مات سنة ٢١٠هـ . التقريب ص ٣٦٤ .

(٤) قال محقق كتاب «السبعة» تعليقا على هذا الموضع في كتاب «السبعة» ص ٤٨ : «هذه الآية وتالياتها وردتا في قصة إبراهيم عليه السلام بسورة الصافات؛ الأولى رقم ١١٣، والثانية رقم ١٠٨، وصورتها في مصحف عثمان واحدة وواضح من إجابة أبي عمرو بن العلاء أن المعول في ذلك على السماع من الشيوخ الثقات» هـ .

قلت : الأمر كما قال ؛ وذلك أن الأصمعي إنما سأل أبا عمرو عن طريقة يمكن بها التمييز بين المتشابه في الرسم من الآيات ، وإجابته أبو عمرو بأنه لا يعرف إلا بالسماع

وقال (الأصمعي) : قال أبو عمرو: «إِنَّمَا نَحْنُ فَيَمْنُ مَضَى كَبَقْلٍ فِي أَصُولِ
نَخْلٍ طَوَالٍ.» اهـ (١).

قلت : ومن هذا أيضا لما أنكر شبل بن عباد (٢) أحرفا من قراءة ابن
محيسن وابن كثير وقال لهما: «إِنَّ الْعَرَبَ لَا تَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَا أَصْحَابُ النَّحْوِ ! .
فَقَالَا : إِنَّ النَّحْوَ لَا يَدْخُلُ فِي هَذَا، هَكَذَا سَمِعْنَا أَثْمَتْنَا وَمَنْ مَضَى مِنْ
السَّلَفِ» اهـ (٣).

قلت : فَبَيَّنَّا لَهُ أَنَّ الْقِرَاءَةَ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ يَتْلَقَاهَا الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ وَهِيَ تَحْكُمُ
عَلَى اللُّغَةِ وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا عِلْمُنَا بِاللُّغَةِ لِأَنَّ اللُّغَةَ أَوْسَعُ مِنْ عِلْمِنَا بِهَا، وَاللَّهُ
تَعَالَى قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

ولقد قرر العلماء - رحمهم الله - هذا الأصل في كلامهم وشددوا
عليه فمن ذلك :

. قول أبي اسحاق الزجاج (٤): «إِنَّ الْقِرَاءَةَ سُنَّةٌ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقْرَأَ
قَارِيءٌ بِمَا لَمْ يَقْرَأْ بِهِ الصَّحَابَةُ، أَوْ التَّابِعُونَ أَوْ مَنْ كَانَ مِنْ قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ
الْمَشْهُورِينَ فِي الْقِرَاءَةِ» اهـ (٥).

. قول أبي الفتح ابن جني (٦) : «لَوْ قَرَأَ قَارِيءٌ: «إِنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ» (٧) بِكُسْرِ
الْهَمْزَةِ عَلَى الْحِكَايَةِ الَّتِي لِلْفِظِ بَعِيْنُهُ لَكَانَ جَائِزًا، لَكِنْ لَا يَقْدُمُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنْ
يَرِدَ بِهِ أَثَرٌ وَإِنْ كَانَ فِي الْعَرَبِيَّةِ سَائِغًا» اهـ (٨).

. قول مكِّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ): «الْقِرَاءَاتُ الثَّابِتَةُ كُلُّهَا
عِنْدَنَا مِنَ السَّنَةِ الَّتِي لَمْ يَدْفَعْ فِيهَا لِأَحَدٍ فَاعْلَمْ» اهـ (٩).

والتلقي عن المشايخ الأولين والله أعلم.

- (١) كتاب «السبعة» ص ٤٦-٤٨ باختصار.
- (٢) شبل بن عباد أبو داود المكي، مقريء مكة، ثقة ضابط، هو أجل أصحاب ابن كثير، بقي
حيا إلى قريب سنة ١٦٠هـ. غاية النهاية ٣٢٣/١.
- (٣) ت بغداد ٢٥٣/٣.
- (٤) إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو اسحاق الزجاج، عالم بالنحو واللغة والتفسير
(٢٤١-٣١١هـ). الأعلام ٤٠/١.
- (٥) معاني القرآن وأعرابه ٤٨٢/١.
- (٦) عثمان بن جني الموصلي أبو الفتح، من أئمة الأدب والنحو مات سنة
٣٩٢هـ. الأعلام ٢٠٤/٤.
- (٧) الآية رقم ١٠ من سورة يونس: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- (٨) المحتسب ٣٠٨/١.
- (٩) كتاب «التبصرة» ص ٦٠.

. قول أبي عمرو الداني (١) (ت ٤٤٤هـ): «أئمة القراءة لا تعتمد في شيء من حروف القرآن على الألف في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية إذا ثبتت عندهم، لا يردّها قياس عربية، ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها» اهـ (٢).
قلت: بل زاد العلماء على هذا أن القراءة إذا ثبتت صارت أصلاً ترد إليه قواعد اللغة والنحو (٣).

. قول أبي محمد علي بن حزم (٤): «واتفقوا... أن كل ما في القرآن حق وأن من زاد فيه حرفاً من غير القراءات المروية المحفوظة المنقولة نقل الكافة، أو نقص منه حرفاً أو بدل منه حرفاً مكان حرف، وقد قامت عليه الحجة أنه من القرآن فتماذى متعمداً لكل ذلك عالماً بأنه بخلاف ما فعل؛ فإنه كافر» اهـ (٥).

. قول أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): «سبب تنوع القراءات فيما احتمله خط المصحف هو تجويز الشارع، وتسويغه ذلك لهم، إذ مرجع ذلك إلى السنة والاتباع لا إلى الرأي والابتداع» اهـ (٦).

(١) عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو الداني، ويقال له: ابن الصيرفي من موالى بني أمية امام في القراءات وعلوم القرآن وأحد حفاظ الحديث (٣٧١-٤٤٤هـ). الأعلام ٢٠٦/٤.
(٢) بواسطة المنجد ص ٦٥.

(٣) ونقله في مناهل العرفان ١/٤١٥ وعلق بقوله: «هذا كلام وجيه، فإن علماء النحو إنما استمدوا قواعده من كتاب الله تعالى وكلام رسوله وكلام العرب، فإذا ثبتت قرآنية القرآن بالرواية المقبولة كان القرآن هو الحكم على علماء النحو، وما قعدوا من قواعد ووجب أن يرجعوا بقواعدهم إليه، لا أن يرجع نحن بالقرآن إلى قواعدهم المخالفة نحكمها فيه، وإلا كان ذلك عكساً للآية، وإهمالاً للأصل في وجوب الرعاية» اهـ.

قلت: وقد قدّمت لك في التمهيد لهذا الباب ما يؤكد هذا المعنى ويزيد عليه، وسيأتي -إن شاء الله- في الباب الثاني عند الكلام عن القراءات في كتب النحو مزيداً على هذا، والله المستعان وعليه التكلان.

(٤) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام (٣٨٤-٤٥٦هـ). الأعلام ٢٥٤/٤.

(٥) مراتب الإجماع ص ١٧٤.

(٦) مجموع الفتاوى ١٣/٤٠٢.

من تمام هذا قول ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) رحمه الله: «نعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم إنما هو من حيث أنه كان أضيف له وأكثر قراءة، وأقراء به، وملازمة له، وميلاً إليه، لا غير ذلك. وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم المراد بها أن ذلك القارئ وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به فأثره على غيره وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به، وقصد فيه، وأخذ عنه، فلذلك أضيف إليه دون غيره

. قول الزركشي (ت ٧٩٤هـ) : «القراءات توقيفية وليست اختيارية خلافاً لجماعة» اهـ (١).

واختلاف القراء (٢) في القراءات كاختلاف الآثار التي رويت في الأحكام فمنها المجتمع عليه السائر المعروف ومنها المتروك المكروه عند الناس المعيب من أخذ به، يبين ذلك جهابذة شرفهم الله بخدمة كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ.

من القراء وهذه الاضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد» اهـ النشر ٥٢/١.

(١) البرهان في علوم القرآن ٣٢١/١.

(٢) فائدة : بهذا الأصل (أعني: التوقيف في اختلاف القراءات) افترق اختلاف القراء عن اختلاف الفقهاء.

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) في النشر ٥٢/١ : «إختلاف القراء كله حق وصواب نزل من عند الله، وهو كلامه لاشك فيه، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادي والحق في نفس الأمر فيه واحد، فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق و صواب في نفس الأمر نقطع بذلك و نؤمن به» اهـ

قلت : يعني القراءة الصحيحة الثابتة لا الشاذة ونحوها.

المبحث الثاني : تعريف القراءات لغة واصطلاحاً .
وفيه مطلبان :

المطلب الأول : القراءات في اللغة .

المطلب الثاني : القراءات في الاصطلاح .

المطلب الأول : القراءات في اللغة .

القراءات جمع مفردھا قراءة ، ومادة [ق . ر . أ] تدور في لسان العرب حول معنى الجمع والاجتماع (١) .

والقراءة من قرأ يقرأ قراءة وقرأنا فهو قارئ، وهم قرأء وقارؤون (٢) .
فالقراءة مصدر من قول القائل: قرأت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض، كقولك : ما قرأت الناقة سلى قط .

تريد بذلك أنها لم تضم رحماً على ولد، كما قال عمرو بن كلثوم التغلبي (٣) :
تَرِيكَ إِذَا نَحَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ وَقَدْ أَمَنْتَ عَيْنَ الْكَاشِحِينَ
نِزَاعِي عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بَكْرٍ هَجَانَ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا (٤) .

(١) معجم مقاييس اللغة ٥ / ٧٩ .

(٢) تاج العروس ١ / ١٠١ .

(٣) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، من بني تغلب، أبو الأسود شاعر جاهلي ، من أصحاب المعلقات توفي نحو سنة ٤٠ ق. هـ . الأعلام ٥ / ٨٤ .

(٤) قوله في البيت الأول «الكاشرين» أي : الأعداء المضميرين العداوة في أكشاحهم وإنما خَصَّتْ العرب الكشح بالعداوة لأنه موضع الكبد، والعداوة عندهم تكون في الكبد وقيل: بل سمي العدو كاشحاً لأنه يعرض عنك ويوليك كشحاً وهو الجنب .
وقوله في البيت الثاني : «عيطل» أي : طويلة العنق .

وقوله : «أدماً» أي : بيضاء .

وقوله : «بكر هجان اللون» البكر الناقة التي ولدت ولداً واحداً وقد يطلق على الناقة التي لم تلد .

وقوله : «هجان اللون» أي : الأبيض الخالص، أي : لونها أبيض .

وقوله : «لم تقرأ جنيناً» أي : لم تضم في رحمها جنيناً .

ومعنى البيتين : تريك هذه المرأة إذا أتيتها خالية وأمنت عيون أعدائها؛ تريك ذراعين ممثلتين لحماً كذراعي ناقة طويلة العنق لم تلد بعد ولم تضم رحمها على ولد ولم تلقه؛ يصفها بالسمن والبياض .

أنظر شرح أبي جعفر النحاس على المعلقات ص ٩٣-٩٤ وشرح الزوزني للمعلقات ص ٢٠٣-٢٠٤ وشرح المعلقات للتبريزي ص ٢٥٨-٢٥٩ .

والبيت الثاني له رواية غير المذكورة هنا وهي :

يعني بقوله: «لم تقرأ جنينا» لم تضمم رحما على ولد.

وفيه قول آخر: «لم تقرأ جنينا» أي: لم تلقه (١).

ومعنى قرأت القرآن بناء على هذا: لفظت به مجموعا (٢).

وفرق ابن قيم الجوزية بين قري يقري وبين قرأ يقرأ؛ فالأولى من باب الياء من المعتل ومعناها: الجمع والإجتماع، والثانية من باب الهمز ومعناها الظهور والخروج على وجه التوقيت والتحديد ومنه قراءة القرآن؛ لأن قارئه يظهره ويخرجه مقدرا محدودا لايزيد ولاينقص ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ القيامة: ١٧؛ ففرق بين الجمع والقرآن ولو كان واحدا لكان تكريرا محضا (٣).

= ذراعي عيطل أدماء بكر تربعت الأجارع والمتونا

نبه عليه النحاس والزوزني والتبريزي، وعلى هذه الرواية لا شاهد فيه.

(١) تفسير الطبري (شاكر) ١ / ٩٥-٩٦ وقارن بلسان العرب ١٢٨/١ وتاج العروس ١٠٢/١-١٠٣.

(٢) لسان العرب ١٢٨/١ تاج العروس ١٠٢/١-١٠٣.

(٣) «زاد المعاد» ٦٣٥/٥.

المطلب الثاني : القراءات في الأصطلاح .

لعلماء القراءات - رحمهم الله - جملة من التعاريف في حد القراءات سأذكرها بحسب التسلسل الزمني لوفياتهم رحم الله الجميع (١).

١ - تعريف أبي حيان الأندلسي (٢) :

عرّف أبوحيان القراءات أثناء تعريفه للتفسير حيث قال: «التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وتتمتات لذلك» ثم قال رحمه الله: «وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن» هذا هو علم القراءات اهـ (٣).

قلت : فعلم القراءات عند أبي حيان رحمه الله هو العلم الذي يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن. ويلاحظ مايلي :

- أن هذا التعريف أقرب إلى موضوع التجويد منه إلى تعريف القراءات (٤).

- أن الباحث عند نظره في هذا التعريف ينبغي أن يتذكر أن أباحيان لم يأت بهذا التعريف غرضاً وقصدًا ولكن جاء به عرضاً فلا ينظر إليه كحد يطلب فيه كونه جامعاً مانعاً والله أعلم.

٢ - تعريف بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) :

عرف الزركشي القراءات تعريفاً يفرق فيه بينها وبين القرآن فقال: «القرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والاعجاز. والقراءات هي اختلاف الفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما» اهـ (٥).

(١) بدأت التعريفات بقول أبي حيان من القرن الثامن لأنني بعد البحث لم أجد تعريفاً واضحاً لأحد قبل ذلك، والحقيقة أن هذا أمر مستغرب في باب العلوم ولعل شهرة قضية القراءات أغنت عن تعريفها والله أعلم.

(٢) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني أثير الدين أبوحيان الأندلسي، من كبار علماء العربية والتفسير (٦٥٤-٧٤٥هـ). الأعلام ١٥٢/٧.

(٣) البحر المحيط ١٤/١.

(٤) يعرف التجويد بأنه: «إخراج كل حرف من القرآن من مخرجه مع إعطائه حقه ومستحقه» وأنظر الكتب المصنفة في تجويد القرآن ومنها «البرهان في تجويد القرآن» (عالم الكتب) ص ٩-١٠ «هداية القاري إلى تجويد كلام الباري» ص ٣٧-٣٨.

(٥) البرهان في علوم القرآن ٣١٨/١.

قلت : فتعريف القراءات عند الزركشي هو ' اختلاف الفاظ الوحي في
كتابة الحروف أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما .
ويلاحظ مايلي :

- أنه خصص القراءات في تعريفه بمواضع الاختلاف، ولم يشير
إلى مواضع الاتفاق فيها(١).

قلت : وذلك لأن مواضع الاتفاق ليست قراءات وإنما هي قرآن، ومواضع
الاختلاف منها ما يصح كونه قرآنا ومنها ما لا يصح.

- أنه لم يشير في تعريفه - بوضوح - إلى النقل والرواية التي هي
الأصل في القراءات.

- أنه قصر الاختلاف في القراءات على ما ذكر ولم يشير -
بوضوح - إلى الاختلاف في اللغة والاعراب والحذف والاثبات وهو واقع
في القراءات، والله أعلم.

٣ - تعريف شمس الدين ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) :

عرّف ابن الجزري القراءات بقوله: «القراءات علم بكيفية أداء
كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة» اهـ(٢).

٤ - تعريف جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) :

عرّف السيوطي القراءات أثناء حديثه عن العالي والنازل من أسانيد
القرآن حيث قال: «ومما يشبه هذا التقسيم الذي لأهل الحديث تقسيم
القراء أحوال الاسناد إلى قراءة ورواية وطريق ووجه، فالخلاف إن كان
لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم واتفقت عليه الطرق والروايات
فهو قراءة...» اهـ(٣).

قلت : فالقراءة عند السيوطي هي ما خالف فيه إمام من الأئمة السبعة
أو العشرة أو نحوهم غيره، مع إتفاق الطرق والروايات عليه.
ويلاحظ التالي :

- أن هذا التعريف إنّما ساقه السيوطي رحمه الله عرضا لاغرضاً .

- أن هذا التعريف إنّما ساقه السيوطي عن القراء عموماً .

- أنه لم يحدد فيه ماهية القراءة من حيث هي، إنما بالنظر إلى

الرواية والوجه والطريق وهو ما عبر عنه بقوله: «تقسيم القراء أحوال

(١) القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ص ٦٣ .

(٢) منجد المقرئين ص ٣ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن (أبوالفضل) ٢٠٩/١ .

الاسناد إلى قراءة...».

٥ - تعريف شهاب الدين القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) :

عرّف القسطلاني علم القراءات بأنه «علم يعرف منه إتفاق الناقلين لكتاب الله وإختلافهم في اللغة والاعراب والحذف والاثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع.

أو يقال : علم يعرف منه إتفاقهم وإختلافهم في اللغة والاعراب والحذف والاثبات، والفصل والوصل، من حيث النقل.

أويقال : علم بكيفية أداء كلمات القرآن وإختلافها معزواً لنقلته» اهـ (١).

قلت : ويلاحظ أن التعريف الثالث الذي أورده القسطلاني رحمه الله هو تعريف ابن الجزري والله أعلم.

٦ - تعريف طاش كبرى زاده (٢) :

قال طاش كبرى زاده معرّفاً علم القراءات: «هو علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة...»

قال : وقد يبحث فيه أيضاً عن صور نظم الكلام من حيث الاختلافات الغير متواترة الواصلة إلى حد الشهرة» اهـ (٣).

قلت : ويلاحظ مايلي :

- أنه لما ذكر أن علم القراءات يشمل الاختلافات المشهورة

قال: «ومبادئه مقدمات مشهورة أو مروية عن الآحاد الموثوق بهم» اهـ؛ فظهر - والله أعلم - أنه لا يريد بالمشهورة في التعريف ما هو قسيم المتواتر والآحاد، إنما يريد بالمشهورة ما يقابل المتواتر ويدخل في الآحاد.

٧ - تعريف الدمياطي (٤) :

اكتفى الدمياطي رحمه الله عند تعريفه للقراءات (٥) بإيراد التعريف

(١) لطائف الاشارات ١/ ١٧٠.

(٢) أحمد بن مصطفى بن خليل أبو الخير عصام الدين طاشكبرى زاده ، مؤرخ تركي الأصل، مستعرب (ت ٩٦٢هـ). الأعلام ١/ ٢٥٧.

(٣) مفتاح السعادة ٦/ ٢ وقارن بكشف الظنون ١٣١٧/ ٢ وأبجد العلوم ٢/ ٤٢٨.

(٤) أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، شهاب الدين الشهير بالبناء، عالم بالقراءات (ت ١١١٧هـ). الأعلام ١/ ٢٤٠.

(٥) إتحاف فضلاء البشر ص ٥.

الأول والثالث مما أورده القسطلاني في كلامه الذي نقلته سابقا .

٨ - تعريف الزرقاني (١) :

قال الزرقاني معرفا للقراءات: «مذهب يذهب اليه امام من ائمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء كانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها» اهـ (٢).

قلت : تعريف الزرقاني رحمه الله بسط لتعريف السيوطي السابق .
ويلاحظ مايلي :

- أنه حصر التعريف على الاختلافات بين القراء .

- أنه حصر الاختلافات في النطق بالحروف وهيئاتها بينما الخلاف الواقع بين القراءات أعم من هذا إذ يشمل اللغة والاعراب والاثبات والحذف والوصل والفصل .

٩ - تعريف عبدالفتاح القاضي (٣) :

عرّف رحمه الله القراءات بأنها : «علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله» اهـ (٤).

١٠ - تعريف محمد سالم محيسن (٥) حفظه الله :

عرّف الشيخ حفظه الله القراءات بأنها: «علم بكيفيات أراء كلمات القرآن الكريم واختلافها من تخفيف وتشديد واختلاف الفاظ الوحي في الحروف بعزو النقلة» اهـ (٦).

قلت : تعريفه مأخوذ من تعريف ابن الجزري رحمه الله .

ويظهر - والعلم عند الله - بعد عرض هذه التعريفات وتقييد الملاحظات عليها أن هذه التعريفات جميعا تدور على عناصر تحدد المعرف ، وهذه

(١) محمد بن عبدالعظيم الزرقاني من علماء الأزهر بمصر (ت ١٣٧٦هـ) . الأعلام ١٢٠/٦ .

(٢) مناهل العرفان ٤٠٥/١ .

(٣) عبدالفتاح القاضي ، عالم بالقراءات من أهل التدقيق فيها له كتاب «البدور الزاهرة» في القراءات العشر و «القراءات الشاذة وتوجيهها» من علماء الأزهر توفي سنة ١٤٠٣هـ .

(٤) البدور الزاهرة ص ٧ .

(٥) محمد محمد سالم محيسن ، عالم بالقراءات له مصنفات عديدة منها «القراءات وأثرها في علوم العربية» من علماء الأزهر .

(٦) المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ص ٦٦ المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ٤٥/١ .

العناصر هي:

- (١) مواضع الاختلاف في القراءات .
 - (٢) النقل الصحيح سواء كان متواترا أم آحادا .
 - (٣) حقيقة الاختلاف بين القراءات .
- فإذا أريد تعريف القراءات تعريفا جامعا لجميع أفرادها مانعا من دخول غيرها فيها؛ فينبغي أن يشتمل هذا التعريف على هذه العناصر .
- وباعتبار التعريفات السابقة نجد أن التعريفين الأولين الذين أوردهما القسطلاني رحمه الله (الفقرة رقم ٥) تعريفان جامعان مانعان وكذا تعريف الشيخ عبد الفتاح القاضي رحم الله الجميع وغفر لنا ولهم .

تعريف القراءات باعتبار الفن المدون :

وإذا كان العلم في إصطلاح التدوين هو : «مجموع المسائل المتعلقة بجهة مخصوصة» (١) فإن تعريف القراءات كعلم مدون هو : «مجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله تعالى في الحذف والإثبات والتحريك والإسكان والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع» .

أو «مجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله تبارك وتعالى من جهة اللغة والإعراب والحذف والإثبات والفصل والوصل من حيث النقل» .

أو «مجموع المسائل المتعلقة بالنطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقا و اختلافا مع عزو كل وجه لناقله» .

هذه خلاصة ما تحرر في تعريف القراءات كما قرر في كُتُبِ القوم والله أعلم .

(١) كشف الظنون ٦/١ وقارن بأبجد العلوم ٤٣/١ .

المبحث الثالث : الفرق بين القرآن والقراءة والرواية والطريق والوجه.
وفيه مطلبان :

المطلب الأول : هل يوجد فرق بين القرآن والقراءة ؟
المطلب الثاني : الفرق بين الوجه والطريق والرواية.

المطلب الأول : هل يوجد فرق بين القرآن والقراءة ؟.

البحث في هذه المسألة والبت فيها ينبغي على بيان أقسام القراءات وما يترتب عليه من تقرير قرآنية كل قسم من عدمها وهذا سيأتي - إن شاء الله تعالى - في موضعه من الدراسة؛ لذلك سأكتفي هنا بعرض وجهات نظر العلماء رحمهم الله في الموضوع مؤجلاً البت فيه حتى يأتي الكلام عن أقسام القراءات - إن شاء الله تعالى - .

للعلماء - رحمهم الله - في هذه المسألة قولان مشهوران :

القول الأول : التفرقة بين القراءة وبين القرآن وهذا مذهب مكّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) والزركشي (ت ٧٩٤هـ) على خلاف بينهما في وجه الافتراق سيأتي ذكره - إن شاء الله - .

القول الثاني : عدم التفريق بين القراءة والقرآن .

أما أصحاب القول الأول ؛ فقد اختلفت وجهتهم فسمي الفرق بين القرآن وبين القراءة ، كما يلي :

(أ) ذهب مكّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) إلى التفرقة بين القرآن والقراءة على أساس الشروط التالية :

(١) النقل عن الثقات إلى النبي ﷺ .

(٢) شيوعه في العربية .

(٣) موافقته لرسم المصحف .

فما توفرت فيه هذه الشروط فهو قراءة يقرأ بها (يعني: هي قرآن)، وما اختلف فيه شرط منها فهو قراءة ولا يقرأ بها (١).

ونقل هذا عن أبي عمرو الداني (٢) (ت ٤٤٤هـ) وذكره السخاوي

(١) الإبانة عن معاني القراءات ص ٥٧-٥٨ ، ١٠٠ وغيرها .

(٢) النشر ٩/١ .

(ت٦٤٣هـ) في «جمال القراءة» (١) وقال: «وهو المختار عند أكثرهم» اهـ وصرح بموافقة مكي أبوشامة في «المرشد الوجيز» (٢) وابن الجزري في «النشر في القراءات العشر» (٣).

(ب) ذهب الزركشي (ت٧٩٤هـ) إلى التفريق بين القرآن والقراءة بوجه آخر غير ما ذهب إليه مكي، فقال: «اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والاعجاز والقراءات هي اختلاف الفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقل وغيرهما» اهـ (٤).

ونقل السيوطي (٥) (ت٩١١هـ) كلام الزركشي ولم يتعقبه وقرره القسطلاني (٦) (٩٢٣هـ) ولم ينسبه لأحد وكذا الدمياطي (٧) (ت١١١٧هـ).

قلت : ويلاحظ على تفريق الزركشي أنه إنما ذكر الفرق بين القرآن والقراءة الصحيحة التي ثبت كونها وحي فقط، فكلامه لا يظهر منه الفرق بين القرآن والقراءة الأحادية التي لم تشتهر، وكذا القراءة الشاذة، وعلى خلاف ذلك تفريق مكي بن أبي طالب، فإنه يعطي الفرق بين القرآن وبين القراءة على الإطلاق، سواء كانت قراءة متواترة أم أحادية أم شاذة.

أما أصحاب القول الثاني؛ الذين لم يفرّقوا بين القرآن والقراءة، فكل قراءة عندهم قرآن، فهذا القول لا أعلم قائلًا به، غير أن ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) نقل كلاما لابن دقيق العيد (٨) نقله عن أبو حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) وقد صرح فيه بهذا الرأي.

قال أبو حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ): «وعلى ما ذكره هؤلاء من المتأخرين من تحريم القراءة الشاذة؛ يكون عالم من الصحابة والناس من بعدهم إلى زماننا قد ارتكبوا محرما، فيسقط بذلك الاحتجاج بخبر من يرتكب المحرم دائما،

(١) ٤٤٠/٢.

(٢) ص ١٧١-١٧٢ وإبراز المعاني ص ٥.

(٣) ٩/١ ويلاحظ أنه فصل في المنجد ص ١٥-١٧ ما أجمله في النشر.

(٤) البرهان في علوم القرآن ٣١٨/١.

(٥) الاتقان (أبو الفضل) ٢٢٢/١.

(٦) لطائف الاشارات ١٧١/١-١٧٢.

(٧) إتحاف فضلاء البشر ص ٥.

(٨) محمد بن علي بن وهب بن مطيع أبو الفتح تقي الدين القشيري المعروف بـ «ابن دقيق العيد» أصولي فقيه محدث (٦٢٥-٧٠٢هـ). الأعلام ٢٨٣/٦.

وهم نقلة الشريعة فيسقط ما نقلوه فيفسد على هؤلاء نظام الاسلام - والعيان بالله تعالى من ذلك -.

قال : ويلزم أيضا أن الذين قرأوا بالشواذ لم يصلوا قط لأن الواجب لايتأدى بفعل المحرم.

قال : وقد كان قاضي القضاة أبو الفتح محمد بن علي (يعني: ابن دقيق العيد) يستشكل هذه المسألة ويستصعب الكلام فيها.

وكان يقول : هذه الشواذ نقلت نقل آحاد عن رسول الله ﷺ فيعلم ضرورة أن رسول الله ﷺ قرأ بشاذ منها وإن لم يعين كما أن حاتما نقلت عنه أخبار في الجود كلها آحاد ولكن حصل من مجموعها الحكم بسخائه وإن لم يتعين ما تسخى به وإذا كان كذلك فقد تواترت قراءة رسول الله ﷺ بالشاذ، وإن لم يتعين بالشخص فكيف يسمى شاذاً والشاذ لا يكون متواتراً اهـ (١).

قلت : الظاهر من هذا النقل أن ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى لم يقل بهذا القول تقريراً إنما قاله بحثاً. ويعقب عليه بما يلي :

(١) نحن نقطع أن كثيراً من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقرؤون بما يخالف رسمه رسم مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي جمع عليه الناس وأمر أن تكون القراءة العامة عليه. وذلك لأن جمع عثمان رضي الله عنه للناس على المصحف الذي نسخه من مصحف حفصة رضي الله عنها مكتفياً فيه بما كان من القراءات موافقاً للسان قريش، هذا الجمع لم يكن الغرض منه ولا من نتائجه الغاء القراءات الشفوية التي يقرأ بها الصحابة إذ بوضع الأمور على هذا النحو في نصابها ترك رضي الله عنه الباب مفتوحاً لكل من كان يؤكد أنه سمع الرسول ﷺ يقرأ بقراءة معينة لكي يقرأ بقراءته الخاصة بحرية تامة وتحت كامل مسؤوليته ومن غير أن يلزم جماعة المسلمين كلها بما يؤكد سماعه (٢).

(٢) فنحن نتفق مع ابن دقيق العيد رحمه الله على القطع بأن من هذه القراءات (التي اصطلح علماء القراءات على تسميتها: شاذة) ما قرأه الرسول ﷺ ولكن لانستطيع القطع في أفراد هذه القراءات بأن

(١) نقله في المنجد ص ٢٠-٢١ و النشر ١٥/١.

(٢) المدخل الى القرآن الكريم ص ٤٤.

الرسول ﷺ قراها؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يجمعوا عليها (١) فنحن نتوقف فيها ولا نقطع بقرآنية هذه الأفراد على العموم؛ إذ لاتوافق الرسم، كما أننا لانلغيها تماما، بل نستفيد منها في التفسير واللغة.

الحاصل : أنه لايلزم من تواتر قراءة الرسول ﷺ بهذه الأفراد مع عدم التعيين لشخصه؛ لايلزم من ذلك تواتر أفرادها، وهذه المسألة تشبه ما يبحث في مصطلح الحديث (٢) ويسمى التواتر المعنوي، حيث لا يتواتر لفظ انما يتواتر معنى كأحاديث الشفاعة وأحاديث الحوض ونحو ذلك .

(٣) فمع قطعنا بتواتر قراءة الرسول ﷺ بما يخالف رسم المصحف مع عدم تعيين شخصه، فإننا نقطع بعدم تواتر هذه الأفراد ولا نعاملها معاملة القرآن والله أعلم.

(٤) قال ابن الجزري (٨٣٣هـ) : «الذي وصل إلينا اليوم متواترا وصحيحا مقطوعا به قراءات الأئمة العشرة ورواتهم المشهورين، هذا الذي تحرر من أقوال العلماء وعليه الناس اليوم بالشام والعراق ومصر والحجاز... فثبت من ذلك أن القراءة الشاذة ولو كانت صحيحة في نفس الأمر؛ فإنها مما كان أذن في قراءته، ولم يتحقق إنزاله (٣) وان الناس كانوا مخيرين فيها في الصدر الأول ثم أجمعت الأمة على تركها للمصلحة وليس في ذلك خطر ولا اشكال لأن الأمة معصومة من أن تجتمع على خطأ» اهـ (٤).

(٥) فنحن لانقطع بأن هذه القراءات الشاذة بأعيانها وأفرادها ليست قرآنا كما لانقطع بأنها قرآن وهذا القول ينبني على أصل وهو هل يجب القطع فيما لم يثبت كونه من الأحرف السبعة بأنه ليس منها؟. الذي عليه جمهور العلماء أنه لايجب القطع بذلك؛ إذ ليس ذلك مما وجب علينا أن يكون العلم به في النفي والاثبات قطعيا. وذهب فريق من أهل الكلام إلى وجوب القطع بنفيه كالقاضي أبي بكر

(١) تقدم تقرير هذا في بحث جمع القرآن في المدخل لهذا القسم.

(٢) أنظر نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص ١٨-٢٣ تدريب الراوي ١٨٠/٢ شرح شرح نخبة النظر ص ٣٠ توجيه النظر إلى أصول الأثر ص ٤٦.

(٣) لعله يقصد بهذه الجملة: لم يتحقق إنزاله عندنا نحن بأعيانه.

(٤) المنجد ص ٢٣-٢٤.

الباقلاسي (١) لزعمهم أن ماكان من موارد الاجتهاد في القرآن الكريم فإئّه
يجب القطع بنفيه (٢).
قال ابن تيمية معقبا على مذهب هذا الفريق من أهل الكلام: «والصواب
القطع بخطأ هؤلاء» اهـ (٣).
قال ابن الجزري مشيرا إلى قول جمهور العلماء: «وهذا هو الصحيح
عندنا واليه أشار مكي (٤) بقوله: «ولبئس ما صنع إذ جحدّه (يعني: القراءة
التي صح سندها وخالفت رسم المصحف)». اهـ (٥).
وسواء قيل بالقطع في النفي أم الإثبات؛ فذلك لا يمنع كونها من موارد
الاجتهاد التي لا تكفير ولا تفسيق فيها للنافي وللمثبت (٦).
وبهذا يزول الإشكال الذي أورده ابن دقيق العيد رحمه الله بحثا ولله
الحمد والمنة .

-
- (١) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبوبكر قاضي من كبار علماء الكلام أنتهت إليه
الرياسة في مذهب الأشاعرة (٣٣٨-٤٠٣هـ). الأعلام ١٧٦/٦.
 - (٢) مجموع الفتاوي ٣٩٨/١٣ وقارن بالنشر ١٤/١-١٥.
 - (٣) مجموع الفتاوي ٣٩٨/١٣-٣٩٩.
 - (٤) الإبانة ص ٥٨.
 - (٥) النشر ١٥/١.
 - (٦) مجموع الفتاوي ٣٩٩/١٣.

المطلب الثاني : الفرق بين الرواية والطريق والوجه .
 لعلماء القراءات - رحمهم الله - إصطلاحات (١) تجري كثيرا في كتبهم
 ومن هذه الإصطلاحات : الرواية، الوجه، الطريق.
 وقد عقدت هذا المطلب لبيان هذه المصطلحات الثلاثة والفرق بينها؛ لأن
 تعريفها من تمام تعريف القراءات.
 فأبدأ بتعريفها في اللغة، ثم اثني بتعريفها في الاصطلاح عند علماء
 القراءات.

الرواية :

مادة [ر . و . ي] لها في اللغة أصل واحد تدور حوله استعمالاتها،
 فالروى ما كان خلاف العطش، تقول: رويت من الماء رياء وهو راو من قوم
 رواة وهم الذين يأتونهم بالماء (٢).
 تقول : روى من الماء يروى رياء، وسقيته رياء ورياء، وعين رية إذا كانت
 كثيرة الماء، ورويت للقوم أروى لهم إذا أستقيت لهم، والبعير الذي يحمل
 عليه الماء: الراوية، وكثر ذلك حتى سموا المزايدة راوية (٣).
 وسمي يوم التروية (وهو الثامن من ذي الحجة) لأنهم كانوا يرتون من
 الماء لما بعد من أيام الحج في منى وعرفات (٤).
 فالأصل في معنى هذه المارة هو هذا، ثم اشتق منه لحامل ما يروى منه،
 شبه به الذي يأتي القوم بعلم أو خبر فيرويه كأنه أتاهم بريهم من ذلك (٥).
 تقول : هو راوية للحديث، وروى الحديث حمله من قولهم: البعير يروى
 الماء أي: يحمله، وحديث مروى، وهم رواة الأحاديث وراووها حاملوها، كما
 يقال رواة الماء.

(١) جمع إصطلاح من باب الافتعال قلبت تاؤها طاء، وأريد بها - ههنا - : الفاظ
 مخصوصة موضوعة لمعان يمتاز بعضها عن بعض باعتبار قيد يميزه عنه، وسبب
 إطلاقها عليها هو الاتفاق على وضعها لتلك المعاني ليحصل عند استعمالها مع أداتها
 إصلاح المعاني ودفع فساد إلتباس بعضها ببعض. المختصر في علم الأثر ص ١١٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤٥٣/٢.

(٣) جمهرة اللغة ١٧٦/١.

(٤) المجمل ٤٠٣/٢ - ٤٠٤.

(٥) معجم مقاييس اللغة ٤٥٣/٢.

تقول : رويته الحديث أي: حملته على روايته(١).
ورويت الحديث والشعر أروية رواية، رجل راو للشعر وراوي الهاء
للمبالغة(٢).

أما في الاصطلاح عند علماء القراءات: فالرواية ما ينسب للأخذين عن
الإمام الذي اتفقت عليه الروايات والطرق عنه(٣) ومثالها :
قولهم : رواية ورش(٤) عن نافع، ورواية شعبة(٥) عن عاصم، ورواية
حفص(٦) الدوري عن الكسائي، ورواية هشام(٧) عن ابن عامر ورواية
رويس(٨) عن يعقوب، ورواية إسحاق(٩) عن خلف(١٠) ورواية ابن وردان(١١)

(١) أساس البلاغة ص ١٨٦.

(٢) جمهرة اللغة ١٧٦/١.

(٣) سراج القاريء ص ١٣ الاتقان (أبوالفضل) ٢٠٩/١ الاتحاف ص ١٧-١٨.

(٤) عثمان بن سعيد، قيل: سعيد بن عبدالله بن عمرو بن سليمان ، وقيل: سعيد بن عدي
بن غزوان بن داود بن سابق، أبو سعيد، وقيل: أبو القاسم، وقيل: أبو عمرو القرشي
مولاهم القبطي المصري، الملقب بـ«ورش» راوي نافع، شيخ القراء المحققين، صاحب
المقرأ المعروف بمقرأ ورش عن نافع، توفي سنة ١٩٧هـ. غاية النهاية ٥٠٢/١.

(٥) شعبة بن عياش بن سالم أبوبكر الحناط بالنون، الأسدي النهشلي الكوفي، إمام علم،
راوي عاصم، اختلف في اسمه على ثلاثة عشر قولاً أصحابها شعبة، مات سنة
١٩٣هـ. غاية النهاية ٣٢٥/١.

(٦) حفص بن عمر بن عبدالعزيز بن صهبان بن عدي بن صهبان ويقال: صهيب أبو عمر
الدوري الأزدي البغدادي النحوي الدوري الضريع، إمام في القراءة وشيخ الناس في زمانه
ثقة ثبت كبير ضابط، أول من جمع القراءات، قرأ بسائر القراءات توفي سنة
٢٤٦هـ. غاية النهاية ٢٥٥/١.

(٧) هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة، أبوالوليد السلمي، وقيل: الزفري الدمشقي ،
إمام أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم (١٥٣-٢٤٥هـ). غاية
النهاية ٣٥٤/٢.

(٨) محمد بن المتوكل أبوعبدالله اللؤلؤي البصري المعروف برويس، مقريء حافظ ضابط
مشهور، يروي عن يعقوب، توفي سنة ٢٣٨هـ. غاية النهاية ٢٣٤/٢.

(٩) إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبدالله أبويعقوب المروزي ثم البغدادي، وراق خلف
وراوي اختياره عنه، ثقة، توفي سنة ٢٨٦هـ. غاية النهاية ١٥٥/١.

(١٠) خلف بن هشام بن ثعلب الأسدي، ويقال: خلف بن هشام بن طالب بن غراب، إمام
علم، أبو محمد البزار بالراء أحد القراء العشرة توفي سنة ٢٢٩هـ. غاية النهاية
٢٧٢/١.

(١١) عيسى بن وردان أبو الحارث المدني الحذاء، امام مقريء حاذق وراو محقق، ضابط
توفي في حدود ١٦٠هـ. غاية النهاية ٦١٦/١.

عن أبي جعفر، ورواية السوسي^(١) عن أبي عمرو ورواية البزي^(٢) عن ابن كثير، ورواية خلاد^(٣) عن حمزة.

وظاهر - والله أعلم - أن المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي: هي الارتواء والاكتفاء في كل؛ حيث أن الأصل في هذه المادة الارتواء من الماء ونقله، ثم أطلق هنا على الآخذين عن إمام من أئمة القراءة علما يبلغ حد الكفاية والاستغناء في باب القراءات والله أعلم.

الطريق :

مادة [ط . ر . ق] تدور في اللغة حول أربعة أصول :

الأول : الإتيان مساءً، وهو الطروق، ويقال: إنه إتيان المنزل ليلاً.

الثاني : الضرب، تقول : طرق الباب يطرقه طرقاً والشيء يطرق ومطرقة.

الثالث : جنس من استرخاء الشيء، تقول: أطرق فلان في نظره والمطرق المسترخي العين.

الرابع : خصف شيء على شيء، أي: ضم الشيء إلى الشيء.

ومن الأول - والله أعلم - الطريق؛ لأنه يُتَوَرَدُ، ويجوز أن يكون من الرابع، من خصف الشيء فوق الشيء، وذلك أنه شيء يعلو الأرض، فكأنها قد طورقت به ، وخصفت به .

ويقولون : تطارقت الإبل إذا جاءت يتبع بعضها بعضاً وهذا من الأصل الرابع في معاني هذه المادة، وكذلك الطريق وهو النخل الذي على صف واحد وهذا تشبيه، كأنه شبه بالطريق في تتابعه وعلوه الأرض^(٤).

والطريق السبيل، والطريقة السيرة، وطريقة الرجل مذهبه^(٥).

والطريق المطروق الممر الواسع الممتد أوسع من الشارع^(٦).

قال تعالى : ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً﴾ طه: ٧٧،

(١) صالح بن زياد بن عبدالله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود بن مسرح الرستبي أبوشعيب السوسي الرقي، مقرئ ضابط محرر، ثقة توفي سنة ٢٦١هـ. غاية النهاية ٣٣٢/١.

(٢) أحمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة البزي أبوالحسن مقرئ مكة ومؤذن المسجد الحرام مات سنة ٢٥٠هـ. غاية النهاية ١١٩/١.

(٣) خلاد بن خالد أبو عيسى، وقيل: أبو عبدالله الشيباني مولا هم الصيرفي إمام في القراءة ثقة عارف محقق مات سنة ٢٢٠هـ. غاية النهاية ٢٧٤/١.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٤٤٩/٣-٤٥٣.

(٥) لسان العرب ٢٢١/١٠.

(٦) المعجم الوسيط ٥٥٦/٢.

و قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ امْكُثْهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ طه: ١٠٤، وقال تعالى: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتْلَى﴾ طه: ٦٣، أي: السيرة والمذهب، تقول: فلان حسن الطريقة، حسن المذهب (١).

والجمع طرائق، فكأنه استعير من معنى السبيل إلى كل مسلك يسلكه الإنسان في فعل محمود أو مذموم.

أما في اصطلاح علماء القراءات : الطريق ما ينسب لمن أخذ عن الرواة، وإن سفل (٢) ومثاله :

قولهم : رواية قالون (٣) عن نافع من طريق أبي نَشِيط (٤) والحلواني (٥) عنه ورواية البرقي عن ابن كثير من طريق أبي ربيعة (٦) وابن الحباب عنه (٧) ورواية الدوري عن الكسائي من طريق أبي الفضل جعفر بن محمد النصيبي (٨) وأبي عثمان الضرير (٩) عنه .

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي على المعنى اللغوي الأول وهو «الأتیان ليلاً» علاقة تباين كما يظهر والله أعلم .

أما على المعنى الثاني وهو خصف شيء على شيء؛ فالعلاقة عموم وخصوص، فالمعنى اللغوي عام يشمل كل خصف شيء على شيء والمعنى الاصطلاحي خاص فيما يتحصل به المعنى في القراءات وكأن صاحب

(١) المفردات: في غريب القرآن ص ٣٠٣.

(٢) سراج القاريء ص ١٣ الاتقان (أبو الفضل) ٢٠٩/١ غيث النفع ص ٣٣-٣٤ الإتحاف ص ١٧-١٨.

(٣) عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبدالصمد بن عمر بن عبدالله الزرقي ويقال: المري، مولى بني زهرة، أبو موسى الملقب بقالون، قاريء المدينة ونحوها توفي سنة ٢٢٠هـ. غاية النهاية ٦١٥/١.

(٤) محمد بن هارون أبو جعفر الربيعي البغدادي ويقال: المروزي، ويعرف بأبي نَشِيط، مقري جليل، ضابط مشهور توفي سنة ٢٥٨هـ. غاية النهاية ٢٧٢/٢.

(٥) أحمد بن يزيد بن أزدان ويقال: يزدان الصفار، الأستاذ أبو الحسن الحلواني، إمام كبير عارف، صدوق متقن ضابط خصوصاً في قالون وهشام، توفي سنة نيف وخمسين ومائتين هجرية. غاية النهاية ١٤٩/١.

(٦) محمد بن اسحاق بن وهب بن أعين بن سنان أبو ربيعة الربيعي المكي المؤدب مؤذن المسجد الحرام مقريء جليل ضابط توفي سنة ٢٩٤هـ. غاية النهاية ٩٩/٢.

(٧) الحسن بن الحباب بن مخلد الدقاق أبو علي البغدادي شيخ متصدر مشهور ثقة ضابط من كبار الحذاق توفي سنة ٣٠١هـ. غاية النهاية ٢٠٩/١.

(٨) جعفر بن محمد بن أسد أبو الفضل الضرير النصيبي، يعرف بابن الحمامي حاذق ضابط شيخ نصيبين والجزيرة توفي سنة ٣٠٧هـ. غاية النهاية ١٩٥/١.

(٩) سعيد بن عبدالرحيم بن سعيد، أبو عثمان الضرير البغدادي المؤدب مؤدب الأيتام، مقريء حاذق ضابط توفي بعد سنة ٣١٠هـ. غاية النهاية ٣٠٦/١.

الطريق مهد الوصول إلى رواية الراوي عن الشيخ وطرقها والله أعلم .

الوجه :

مادة [و . ج . هـ] تدور في اللغة حول معنى واحد، وهو مقابلة لشيء .
والوجه : مستقبل لكل شيء، يقال: وجه الرجل وغيره، وربما عبر عن
الذات بالوجه وتقول : وجهي إليك (١).
وتقول: وجه فلان فلانا فتوجه، أي: انقاد واتبع، وشيء موجه إذا جعل
على وجهه واحدة لا يختلف (٢).
أما في إصطلاح علماء القراءات: الوجه ما رجع إلى إختيار القاريء
من الاختلاف في القراءة (٣).
مثاله :

قولهم : في الوقف على ﴿الْعَالَمِينَ﴾ الوجوه التالية :

. بالسكون والروم والاشمام .

. وبالطويل والتوسط والقصير (٤).

وكقولهم : الأوجه الثلاثة الجائزة في البسمة إذا فصل بين السورتين
بها هي التالية :

الأول : الوقف على آخر السورة وعلى البسمة .

الثاني : الوقف على آخر السورة، ووصل البسمة بأول التالية.

(١) معجم مقاييس اللغة ٨٨/٦ المجلد ٩١٧/٤ .

(٢) لسان العرب ٥٥٨/١٣ .

(٣) الإتيان (أبوالفضل) ٢٠٩/١ الإتحاف ص ١٧-١٨ .

(٤) غيث النفع ص ٣٤ .

والوقف بالسكون هو: عزل الحركة عن الحرف الموقوف عليه فيسكن حينئذ ضرورة،
والسكون هو الأصل في الوقف والقاريء بوقفه على الكلمة يكون قد كف عن الاتيان
بالحركة في الحرف الأخير منها والتزم فيه السكون.

والوقف بالروم هو: تضعيف الصوت بالحكة حتى يذهب بذلك التضعيف معظم
صوتها، وقال بعضهم: هو الاتيان ببعض الحركة وقدر العلماء تضعيف الصوت بالحركة
أو الاتيان ببعضها بالثلث أي: أن المحذوف من الحركة أكثر من الثابت في حالة الروم
ومن ثم ضعف صوتها لقصر زمنها فيسمعها القريب المصغي دون البعيد .

والوقف بالاشمام الاشمام في عرف القراء عبارة عن: ضم الشفتين من غير صوت بعد
النطق بالحرف الأخير ساكنا إشارة إلى الضم . أنظر هداية القاري ص ٥١٧-٥٢١ .

وأما الطويل فهو اشباع المد بأن يكون ست حركات .

وأما التوسط فهو المد أربع حركات .

وأما القصير فهو المد حركتان . أنظر هداية القاري ص ٣٠٦-٣١٠ .

الثالث : وصل آخر السورة بالبسملة مع وصل البسملة بأول التالفة (١).
والعلاقة بين المعنى اللغوى والاصطلاحى علاقة توافق كما يظهر، وكأنه
لما رجع إلى اختياره استقبله بوجهه والله أعلم.
ويلاحظ مايلي :

(١) أن التمييز بين القراءات والروايات والطرق يسمى فى
اصطلاح علماء القراءات الخلاف الواجب.
والخلاف بين الأوجه يسمى فى اصطلاحهم الخلاف الجائز.
والفرق بين الخلافين :

(أ) أن خلاف القراءات والروايات والطرق خلاف نص
ورواية، فلو أخل القارئ بشيء منها كان نقصا فى الرواية.
(ب) أن خلاف الأوجه ليس كذلك؛ إذ هو على سبيل التخيير، فبأي
وجه أتى القارئ أجزاء فى تلك الرواية ولا يكون إخلالا بشيء منها، فلا
حاجة لجمعها فى موضع واحد بلا داع (٢).

(٢) قال ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ) : «نعتقد أن معنى إضافة كل حرف
من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم إنما هو من
حيث أنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به وملازمة له، وميلا إليه، لا غير
ذلك.

وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم المراد
بها أن ذلك القارئ وذلك الإمام إختار القراءة بذلك الوجه من اللغة
حسبما قرأ به، فأثره على غيره وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به،
وقصد فيه، وأخذ عنه فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء، وهذه الإضافة
إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأى وإجتهد» اهـ (٣).

(١) غيث النفع ص ٤٥ الإتحاف ص ١٢٠-١٢١ البدور الزاهرة ص ١٤.

(٢) غيث النفع ص ٣٤-٣٥ الإتحاف ص ١٨ البدور الزاهرة ص ١٠-١١.

(٣) النشر ٥٢/١.

الفصل الثاني : عدد القراءات وأقسامها .

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : عدد القراءات وصلتها بالأحرف السبعة .
- المبحث الثاني : أقسام القراءات .
- المبحث الثالث : اختلاف القراءات و فوائده .

وإليك البيان :

- المبحث الأول : عدد القراءات وصلتها بالأحرف السبعة .
- ويشتمل على مطلبين :
- المطلب الأول : عدد القراءات .
- المطلب الثاني : صلة القراءات بالأحرف السبعة .

المطلب الأول : عدد القراءات .

المقصود في هذا المطلب بالقراءات المعنى الاصطلاحي : مانسب إلى إمام من أئمة الإقراء بشروطه إلى النبي ﷺ .
انتشر صحابة المصطفى ﷺ في الأمصار الإسلامية يعلمون الناس أمور الدين ويبلغونهم ما تلقوه عن الرسول ﷺ فكان أعظم ما بلغ لأهل تلك الأمصار القرآن الكريم، الذي لقنّه من لقنّه من التابعين وتجردوا للقراءة والإقراء، واشتدت عنايتهم بذلك وطلبهم له.
ثم إن القراء بعدهم كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا وخلفهم أمم بعد أمم، عُرِفَتْ طبقاتهم واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن المتحري، ومنهم دون ذلك.

ولا يخفى أن هذا الواقع أوجد الكثير من القراءات المنسوبة إلى المشتهرين بالاقراء بها، ولذلك لا يستغرب الناظر في الكتب المصنفة في القراءات إذا وجد من بينها كتباً اشتملت على عشرين قراءة، أو خمسين

قراءة، أو ألف طريق ورواية، أو مايزيد على هذا أو ينقص، إذ المقصود هنا جمع كل ماورد من القراءات المنسوبة إلى أئمة تصدوا للإقراء بها. وإذا كانت القراءات السبع هي المشهورة اليوم (١) وهي التالية :

- (١) قراءة عبد الله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨هـ) .
- (٢) قراءة عبد الله بن كثير الداري (ت ١٢٠هـ) .
- (٣) قراءة عاصم بن بهدلة أبي النجود (ت ١٢٧هـ) .
- (٤) قراءة أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) .
- (٥) قراءة حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ) .
- (٦) قراءة أبي عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٦٩هـ) .

- (٧) قراءة علي بن حمزة الكسائي (١٨٩هـ) .
- ويتلوها في الشهرة القراءات الثلاث المتممة للعشر (٢) وهي :
- (٨) قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني (ت ١٣٠هـ) .
- (٩) قراءة أبي محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت ٢٠٥هـ) .
- (١٠) قراءة أبي محمد خلف بن هشام البزار (ت ٢٢٩هـ) .
- ثم تأتي القراءات الأربع المتممة للأربع عشرة (٣) قراءة وهي التالية :
- (١٢) قراءة الحسن البصري (٤) .
- (١٢) قراءة الأعمش سليمان بن مهران (١٤٨هـ) .
- (١٣) قراءة اليزيدي يحيى بن المبارك (٥) .
- (١٤) وقراءة ابن محيصن محمد بن عبد الرحمن المكي (٦) .

-
- (١) وهي التي جمعها ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) في كتاب «السبعة» و قد تكلم في مقدمته عن أحوالهم أنظره ص ٥٣-٨٧ .
 - (٢) أنظر المبسوط في القراءات العشر ص ١٩-٨٢ .
 - (٣) أنظر الاتحاف ص ٧ .
 - (٤) الحسن بن أبي الحسن يسار السيد الامام أبوسعيد البصري امام زمانه علما وعملا توفي سنة ١١٠هـ . غاية النهاية ٢٣٥/١ .
 - (٥) يحيى بن المبارك بن المغيرة الامام أبو محمد العدوي البصري المعروف باليزيدي ، نحوي مقري ثقة علامة كبير توفي سنة ٢٠٢هـ . غاية النهاية ٣٧٥/٢ .
 - (٦) محمد بن عبد الرحمن المكي مقريء أهل مكة مع ابن كثير ثقة، ولولا ما في قراءته من مخالفة رسم المصحف لالحقت بالقراءات المشهورة توفي سنة ١٢٣ وقيل : ١٢٢هـ . غاية النهاية ١٦٧/٢ .

أقول : إذا كانت القراءات المشهورة اليوم هي السبع ثم الثلاث المتممة للعشر ثم الأربع المتممة للأربع عشرة؛ فإنها بالنسبة إلى ماكان مشهورا في الأعصار الأول قلّ من كثر ونزّر من بحر، وذلك أن القراء الذين أخذوا عن الأئمة المتقدمين كانوا أمّا لا تحصى وطوائف لا تستقصى، والذين أخذوا عنهم أيضا أكثر، واستمر الحال على ذلك، فلما كانت المئة الثالثة، واتسع الخرق وقَلّ الضبط وكان علم الكتاب والسنة أوفر ماكان في ذلك العصر تصدى بعض الأئمة لجمع القراءات وضبطها (١). فمنهم : من اشترط الأشهر واختار ما قطع به عنده فتلقى الناس كتابه بالقبول وأجمعوا عليه من غير معارض.

ومنهم : من ذكر ما وصل إليه من القراءات، ولم يشترطوا شيئا وإنما ذكروا ما وصلهم؛ فيرجع في تمييز ما نقلوه إلى كتاب مقيد، أو قاريء مقلد (٢).

وممن صنف في القراءات فوق العشر والأربع عشرة:

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).

صنف كتابا في القراءات جمع فيه خمسة وعشرين قارئاً مع السبعة (٣).

(٢) إسماعيل بن إسحاق المالكي (٤) صاحب قالون.

ألف كتابا في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماما منهم هؤلاء السبعة (٥).

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ).

جمع كتابا حافلا سماه « الجامع » فيه نيف وعشرون قراءة (٦).

(٤) أبو القاسم يوسف بن علي الهذلي المغربي (٧).

ألف كتابه « الكامل » جمع فيه خمسين قراءة عن الأئمة، وألفا وأربعمئة

-
- (١) استفاد من كلام ابن الجزري في النشر ٣٣-٣٤.
 - (٢) منجد المقرئين ص ١٨-١٩.
 - (٣) النشر ٣٣/١-٣٤.
 - (٤) إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد القاضي أبو إسحاق الأزدي البغدادي، ثقة مشهور كبير (١٩٩-٢٨٢هـ). غاية النهاية ١٦٢/١.
 - (٥) النشر ٣٤/١.
 - (٦) النشر ٣٤/١.
 - (٧) يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سودة أبو القاسم الهذلي الشكري الأستاذ الكبير الرحال والعلم الشهير الجوال (ت ٤٦٥هـ). غاية النهاية ٣٩٧/٢.

وتسعا وخمسين رواية وطريق.

قال فيه : «جملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخا من آخر المغرب إلى باب فرغانة» (١) يمينا وشمالا وجبلا وبحرا. «هـ (٢).

(٥) أبومعشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري نزيل مكة (٣).

ألف كتابا سماه «سوق العروس» في القراءات ، فيه ألف وخمسمئة وخمسون رواية وطريقا (٤).

(٦) أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز الاسكندري (٥) .

ألف كتابا سماه «الجامع الأكبر و البحر الأزخر» (٦).

(١) فرغانة بالفتح ثم السكون وغين معجمة وبعد الألف نون مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان، في زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخا. معجم البلدان ٢٥٣/٤.

وهي الآن مدينة سوفياتية جنوبي وادي فرغانة في أوزبكستان تعداد سكانها خمس وسبعون ومئة ألف نسمة، تنتج منسوجات قطنية وحريرية. المنجد في الأعلام ص ٤١٠.

وقد تحررت بعد إنهيار دولة الشيوعية الملحدة.

(٢) النشر ٣٥/١ .

وقال الذهبي في ترجمة الهذلي من «معرفه القراء الكبار» ٤٣٣/١ : «له أغاليط كثيرة في أسانيد القراءات وحشد في كتابه أشياء منكرة لاتحل القراءة بها ولايصح لها إسناد» هـ.

وتعقب ابن الجزري في «غاية النهاية» ٤٠١/٢ كلام الذهبي بقوله: «قد قرأ بـ»الكامل» إمام زمانه حفظا ونقلأ أبوالعلاء الهمداني على أبي العز و لازال يقرئ به إلى آخر وقت، وآخر من رواه تلاوة فيما نعلم ابن مؤمن الواسطي» هـ.

وقال ابن الجزري في «غاية النهاية» ٤٠٠/١ عن كتاب «الكامل» للهذلي: «وقد وقع له أوهام في أسانيده وهو معذور في ذلك؛ لأنه ذكر مالم يذكره غيره، وأكثر القراء لاعلم لهم بالأسانيد، فمن ثم حصل الوهم» هـ.

(٣) عبدالكريم بن عبدالصمد بن محمد بن علي بن محمد أبومعشر الطبري القطان الشافعي شيخ أهل مكة أمارف محقق أستاذ ثقة صالح توفي سنة (٤٧٨هـ) . غاية النهاية ٤٠١/١ .

(٤) النشر ٣٥/١ قارن بكشف الظنون ١٠٠٩/٢ .

(٥) عيسى بن عبدالعزيز بن عيسى بن عبدالواحد الموفق أبوالقاسم بن الوجيه أبو محمد اللخمي الشريشي الأصل ثم الأسكندري المالكي إمام في القراءات كبير جمع فأوعى لكنه خلط كثيرا توفي سنة (٦٢٩هـ) . غاية النهاية ٦٠٩/١ .

(٦) قال ابن الجزري في غاية النهاية ٦٠٩/١-٦١١ عن كتاب الأسكندري : «وفي الجملة فكتابه الذي جمعه وسماه «الجامع الأكبر» لم يجمع مثله في هذا الفن ، فإنه لم يترك من القراءات شيئا قل ولاجل الا نادرا ، ومن رآه رأى العجب» .

يحتوي على سبعة آلاف رواية وطريق(١).

وهذه الكتب المصنفة في القراءات تؤكد ماسبق من أن القراءات المشهورة اليوم بالنسبة إلى ماكان في العصر الأول نزر من بحر، وقل من كثر.

لكن الأئمة رحمهم الله قطعوا بتواتر القراءات السبع في جملتها وجمهور أفرادها، واختلفوا في القراءات الثلاث المتممة للعشر، والراجع القطع بتواترها وبقبولها(٢).

كما اتفقوا على أن القراءات الأربع الزائدة على العشر شاذة، وإن كان فيها ماصح وثبت .

وإذا كان الأمر كذلك فما علاقة القراءات بالأحرف السبعة؟. هذا موضوع المطلب التالي - إن شاء الله - .

وقال أيضا: «لكنه خلط كثيرا (يعني: الإسكندري) وأتى بشيوخ لاتعرف وأسانيد لاتوصف، فضعف بسبب ذلك واتهم بالكذب»هـ.

(١) النشر ٣٥/١ غاية النهاية ٦٠٩/١.

(٢) صرح بذلك البغوي في تفسيره ٣١-٣٠/١ وابن الجزري في «المنجد» ص٢٤، ٢٣-٢٥ وحشد له النقول في «النشر» ٤٧-٣٨ والقسطلاني في «لطائف الاشارات» ٧٧-٧٤/١ والدمياطي في «الاتحاف» ص٧.

المطلب الثاني : صلة الأحرف السبعة بالقراءات .

يشتمل هذا المطلب على المسائل التالية :

المسألة الأولى : بيان أن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبعة المشهورة .

المسألة الثانية : القراءات فوق السبع في العدد فلماذا اشتهرت هذه السبع؟.

المسألة الثالثة : هل اشتمل المصحف الذي نسخه عثمان على الأحرف السبعة؟. وهل كل قراءة صحيحة تتفق مع رسم المصحف العثماني؟.

المسألة الأولى : بيان أن الأحرف السبعة غير القراءات السبعة .

يكفي في بيان ذلك أن يعلم أن القراءات المشهورة إنما هي اختيارات أولئك الأئمة القراء - وكانوا بعد عصر النبوة - وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات المنقولة عن رسول ﷺ أو صحابته رضوان الله عليهم ما هو الأحسن عنده والأولى فالتزمه طريقة، ورواه وأقرأ به واشتهر عنه وعرف به ونسب إليه؛ فقل: حرف نافع، حرف ابن كثير بمعنى الوجه من القراءة الذي اختاره نافع للإقراء به، والوجه من القراءة الذي اختاره ابن كثير للإقراء به، ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره بل سوغه وجوزه، إذ مرجع ذلك كله إلى النقل الصحيح الموافق لرسم المصحف الذي جمع عثمان الناس عليه وكل واحد من هؤلاء السبعة روي عنه اختيارات أو أكثر؛ وكل صحيح (١).

قال مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ): «فأما من ظن أن قراءة كل واحد من هؤلاء القراء كنافع وعاصم وأبي عمرو، أحد الحروف السبعة التي نص النبي ﷺ عليها، فذلك منه غلط عظيم؛ لأن فيه إبطالا أن يكون ترك العمل بشيء من الأحرف السبعة.

وأن يكون عثمان ما أفاد فائدة بما صنع من حمل الناس على مصحف واحد وحرف واحد.

ويجب منه أن يكون ما لم يقرأ به هؤلاء السبعة متروكا؛ إذ قد استولوا على السبعة الأحرف عنده فما خرج عن قراءاتهم فليس من السبعة عنده. ويجب من هذا القول أن نترك القراءة بما روي عن أئمة هؤلاء السبعة من التابعين والصحابة مما يوافق خط المصحف مما لم يقرأ به هؤلاء

(١) مستفاد من كلام القرطبي في تفسيره ٤٦/١؛ بتصرف وزيادة.

السبعة.

ويجب منه ألا تروى قراءة عن ثامن فما فوقه؛ لأن هؤلاء السبعة - عند معتقد هذا القول - قد أحاطت قراءتهم بالأحرف السبعة. وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة وأجل قدرا من هؤلاء السبعة. على أنه قد ترك جماعة من العلماء في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة واطرحهم، قد ترك أبو حاتم (١) وغيره ذكر حمزة، والكسائي وابن عامر، وزاد نحو عشرين رجلا من الأئمة ممن هو فوق هؤلاء السبعة. وكذلك زاد الطبري (ت ٣١٠هـ) في كتاب القراءات له على هؤلاء السبعة نحو خمسة عشر رجلا.

وكذلك فعل أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ) وإسماعيل القاضي (ت ٢٨٢هـ). فكيف يجوز أن يظن ظان أن هؤلاء السبعة المتأخرين قراءة كل واحد منهم أحد الحروف السبعة التي نص عليها النبي ﷺ؟ هذا خطأ عظيم، أكان ذلك بنص من النبي ﷺ أم كيف ذلك؟. اهـ (٢). وقال أبوشامة (ت ٦٦٥هـ) : «وقد ظن جماعة ممن لا خبرة له بأصول هذا العلم أن قراءة هؤلاء الأئمة السبعة هي التي عبر عنها النبي ﷺ بقوله: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» (٣) فقراءة كل واحد من هؤلاء حرف من تلك الحروف ولقد أخطأ من نسب إلى ابن مجاهد أنه قال ذلك» اهـ (٤). وأختم هذه المسألة (٥) بقول ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) رحمه الله: «لأنزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي ﷺ أن القرآن أنزل عليها ليست هي قراءات القراء السبعة المشهورة. بل أول من جمع قراءات هؤلاء هو الإمام أبوبكر بن مجاهد وكان على رأس المئة الثالثة ببغداد، فإنه أحب أن يجمع المشهور من قراءات

(١) سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد أبو حاتم السجستاني إمام البصرة في النحو والقراءة واللغة والعروض (ت ٢٥٥هـ). غاية النهاية ٣٢٠/١.

(٢) الإبانة عن معاني القراءات ص ٣٨-٤١.

(٣) حديث متواتر. أنظر نظم المتناثر ص ١١١ وذكر فيه أنه روي عن أربعة وعشرين صحابيا.

(٤) المرشد الوجيز ص ١٤٦.

(٥) وقد أطل في تقرير ذلك وحشد له النقول مكي بن أبي طالب رحمه الله في كتابه «الإبانة» ص ٣٣-٤٩ ومواضع أخرى وأبوشامة في كتابه «المرشد الوجيز» ص ١٤٦-١٦٧ وابن الجزري في كتابه «النشر» ٣٦/١-٤٧ والسيوطي في كتابه «الإتقان» (أبوالفضل) ٢٢٣/١-٢٢٦.

الحرمين والعراقيين والشام؛ إذ هذه الأمصار الخمسة هي التي خرج منها علم النبوة من القرآن وتفسيره والحديث والفقه، من الأعمال الباطنة والظاهرة، وسائر العلوم الدينية، فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار؛ ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة، أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم.

ولهذا قال من قال من أئمة القراء: لولا ابن مجاهد سبقني إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي امام جامع البصرة وإمام قراء عصره في زمانه في رأس المئتين اهـ (١).

المسألة الثانية : القراءات فوق السبع فلماذا اشتهرت بالسبع ؟.

قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) جوابا على هذه المسألة : «إنهم جعلوا سبعة لعلتين :

إحداهما : أن عثمان رضي الله عنه كتب سبعة مصاحف، ووجه بها إلى الأمصار فجعل عدد القراء على عدد المصاحف .

والثانية : أنه جعل عددهم على عدد الحروف التي نزل بها القرآن، وهي سبعة.

على أنه لو جعل عددها أكثر أو أقل لم يمنع ذلك أن عدد الرواة الموثوق بهم أكثر من أن يحصى.

وقد ألف ابن جبير المقريء (٢) - كان قبل ابن مجاهد - كتابا في القراءات وسماه كتاب الخمسة وذكر فيه خمسة من القراء، وألف غيره كتابا وسماه «كتاب الثمانية» وزاد على هؤلاء السبعة: يعقوب الحضرمي (٣) وهذا باب واسع.

وإنما الأصل الذي يعتمد عليه في هذا: أن ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه خط المصحف؛ فهو من السبعة المنصوص عليها، ولو رواه سبعون الفا متفرقين أو مجتمعين.

فهذا الأصل الذي بني عليه من قبول القراءات عن سبعة أو سبعة

(١) مجموع الفتاوى ٣٩٠/١٣ و قارن بالنشر ٣٩/١.

(٢) أحمد بن جبير بن محمد بن جبير أبو جعفر الكوفي نزيل أنطاكية، كان من كبار القراء وحذاقهم ومعمريهم توفي سنة ٢٥٨هـ. معرفة القراء الكبار ٢٠٧/١.

(٣) لعله يعني كتاب «التذكرة في القراءات الثمانية» لأبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون (ت٣٩٩هـ). وقد ذكرته ص ١٥٥ فانظره هناك.

آلاف؛ اعرفه وابن عليّه» اهـ (١).

قلت : السبب الأول الذي ذكره مكي رحمه الله فيه نظر وذلك أن الأئمة رحمهم الله اختلفوا في عدد المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه (٢) ولانعلم يقينا اختيار ابن مجاهد في ذلك فكيف يجعل هذا سببا لاقتصاره على سبعة قراء؟.

وعليه؛ فإن السبب الثاني الذي ذكره مكي هو الظاهر وقد اكتفى به شيخ الإسلام ابن تيمية فيما نقلناه عنه منذ قليل حيث قال متحدثا عن ابن مجاهد وجمعه للقراءات : «فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبعة هي

(١) الابانة ص ١٠٢-١٠٣، ووافقه على هذين السببين علم الدين السخاوي في «جمال القراء» ٤٣٢/٢.

(٢) فمنهم من قال: كتب أربعة مصاحف، ومنهم من قال: كتب خمسة مصاحف، ومنهم من قال: كتب سبعة مصاحف، ومنهم من قال: كتب ثمانية مصاحف. وهذا بعض كلام أهل العلم في المسألة :

قال أبو عمرو الداني في المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ١٩: «أكثر العلماء على أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما كتب المصاحف جعله على أربعة نسخ وبعث إلى كل ناحية من النواحي بواحدة منهن فوجه إلى الكوفة احداهن، وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة.

وقد قيل : إنه جعله سبع نسخ و وجه من ذلك نسخة إلى مكة ونسخة إلى اليمن، ونسخة إلى البحرين، والأول أصح، وعليه الأئمة» اهـ

وأخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ٣٤، عن حمزة الزيات أنه قال: «كتب عثمان أربعة مصاحف؛ فبعث بمصحف منها إلى الكوفة فوضع عند رجل من مراد فبقي حتى كتبت مصحفي عليه»

وقال ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) في فتح الباري ٢٠/٩ والسيوطي (ت ٩١١هـ) في الإتيان (أبوالفضل) ١٧٢/١ : «المشهور أنها خمسة» اهـ

وقال أبوجاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) : «لما كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن كتب سبعة مصاحف ؛ فبعث واحدا إلى مكة وآخر إلى الشام وآخر إلى اليمن وآخر إلى البحرين وآخر إلى البصرة وآخر إلى الكوفة وحبس بالمدينة واحدا» اهـ كتاب المصاحف ص ٤٣.

أما ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) فقد جعلها ثمانية مصاحف حيث قال اثناء حديثه عن جمع عثمان ونسخه للمصاحف: «فكتب منها عدة مصاحف فوجه بمصحف إلى البصرة ومصحف إلى الكوفة ومصحف إلى الشام وترك مصحفا بالمدينة وأمسك لنفسه مصحفا الذي يقال له: الإمام، ووجه بمصحف إلى مكة وبمصحف إلى اليمن وبمصحف إلى البحرين» اهـ النشر ٧/١.

قلت : كأنه رحمه الله جمع بين الروايات الواردة في ذلك فضم بعضها إلى بعض؛ إن غاية ما تفيده كل رواية هو مبلغ علم راويها والله أعلم.

الحروف السبعة أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءاتهم» اهـ (١).

قلت : ويمكن أن يقال : إن اقتصار ابن مجاهد رحمه الله تعالى على عدد «السبعة» لأن العرب تطلق هذا العدد غالبا لأفادة الكثرة في المعدود، لا خصوص العدد المذكور (٢) فابن مجاهد رحمه الله رمز لكثرة القراءات بالحديث عن سبعة منها .

وقد يكون اقتصاره عليها لأن هذا أصح ما عنده هو .
ويمكن أن يقال غير ذلك من الاجتهادات في تعليل اقتصاره على هؤلاء السبعة من القراء وقراءاتهم.

والمقصود بيان أن ابن مجاهد رحمه الله لم يقصد بالقراءات السبعة الاقتصار عليها واطراح ما عداها ولو كان صحيحا، وأن هذه القراءات السبع هي الأحرف السبعة الواردة في الحديث والله أعلم.

المسألة الثالثة : هل اشتمل المصحف الذي نسخه عثمان رضي الله عنه على الأحرف السبعة ؟.

تقدم (٣) أن عثمان بن عفان رضي الله عنه جمع الناس على حرف واحد: قراءة واحدة، وأنه أمر أن يكتب المصحف على لسان قريش.
وأنه رضي الله عنه فعل الذي فعل لما رأى الأمة تفترق وتختلف في كتاب ربها، فاجتمع رأيه ورأي الصحابة رضوان الله عليهم. أجمعين على جمع الناس على حرف واحد، فاجتمعوا على ذلك اجتماعا سائغا وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة، ولم يكن في ذلك ترك لواجب ولا فعل لمحظور.

وهذا قول جمهور العلماء من السلف والأئمة (٤).
وزهب طوائف من الفقهاء والقراء وأهل الكلام إلى أن هذا المصحف مشتمل على الأحرف السبعة، وقرر ذلك طوائف من أهل الكلام

(١) مجموع الفتاوى ٣٩٠/١٣.

(٢) قال في لسان العرب ١٤٦/٨-١٤٧ في كلامه على مادة [س. ب. ع] : «والعرب تضعها موضع التضعيف والتكثير....»

وقال الأزهري : «وأرى قول الله عزوجل لنبيه ﷺ : ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة : ٨٠] من باب التكثير والتضعيف، لا من باب حصر العدد» اهـ

(٣) في بحث جمع القرآن في المدخل لهذا القسم ص ٤١، ٤٦-٤٨.

(٤) مجموع الفتاوى ٣٩٥/١٣-٣٩٧ وقرار بالمنجد ص ٢١-٢٢ والنشر ٣١٠، ٣٢-٣٢.

كالقاضي أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) وغيره، بناء على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة وقد اتفقوا على نقل هذا المصحف وترك ما سواه؛ حيث أمر عثمان بنقل القرآن من الصحف التي كان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما كتبها القرآن فيها، ثم أرسل عثمان رضي الله عنه بمشاورة الصحابة إلى كل مصر من أمصار المسلمين بمصحف، وأمر بترك ما سوى ذلك.

وقالوا : لا يجوز أن ينهى عن القراءة ببعض الأحرف السبعة (١). قلت : هذا الكلام لا يتطرق إلى إجماع الصحابة رضوان الله عليهم في موافقتهم لعثمان رضي الله عنهم أجمعين، ولم يكن فيما فعله رضي الله عنه ترك لواجب، ولا فعل لمحذور.

واختار مكي بن أبي طالب (٢) (ت ٤٣٧هـ) وابن الجزري (٣) (ت ٨٣٣هـ) مذهب جمهور العلماء من السلف والأئمة، لكنهما قالوا: إن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه مع ما احتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط (٤) مع جمعها للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبرائيل عليه السلام متضمنة لها لم تترك منها شيئاً.

قال الطبري (ت ٣١٠هـ) : «فإن قال قائل : فما بال الأحرف الستة غير موجودة إن كان الأمر في ذلك على ما وصفت وقد أقرأهن رسول الله ﷺ أصحابه، وأمر بالقراءة بهن وأنزلهن الله من عنده على نبيه ﷺ؟ أنسخت فرفعت، فما الدلالة على نسخها ورفعها؟ أم نسيتهن الأمة فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه؟ أم ما القصة في ذلك؟».

قيل له : لم تنسخ فترفع، ولا ضيعتها الأمة وهي مأمورة بحفظها، ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن وخيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت، كما أمرت إذا هي حنثت في يمين وهي موسرة أن تكفر بأي الكفارات الثلاث شاءت أما بعثت أو باطعام، أو كسوة، فلو أجمع جميعها (يعني: الأمة) على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث دون حظرها التكفير بأي الثلاث شاء المكفر كانت مصيبة حكم الله، مؤدية في ذلك الواجب عليها من حق الله؛ فكذاك الأمة أمرت بحفظ القرآن وقراءته

(١) مجموع الفتاوى ٣٩٥-٣٩٦/١٣ وقارن بالنشر ٣١/١.

(٢) الإبانة ص ٣٥-٤٦، ٤٩-٤٩.

(٣) المنجد ص ٢٢ النشر ٣١/١.

(٤) ويظهر - والله أعلم - أن الطبري رحمه الله يقول بهذا، وسيأتي بعد قليل ما يؤكد هذا.

وخيرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت قرأت - لعل من العلل (١)
أوجبت عليها الثبات على حرف واحد - قراءته بحرف واحد ورفض
القراءة بالأحرف الستة الباقية، ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه ،
بما أذن له في قراءته به «(٢)».

وقال أيضا رحمه الله : «على أن إمام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان
ابن عفان رحمة الله عليه جمع المسلمين - نظرا منه لهم، وإشفاقا منه عليهم،
ورأفة منه بهم حذار الردة من بعضهم بعد الإسلام، والدخول في الكفر بعد
الإيمان، إذ ظهر من بعضهم بمحضه وفي عصره التكذيب ببعض الأحرف
السبعة، التي نزل عليها القرآن، مع سماع أصحاب رسول الله ﷺ من
رسول الله ﷺ النهي عن التكذيب بشيء منها، وإخباره إياهم أن المرء
فيها كفر؛ فحملهم - رحمة الله عليه -، إذ رأى ذلك ظاهرا بينهم في عصره،
ولحدثة عهدهم بنزول القرآن وفراق رسول الله ﷺ إياهم بما أمن عليهم
معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن - على حرف واحد.

وجمعهم على مصحف واحد وحرف واحد وخرق ما عدا المصحف الذي
جمعهم عليه وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف المصحف الذي
جمعهم عليه أن يخرقه.

فاستوسقت (٣) له الأمة على ذلك بالطاعة، ورأت أن فيما فعل من ذلك
الرشد والهداية، فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها
العادل في تركها طاعة منها له، ونظرا منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر
أهل ملتها، حتى درست من الأمة معرفتها وتعفت آثارها فلا سبيل لأحد اليوم
إلى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها، وتتابع المسلمين على رفض القراءة
بها من غير جحود منها صحتها وصحة شيء منها، ولكن نظرا منها لأنفسها
ولسائر أهل دينها فلا قراءة للمسلمين إلا بالحرف الواحد الذي أختاره لهم
إمامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية.

فإن قال بعض من ضعفت معرفته: وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها
رسول الله ﷺ وأمرهم بقراءتها؟.

قيل : إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض وإنما كان أمر
إباحة ورخصة؛ لأن القراءة بها لو كانت فرضا عليهم لوجب أن يكون العلم
بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من تقوم بنقله الحجة ويقطع خبره

(١) صرحت الآثار بهذه العلة وهي وقوع الناس في الاختلاف في القرآن بما قد يكون كفرا.

(٢) تفسير الطبري (شاكر) ٥٨/١-٥٩.

(٣) فاستوسقت له الأمة : تتابعت وانقادت، من تساوق البعير. لسان العرب ١٠/١٦٦.

العذر ويزيل الشك من قراءة الأمة؛ وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين بعد أن يكون في نقله القرآن من الأمة من تجب بنقله الحجة ببعض تلك الأحرف السبعة.

وإن كان ذلك كذلك؛ لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القراءات السبع تاركين ما كان عليهم نقله، بل كان الواجب عليهم من الفعل ما فعلوا؛ إذ كان الذي فعلوا من ذلك كان هو النظر للإسلام وأهله، فكان القيام بفعل الواجب عليهم بهم أولى من فعل ما لو فعلوه كانوا إلى الجناية على الإسلام وأهله أقرب منهم إلى السلامة من ذلك» اهـ (١).

قلت : ويلاحظ مايلي :

(١) الذي يظهر - والله أعلم - أن الصحابة رضوان الله عليهم امتثلوا لأمر عثمان رضي الله عنه، فاقرواوا الناس بذلك الحرف الذي جمعهم عليه وبالتالي حظي ذلك الحرف بنقل الكافة عن الكافة، وهو ما أصطلح على تسميته بالتواتر.

(٢) هناك قراءات نقلت إلينا بأسانيد آحاد صحيحة موافقة لرسم المصحف ولها وجه من العربية، فهل هي من الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه أم من غيره؟.

الذي يبدو - والعلم عند الله - أن كل قراءة لم تنتقل نقلا متواترا وصح سندها ووافقت خط المصحف هي من غير الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه.

ويرشح هذا ما ذكرته سابقا من أن عثمان رضي الله عنه لم يبلغ باقي الحروف التي تخالف الحرف الذي جمع الناس عليه ولكنه أمر بأن يقرأ الناس بهذا الحرف الواحد، وترك كل حرف قرأ به صحابي على رسول الله ﷺ تحت المسؤولية الشخصية الفردية لذاك الصحابي، يقرأ به لنفسه ويصلي به، لكن لا يقرئه إقراء عاما.

ومقتضى هذا أن الحرف الذي جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه الناس عليه ووافقه عليه الصحابة - رضوان الله عليهم -، ذاك الحرف هو الذي حظي بنقل الكافة عن الكافة، وتلك الحروف التي قرأ بها الصحابة على رسول الله ﷺ ولم تكن موافقة لهذا الحرف لم تحظ بنقل الكافة عن الكافة، إنما بنقل الخاصة، وهو ما أصطلح عليه بالآحاد.

وعليه فإن القراءة التي صح سندها ولم تتواتر ووافقت رسم المصحف والعربية ولو بوجه، هذه القراءة لا تكون من الحرف الذي جمع عثمان رضي

(١) تفسير الطبري (شاكرو) ٦٥-٦٣/١.

الله عنه الناس عليه، لأنها لو كانت من الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه لحظيت بالتواتر لأن الإقراء العام كان بذلك الحرف.

أما القراءة التي صح سندها ولم تتواتر ولم توافق رسم المصحف مع موافقتها للعربية ولو بوجه؛ هذه القراءة نتوقف فيها، فلا نقول هي من الأحرف السبعة جزماً، ولا نقطع بنفي ذلك إذ الأمر محتمل.

(٣) من التقرير السابق يظهر - والله أعلم - الملحظ الذي لا حظه العلماء الذين وضعوا ذلك الضابط في صحة القراءة (أعني: صحة السند وموافقة الرسم ولو احتمالاً وموافقة العربية ولو بوجه) فهم إنما لاحظوا هذا الملحظ الذي قلناه.

وقد صرح الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ) رحمه الله تعالى بذلك حيث قال: «كل ما صح عندنا من القراءات أنه علمه رسول الله ﷺ لأمته من الأحرف السبعة التي أذن الله له ولهم أن يقرأوا بها القرآن، فليس لنا أن نخطيء من قرأ به إذ كان ذلك موافقاً لخط المصحف.

فإن كان مخالفاً لخط المصحف لم نقرأ به، ووقفنا عنه وعن الكلام فيه» اهـ (١).

قلت : و كلامه رحمه الله هذا لا يتناقض مع ما سبق نقله عنه حيث قرر أن عثمان جمع الناس على حرف واحد (٢) وذلك إذا لاحظنا أن كلامه بالنسبة لجمع عثمان إنما هو بالنسبة للإقراء العام، وكلامه هنا بالنسبة للقراءات عموماً، سواء منها ما نقل عن طريق الكافة عن الكافة، أم ما نقل عن طريق الخاصة ولذلك تراه هنا صدر كلامه بقوله: «كل ما صح عندنا...» وهذا بين والله الحمد (٣).

(١) انظر «الإبانة» ص ٦٠، نقلاً عن كتاب القراءات للطبري .

(٢) وكلام الطبري الذي صرح فيه بهذا نقلته سابقاً قبل ذكر هذه الملاحظات.

(٣) وقد عد مكي بن أبي طالب هذا الموضوع تناقضاً من الطبري رحمه الله، حيث قرر الطبري في مقدمة تفسيره (شاکر) ٦٣/١-٦٥ أن الأمة تركت القراءة بالأحرف الستة، وأنه لا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها، مع قوله في كتاب «القراءات»: «كل ما صح عندنا من القراءات ليس لنا أن نخطيء من قرأ به إذا كان موافقاً لرسم المصحف...»

ولا تناقض بين كلامه - والله الحمد - إذ أن كلام الطبري في مقدمة تفسيره يفهم منه أن الأحرف الستة بمجموعها لا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها، وسياق كلامه وسباقه ولحاظه يدل على أن هذا مراده، فلا ينفي رحمه الله كون بعض الأحرف الستة مما وافق الرسم وصح في النقل أنه يمكن القراءة به، وهذا ما صرح به في كتابه «القراءات» في النص الذي نقله عنه مكي رحمه الله ونقلته عنه هنا والله أعلم.

خلاصة المطلوب :

الصلة بين القراءات والأحرف السبعة صلة عموم وخصوص من وجه ؛ حيث أن القراءات المنقولة إلينا بالتواتر إنما هي حرف واحد وهو الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه . والقراءات المتواترة مع القراءات التي صح سندها ووافقت رسم المصحف إنما هي بعض الأحرف السبعة مما يحتمله رسم المصحف العثماني.

وما صح سنده وخالف رسم المصحف توقفنا فيه؛ فلا نقول هو من الأحرف السبعة، ولا نقول ليس هو منها. ونسبة القراءات السبعة إلى القراء السبعة إنما هي نسبة اختيار وشهرة، لا رأي ولا شهوة، إنما اتباع للنقل والأثر. والقراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة ، والله أعلم .

المبحث الثاني : أقسام القراءات .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أقسام القراءات من جهة النقل .

المطلب الثاني : أقسام القراءات من جهة القبول .

المطلب الأول : أقسام القراءات من جهة النقل .

القراءات تنقسم من جهة النقل إلى قسمين :

(١) قراءة متواترة .

(٢) قراءة آحادية، وهي قسمان :

(أ) قراءة مشهورة .

(ب) قراءة غير مشهورة .

أمّا القراءة المتواترة فهي : القراءة التي رواها جماعة عن جماعة (من غير تعيين عدد على الصحيح) كذا إلى منتهاها يمتنع عادة تواطؤهم على الكذب (١).

أما القراءة الآحادية المشهورة فهي القراءة التي صح سندها ولم يبلغ درجة التواتر، ووافقت رسم المصحف ولو احتمالا و وافقت وجها من العربية، واشتهرت عند القراء بالقبول (٢).

أما القراءة الآحادية غير المشهورة فهي القراءة التي اختلف فيها شرط من شروط القراءة الآحادية المشهورة (٣) وهي أنواع بحسب القبول. قال القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) : «القراءات بالنسبة للتواتر وعدمه ثلاثة أقسام :

قسم اتفق على تواتره، وهم السبعة المشهورة.

وقسم اختلف فيه، وهم الثلاثة بعدها.

وقسم اتفق على شذوذه، وهم الأربعة الباقية» اهـ (٤).

(١) المنجد ص ١٥ اللطائف ٦٩/١، وقيل بتعيين العدد الذي يحصل به التواتر واختلفوا فيه؛ فقليل: ستة، وقيل: اثنا عشر، وقيل: عشرون، وقيل: أربعون، وقيل: سبعون. المصدر نفسه .

(٢) المنجد ص ١٦ النشر ١٣، ٩/١.

(٣) ولكل نوع حكم في القبول، ستأتي - إن شاء الله - في المطلب الثاني من هذا المبحث .

(٤) اللطائف ١٧٠/١.

قلت : الذي تحرر من كلام أهل العلم أن القراءات الثلاث المتممة للعشر (أعني: قراءة أبي جعفر، ويعقوب، وخلف) متواترة برواتها المشهورين في جمهور أفرادها.

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) : «الذي وصل إلينا اليوم متواترا وصحيا مقطوعا به قراءات الأئمة العشرة ورواتهم المشهورين، هذا الذي تحرر من أقوال العلماء، وعليه الناس اليوم بالشام والعراق ومصر والحجاز...» اهـ (١).

قال الدمياطي (ت ١١١٧هـ) : «و[هو] الصحيح المختار الذي تلقيناه عن عامة شيوخنا وأخذنا به عنهم، وبه نأخذ» اهـ (٢).
ويلاحظ مايلي :

(١) ذهب شهاب الدين أبو شامة (٣) (ت ٦٦٥هـ) إلى القول بعدم تواتر القراءات عن النبي ﷺ وتابعه الزركشي (ت ٧٩٤هـ) وجعله التحقيق حيث قال : «التحقيق أن القراءات السبع متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبي ﷺ ففيه نظر، فإن اسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد، لم تكمل شروط التواتر في استواء الطرفين والواسطة، وهذا شيء موجود في كتبهم، وقد أشار الشيخ شهاب الدين أبو شامة في كتابه «المرشد الوجيز» إلى شيء من ذلك» اهـ (٤).

قلت : وفي هذا القول من أبي شامة والزركشي رحمهما الله نظر؛ إذ هذه الأسانيد الموجودة في كتب القراءات إنما نقلت لنا أسماء من تصدوا للإقراء، والظاهر أن كل طبقة من طبقات هذه الأسانيد موافقون على هذه القراءة إذ لو كان غير ذلك لنقل لأن هذا مما تتداعى الهمم إلى نقله جملة، فانتهاء القراءة إلى أبي بن كعب، أو عبدالله بن مسعود لا يعني أن هذه القراءة لم ينقلها من الصحابة غيرهما رضي الله عنهما، بل الظاهر الذي تدل عليه الآثار أن مجموع الصحابة كان موافقا مقرا بهذه القراءة عن

(١) المنجد ص ٢٣ ولا يفهم من كلامه هنا الجزم بتواتر جميع أفراد القراءات العشر، فقد قال قبل هذا الموضع في كتابه «المنجد» ص ٢٠ : «وانما المقرؤ به عن القراء العشرة على قسمين متواتر وصحيح مستفاض متلقى بالقبول، والقطع حاصل بهما» اهـ

(٢) الاتحاف ص ٧ بزيادة ما بين العارضتين.

(٣) المرشد ص ١٧٨.

(٤) البرهان في علوم القرآن ٣١٩/١.

رسول الله ﷺ وبهذا يتحقق التواتر، وقد نبّه العلماء رحمهم الله على هذا، وبينوا أن عذر من قال بعدم تواتر القراءات السبع أو العشر إلى الرسول ﷺ أو في طبقة من طبقات أسانيدھا؛ عذرہ أنه ظن القراءات كالحديث، مخرجها كمخرجه إذا كان مدارها على واحد كانت آحادية، وخفي عليه أنها نسبت إلى ذلك الإمام إصطلاحاً، وإلا فكل أهل بلدة كانوا يقرؤونها أخذوها أمّا عن أمم ولو انفرد واحد بقراءة دون أهل بلده لم يوافقہ على ذلك أحد بل كانوا يجتنّبونها ويأمرون باجتنابها(١).

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) مقررأ ما تقدم : «هذا كان من شأنهم على أن تعيين هؤلاء القراء ليس بلازم ولو عين غير هؤلاء لجاز، وتعيينهم إما لكونهم تصدوا للقراء أكثر من غيرهم أو لأنهم شيوخ المعين، ومن ثم كره من كره من السلف أن تنسب القراءة إلى أحد.

روى ابن أبي داود(٢) عن إبراهيم النخعي(٣) قال : «كانوا يكرهون أن يقال: سنة فلان وقراءة فلان» (٤).

قلت (ابن الجزري) : وذلك خوفا مما توهمه أبو شامة من أن القراءة إذا نسبت إلى شخص تكون آحادية، ولم يدر أن كل قراءة نسبت إلى قارئ من هؤلاء كان قراؤها زمن قارئها وقبله أكثر من قرائها في هذا الزمان وأضعافهم» اهـ(٥).

وقال أبو المعالي محمد بن أحمد بن اللبان(٦) (من شيوخ ابن

(١) المنجد ص ٦٧.

(٢) عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني البغدادي، إمام مشهور، ابن أبي داود صاحب السنن (ت ٣١٦هـ). غاية النهاية ٤٢٠/١.

(٣) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران النخعي الكوفي إمام مشهور صالح زاهد فقيه توفي سنة ٩٦هـ. غاية النهاية ٧٢/٢.

(٤) روى ابن أبي داود في كتاب المصاحف ما يدل عليه ص ٢٠- ٢١، ٣١٠ ولم أجد هذا النص عن إبراهيم النخعي فيه غير أنني وجدت النووي في كتاب «التبيان في آداب حملة القرآن» ص ١٣٦ يعزوه كذلك إلى ابن أبي داود، وأورده السيوطي في الاتقان (أبوالفضل) ٢٢٩/١ دون عزوه إلى أحد.

ثم وجدته عند ابن أبي شيبة في المصنف ٥٣٢/١- ٥٣٣ بسند صحيح عن إبراهيم النخعي رحمه الله فالحمد لله على توفيقه.

(٥) المنجد ص ٦٨.

(٦) محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن جامع أبو المعالي ابن اللبان الدمشقي استاذ محرر ضابط (٧١٥-٧٧٦هـ). غاية النهاية ٧٢/٢.

الجزري): «إنحصر الأسانيد في طائفة لا يمنع مجيء القرآن عن غيرهم فلقد كان يتلقاه أهل كل بلد يقرأه منهم الجم الغفير عن مثلهم، وكذلك دائماً، والتواتر حاصل لهم، ولكن الأئمة الذين تصدوا لضبط الحروف وحفظوا شيوخهم فيها جاء السند من جهتهم.

وهذه الأخبار الواردة في حجة الوداع ونحوها أجلى، ولم تزل حجة الوداع منقولة عن يحصل بهم التواتر عن مثلهم في كل عصر، فهذه كذلك . قال : وهذا موضع ينبغي [التنبيه] له اهـ (١).

قلت : مما تقدم يعلم أن القراءات السبع والعشر في جملتها وجمهور تفاصيلها لا تعتمد في تواترها على الأسانيد المدونة في كتب القراءات، وأن هذه الأسانيد إنما تنقل لنا أسماء من تصدى لضبط القراءات ونقلها خلفا عن سلف، فهي مجرد طريق علمي اصطلاحي لنقل القراءة، وليست طريق الاخبار وحصول حقيقة العلم بها في ذاتها، لأنها (أعني: القراءات) حاصلة قبل أن يولد هؤلاء الأئمة الذين نقلوا أسانيدها.

وهذا أصل مهم ينبغي التنبيه له، كما قال ابن اللبان رحمه الله تعالى؛ لأن كثيراً من الناس يتشوش فكره بعدم فهمه بل هذا مدخل استغله الزنادقة قديما والمستشرقون وأضرابهم حديثاً؛ لقلّة علمهم في هذا الباب، ولعدم تقرر هذا الأصل لديهم وهو أصل مطرد في كثير من قضايا الدين المهمة كالصلاة مثلاً لو نظرنا إلى أحاديثها فهي - غالباً - آحاد لكن الصلاة في جملتها وجمهور تفاصيلها منقولة لنا بنقل الكافة عن الكافة الذين يحصل بهم أوثق أنواع النقل التواتر، والله أعلم.

(١) بواسطة المنجد ص ٧٠ بتصرف.

المطلب الثاني : أقسام القراءات من جهة القبول.
القراءات من جهة قبولها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :
- قسم القراءات المقبولة.
- قسم القراءات المردودة .
- قسم القراءات المتوقف فيها .
فالقسم الأول : القراءات المقبولة، وهي نوعان :
(١) القراءة المتواترة .
(٢) القراءة الصحيحة المشهورة .
والقسم الثاني : القراءات المردودة ، ثلاثة أنواع :
(١) القراءة التي صح سندها ووافقت الرسم وخالفت العربية.

(٢) القراءة التي لم يصح سندها .
(٣) القراءة التي لا سند لها .
والقسم الثالث : القراءات المتوقف فيها وهو : كل قراءة صح سندها ووافقت العربية وخالفت رسم المصحف .
قلت : وبيان هذه الأقسام كما يلي :

أولاً : القسم المقبول عند علماء القراءات وهو نوعان :
الأول : القراءة المتواترة .
الثاني : القراءة المشهورة .
أما القراءة المتواترة فقد مضى الحديث عنها في المطلب الأول من هذا المبحث، ولله الحمد والمنة.
أما القراءة المشهورة فهي عند العلماء: كل قراءة صح سندها ووافقت رسم المصحف ولو احتمالاً ووافقت العربية ولو بوجه واشتهرت بالقبول عند علماء هذا الشأن.
وهذه القراءة التي توفرت فيها هذه الشروط صحيحة عندهم (١).
ومثال القراءة المشهورة : ما انفرد به بعض الرواة وبعض الكتب المعتمدة، أو كمراتب القراء في المد ونحو ذلك.

(١) المنجد ص ١٦ النشر ١/٣١٠٩.

كقراءة ابن ذكوان (١): ﴿تَتَبَعَانِ﴾ يونس: ٨٩، بتخفيف النون وقرأ الباقون بتشديدها (٢) واتفقوا على فتح التاء الثانية وتشديدها وكسر الموحدة بعدها (٣).

وكقراءة هشام : ﴿أَفْنِيدَةَ﴾ بياء بعد الهمز وذلك في قوله تعالى: ﴿... فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ إبراهيم: ٣٧، وقرأ الباقون والطريق الثاني عن هشام ﴿أَفْنِدَةً﴾ بغير ياء (٤).
وكقراءة قُنبَل (٥): ﴿عَلَى سَوَّوْقِهِ﴾ بواو بعد الهمزة وذلك في قوله تعالى: ﴿... فَاسْتَوَى عَلَى سَوَّوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ...﴾ الفتح: ٢٩، وقرأ الباقون بواو ساكنة بعد السين (٦).

وغير ذلك من التسهيلات والإمالات التي لا توجد في غير الشاطبية من كتب القراءات إلا في كتاب أو اثنين وهذا لا يثبت به التواتر.
قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) معقبا على ماسبق : «هذا وشبهه وإن لم يبلغ مبلغ التواتر صحيح مقطوع به نعتقد أنه من القرآن وأنه من الأحرف السبعة التي نزل القرآن بها، والعدل الضابط إذا انفرد بشيء تحتمله العربية والرسم واستفاض وتلقي بالقبول قطع به وحصل به العلم» اهـ (٧).
وقال أيضا رحمه الله تعالى عن هذا القسم من القراءات: «فهذا صحيح مقطوع به أنه منزل على النبي ﷺ من الأحرف السبعة، وهذا الضرب يلحق بالقراءة المتواترة وإن لم يبلغ مبلغها» اهـ (٨).

(١) عبدالله بن أحمد بن بشر و يقال: بشير بن ذكوان بن عمرو بن حسان ابن فهر بن مالك بن النضر أبو عمرو وأبو محمد القرشي الفهري الدمشقي، إمام شهير ثقة توفي سنة ٢٤٢هـ. غاية النهاية ٤٠٤/١.

(٢) التيسير ص ١٢٣ التبصرة ص ٢٦٦.

(٣) وانفرد ابن مجاهد عن ابن ذكوان باسكان التاء الثانية وفتح الباء وتشديد النون. السبعة ص ٣٢٩.

ونبه الشاطبي كما في الحرز مع شرحه «إبراز المعاني» ص ٥١٠، على ضعفه وتابعه صاحب تحرير مسائل الشاطبية كما في مختصر بلوغ الأمنية على نظم تحرير مسائل الشاطبية ص ٢٤٩-٢٥٠، ونقل تضعيف الداني له أيضا.

وأشار المحقق ابن الجزري في النشر ٢/٢٨٧ إلى صحته من طرق أخرى.

قلت : وعلى هذا فهي قراءة صحيحة لأنها وافقت رسم المصحف والعربية وصح سندها ولم تتواتر، والله أعلم.

(٤) التيسير ص ١٣٥ النشر ١/٢٩٩-٣٠٠ الاتحاف ص ٢٧٣.

(٥) محمد بن عبدالرحمن بن خالد بن محمد أبو عمر المخزومي مولا هم المكي الملقب بقنبل شيخ القراء بالحجاز في زمانه (١٩٥-١٩٢هـ). غاية النهاية ١٦٥/٢.

(٦) إبراز المعاني ص ٦٢٩-٦٣٠ النشر ٢/٣٣٨ البدور الزاهرة ص ٣٠٠.

(٧) المنجد ص ١٩.

(٨) المنجد ص ١٦.

وقال أيضا رحمه الله: «وإنما المقرؤ به عن القراء العشرة على قسمين متواتر وصحيح مستفاض متلقى بالقبول والقطع حاصل بهما» اهـ (١). قلت : يعني رحمه الله أن استفادة القراءة الصحيحة السند وتلقيها بالقبول يقوم مقام التواتر في القطع بقرآنيتهما ففيه إشارة إلى أن المقصود حصول القطع بقرآنية القراءة إما بتواتر سندها، أو بالقرائن التي تحف بالسند الأحادي فتجعله يفيد ما يفيد التواتر، وسيأتي مزيد بسط لهذا - إن شاء الله - والله أعلم وأحكم.

ثانيا : القسم المردود من القراءات :

وهو ثلاثة أنواع :

الأول : القراءة التي صح سندها ووافقت الرسم وخالفت العربية ولم تتلق بالقبول عند علماء القراءات .

الثاني : القراءة التي لم يصح سندها .

الثالث : القراءة التي وافقت الرسم والعربية ولا سند لها .

أما القراءة التي صح سندها ووافقت الرسم وخالفت العربية ولم تتلق بالقبول عند علماء القراءات؛ فانها لا تصدر إلا على وجه السهو، والغلط وعدم الضبط، ويعرفه الأئمة المحققون والحفاظ الضابطون (٢).

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) عن هذا النوع: «وهو قليل جدا بل لا يكاد يوجد وقد جعل بعضهم منه رواية خارجة عن نافع ﴿معائش﴾ [الأعراف: ١٠]، بالهمز (٣).

(١) المنجد ص ٢٠.

قد يوهم كلام ابن الجزري هنا المعارضة مع ما تقدم نقله عنه في المطلب الأول من هذا المبحث حيث قرر تواتر القراءات العشر برواياتها المشهورة.

قلت : ولا معارضة - ولله الحمد - بين الكلامين، حيث أن مراده حينما قال: «القراءات العشر متواترة» أي: بالنظر إلى مجموع القرآن أو ما كان منها عن طريق رواية المشهورين باتفاق، وهذا لا ينفي وجود روايات وطرق منفردة في العشر غير الروايات والطرق المشهورة، وتلقاها القراء - مع ذلك - بالقبول لموافقتها الرسم والعربية ولصحة سندها، وهذا هو ما قصده ابن الجزري في قوله هنا عن القراءات العشر أنها على قسمين متواتر وصحيح، والله أعلم. وانظر النشر ١٣/١ اللطائف ٧٠/١.

(٢) المنجد ص ١٦.

(٣) وحكم ابن مجاهد رحمه الله بغلط هذه الرواية في «السبعة» ص ٢٧٨ وكذا في «غيث النفع» ص ٢٢١ وقال ﴿معائش﴾ هو بالياء من غير همز ولا مد لكل القراء، وشذ خارجة فرواه عن نافع بالهمز وهو ضعيف جدا، بل جعله بعضهم لحنا» وكذا في «الاتحاف» ص ٢٢٢، أما ابن مهران فقال في المبسوط ص ١٧٩: «قرأ القراء

وما رواه ابن بكار (١) عن أيوب (٢) عن يحيى عن ابن عامر من فتح ياء: ﴿أَدْرِي أَقْرِبَ﴾ [الأنبياء: ١٠٩]، مع إثبات الهمزة، وهي رواية زيد (٣) وأبي حاتم عن يعقوب.

وما رواه أبو علي العطار (٤) عن العباس (٥) عن أبي عمرو ﴿ساحران تظاهرا﴾ [القصص: ٤٨]، بتشديد الظاء (٦) والنظر في ذلك لا يخفى» اهـ (٧).
أما القراءة التي لم يصح سندها، سواء وافقت الرسم أم خالفته، وسواء وافقت العربية أم خالفته؛ فهي قراءة ضعيفة مردودة (٨).
كقراءة ابن السميعة (٩) وأبي السمال (١٠) وغيرهما في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾ يونس: ٩٢، فقد خالفت في موضعين «ننحيك» بالحاء المهملة، و«خلفك» بفتح سكون اللام.

كلهم: ﴿معايش﴾ بغير همز ولم يختلفوا فيه إلا مارواه أسيد عن الأعرج وخارجة عن نافع أنهما همزاه قيل: فأما نافع فهو غلط عليه، لأن الرواة عنه الثقات كلهم على خلاف ذلك، وقال أكثر القراء وأهل النحو والعربية: إن الهمزة فيه لحن، وقال بعضهم: ليس بلحن وله وجه وإن كان بعيدا» اهـ.

قلت: أخذ خارجة بن مصعب القراءة عن نافع وأبي عمرو وله شذوذ كثير عنهما لم يتابع عليه، كذا قال في «غاية النهاية» ٢٦٨/١، لكن نبه ابن مهران في كلامه السابق إلى أن خارجة لم ينفرد بهذه القراءة فالحق أعلم.

- (١) عبد الحميد بن بكار أبو عبد الله الكلاعي الدمشقي نزيل بيروت. غاية النهاية ٣٦٠/١.
- (٢) أيوب بن تميم بن سليمان بن أيوب أبو سليمان التميمي الدمشقي، ضابط مشهور (١٢٠-٢١٩هـ). غاية النهاية ١٧٢/١.
- (٣) زيد بن أحمد بن إسحاق بن زيد أبو علي الحضرمي يروي القراءة عن عمه يعقوب عرضا. غاية النهاية ٢٩٦/١.
- (٤) الحسن بن علي بن عبد الله أبو علي العطار البغدادي شيخ جليل ماهر ثقة، يعرف بالأقرع توفي سنة ٤٤٧هـ. غاية النهاية ٢٢٤/١.
- (٥) العباس بن الفضل بن عمرو بن عبيد بن الفضل بن حنضلة أبو الفضل الواقفي الأنصاري البصري قاضي الموصل استاذ حاذق ثقة (١٠٥-١٨٦هـ). غاية النهاية ٣٥٣/١.
- (٦) ولم يختلف القراء في تخفيفها، وخلافهم في السين والحاء والألف، فعاصم وحمزة والكسائي وخلف بكسر السين وسكون الحاء بلا ألف، والباقون بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء. أنظر النشر ٣٤١-٣٤٢ الاتحاف ص ٣٤٣.
- (٧) النشر ١٦/١.
- (٨) النشر ١٦/١ وهذا النوع سماه السيوطي في الاتقان (أبو الفضل) ٢١٦/١: «موضوع».
- (٩) محمد بن عبد الرحمن بن السميعة بفتح السين أبو عبد الله اليماني. غاية النهاية ١٦١/٢.
- (١٠) قعنب بن أبي قعنب أبو السمال بفتح السين وتشديد الميم وباللام العدوي البصري، له اختيار شاذ عن العامة في القراءة. غاية النهاية ٢٧/٢.

وكالقراءة المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة (١) رحمه الله التي جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي (٢) ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي (ت ٤٦٥هـ) وغيره؛ فأنها لا أصل لها ومنها: «انما يخشى الله من عباده العلماء» [فاطر: ٢٨] برفع الهاء من لفظ الجلالة، ونصب الهمزة من «العلماء» على أنها مفعول به (٣).

ويدخل في هذين النوعين من قسم القراءات المردودة ما يذكره بعض المتأخرين من شراح الشاطبية في وقف حمزة على نحو: «اسمايهم» و «أوليك» فأبدل الهمزة بياء خالصة ونحو «شركاؤهم» و «أحباه» فأبدل الهمزة المرفوعة بواو خالصة، ونحو «بداكم» و «أخاه» بألف خالصة، ونحو: «رأى را وترى ترا واشمازت اشمزت و فادار أتم فادراتم» بالحذف في ذلك كله، مما يسمونه التخفيف الرسمي (٤).

ولا يجوز في وجه من وجوه العربية، فإنه إما أن يكون منقولاً عن ثقة ولا سبيل إلى ذلك فهو مما لا يقبل إذ لا وجه له، وإما أن يكون منقولاً عن غير ثقة فممنعه أخرى ورده أولى (٥).

-
- (١) النعمان بن ثابت بن زوطا الإمام أبو حنيفة الكوفي، فقيه العراق، والمذكور في الآفاق، مولى بني تميم الله بن ثعلبة توفي سنة ١٥٠هـ. غاية النهاية ٣٤٢/٢.
- (٢) الخزاعي إمام جليل من أئمة القراء الموثوق بهم، والعهد في وضع الكتاب على الحسن بن زياد اللؤلؤي (ت ٢٠٤هـ) صاحب أبي حنيفة، وهو ضعيف في الرواية جدا كذبه غير واحد وقد روى هذه القراءة عنه ابنه محمد بن الحسن بن زياد وعنه عمر بن شبة النمري حسبما ذكره الخزاعي.
- أنظر ميزان الاعتدال ٤٩١/١ غاية النهاية ٢١٣/١ ، ١١٠/٢ ، ١١٦.
- (٣) قال ابن الجزري: «وقد راج ذلك على أكثر المفسرين ونسبها إليه، وتكلف توجيهها وإن أبا حنيفة لبريء منها» هـ. النشر ١٦/١.
- (٤) الكلمات السابقة كلها كلمات قرآنية، وردت على الترتيب في الآيات التالية، أو أمثالها: أسمايهم: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ البقرة: ٣٣. أوليك: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى﴾ البقرة: ٥. شركاؤهم: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ الأنعام: ١٣٧. أحباؤه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ المائدة: ١٨. بداكم: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ الأعراف: ٢٩. أخاه: ﴿قَالُوا ارْجِهْ أَخَاهُ وَارْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ الأعراف: ١١١. را: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ الأنعام: ٧٦. ترا: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ المائدة: ٥٢. اشمزت: ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ الزمر: ٤٥. فاداراتم: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَارَأْتُمْ فِيهَا﴾ البقرة: ٧٢.
- (٥) النشر ١٦/١-١٧.

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «تتبع ذلك فلم أجده منصوحا لا بطرق صحيحة ولا ضعيفة» اهـ (١).

قلت : إذا كان الأمر كما ذكره ابن الجزري رحمه الله فإن هذا المنسوب إلى وقف حمزة يكون من نصيب أمثلة النوع الثالث من القراءات المردودة وهو التالي:

أما القراءة التي وافقت الرسم والعربية ولا سند لها؛ فهذه لاتسمى قراءة إلا تجوزا .

قال ابن الجزري (٨٣٣هـ) : «وبقي قسم مردود أيضا وهو ما وافق العربية والرسم ولم ينقل البتة ، فهذا رده أحق ومنعه أشد ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر» اهـ (٢).

وقال أيضا : «وأما ما وافق المعنى والرسم أو أحدهما من غير نقل فلا تسمى شاذة بل مكذوبة يكفر متعمدها» اهـ (٣).

ثالثا القسم : المتوقف فيه من القراءات :

وهو القراءة التي صح سندها ووافقت العربية وخالفت الرسم؛ فهذه القراءة لا يحكم بقبولها ولا بردها، إذ يحتمل أن تكون من الأحرف السبعة، ويحتمل أن تكون من قبيل ما يسمى بالقراءات التفسيرية (٤).

وهذا القول بالتوقف ينبني على أصل وهو أن ما لم يثبت كونه من الأحرف السبعة فهل يجب القطع بكونه ليس منها؟ (٥).

الذي عليه جمهور العلماء أنه لا يجب القطع بذلك؛ إذ ليس ذلك مما أوجب علينا أن يكون العلم به في النفي والاثبات قطعيًا.

وصوب هذا ابن تيمية (٦) (ت ٧٢٨هـ) وصححه ابن الجزري (٧) (ت ٨٣٣هـ) رحمهما الله تعالى وذهب فريق من أهل الكلام إلى وجوب القطع بنفيه.

قال ابن تيمية معقبا على ما ذهب إليه هذا الفريق من أهل الكلام: «والصواب القطع بخطأ هؤلاء» اهـ (٨).

قال الطبري (ت ٣١٠هـ) رحمه الله تعالى: «كل ما صح عندنا من القراءات

(١) النشر ١٧/١.

(٢) النشر ١٧/١.

(٣) المنجد ص ١٧.

(٤) النشر ٣٢/١ الاتقان (أبوالفضل) ٢١٦/١.

(٥) مجموع الفتاوى ٣٩٩-٣٩٨/١٣.

(٦) ماسبق و قارن بالنشر ١٥/١.

(٧) النشر ١٥/١.

(٨) مجموع الفتاوى ٣٩٩-٣٩٨/١٣.

أنه علمه رسول الله ﷺ لأتمته من الأحرف السبعة التي أذن الله له ولهم أن يقرءوا بها القرآن فليس لنا أن نخطيء من قرأ به إذا كان ذلك موافقاً لخط المصحف.

فإن كان مخالفا لخط المصحف لم نقرأ به، ووقفنا عنه وعن الكلام فيه» اهـ (١).

وأمثلة هذا النوع :

قراءة عبدالله بن مسعود وأبي الدرداء : «والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى» (٢) الليل ١-٣. (٣).

قراءة ابن عمر : «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن» (٤) الطلاق: (٥).

قراءة ابن عباس : «وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا، وأما الغلام فكان كافرا» (٦) الكهف : ٧٩-٨٠ (٧).

(١) انظر الإبانة ص ٦٠، نقلا عن كتاب «القراءات» للطبري.

(٢) نص الآية كما في رسم المصحف الذي بين أيدينا ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾.

(٣) قراءة صحيحة السند .

أخرجها البخاري في كتاب التفسير باب ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ تحت رقم (٤٩٤٤) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب ما يتعلق بالقراءات تحت رقم (٨٢٤).

(٤) رسم الآية كما في مصحفنا : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ قراءة صحيحة السند .

(٥) أخرجها مسلم في كتاب الطلاق باب تحريم طلاق الحائض تحت رقم (١٤٧١) ومالك في الموطأ في كتاب الطلاق باب جامع الطلاق تحت رقم (٧٩) والدوري في جزء في قراءات النبي ﷺ ص ١٦٢ والحاكم في المستدرک ٢/٢٥٠.

(٦) رسم الآية كما في مصاحفنا : ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَافِكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾.

(٧) قراءة صحيحة السند .

أخرجها البخاري في كتاب التفسير باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ - تحت رقم (٤٧٢٥) وفي باب ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ تحت رقم (٤٧٢٦).

وأخرجها الطبري في تفسيره (دار الفكر) ٢/١٦ بإسناد حسن إلى قتادة قال : هي في حرف ابن مسعود ... وساق القراءة.

وأخرجها الطبري أيضا بإسناد ضعيف جدا عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال :

في قراءة أبي ... وساق القراءة .

وأشار إلى القراءة القرطبي في تفسيره ٣٤/١١ وكذا أبوحيان في البحر المحيط ١٥٤/٦.

ونحو ذلك مما صح سنده ووافق العربية وخالف رسم المصحف .
فهذه القراءات نتوقف فيها؛ فلا نحكم بقرآنيتهما ولا بعدم قرآنيتهما .
قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «فهذه القراءة تسمى اليوم شاذة لكونها
شدت عن رسم المصحف المجمع عليه، وإن كان إسنادها صحيحاً، فلا تجوز
القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها» اهـ (١).
قلت : وفي حكم القراءة في الصلاة بالقراءة الشاذة مذاهب للعلماء
رحمهم الله تعالى (٢).
على أن المهم هنا هو بيان أن هذه النوع من القراءة يستعان به في
فهم مراد الله تعالى .
قال أبو عبيد رحمه الله : «المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة
المشهوره، وتبيين معانيها .
كقراءة عائشة وحفصة : «والوسطى صلاة العصر» [البقرة : ٢٣٨] وقراءة
ابن مسعود : «فاقطعوا أيمانها» [المائدة : ٣٨] وقراءة جابر (٣) : «فإن الله
من بعد إكراههن لهن غفور رحيم» [النور : ٣٣] .

(١) المنجد ص ١٦-١٧ .

(٢) اختلف العلماء رحمهم الله في حكم القراءة في الصلاة بالشاذ فأجازها بعضهم؛ لأن
الصحابة والتابعين كانوا يقرؤون بهذه الحروف في الصلاة وهذا أحد القولين لأصحاب
الشافعي وأبي حنيفة وأحدى الروايتين عن مالك واحد .
وأكثر العلماء على عدم الجواز؛ لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي ﷺ وإن
ثبتت بالنقل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة أو باجماع الصحابة على المصحف
العثماني أو أنها لم تنقل إلينا نقلاً يثبت بمثله القرآن أو أنها لم تكن من الأحرف
السبعة .

وتوسط بعضهم فقال : إن قرأ بها في القراءة الواجبة - وهي الفاتحة عند القدرة
عليها - لم تصح صلاته ؛ لأنه لم يتيقن أنه أدى الواجب من القراءة لعدم ثبوت القرآن
بذلك وإن قرأ بها فيما لا يجب لم تبطل صلاته، لأنه لم يتيقن أنه أتى في الصلاة بمبطل؛
لجواز أن يكون ذلك من الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن، وهذا اختيار مجالدين
ابن تيمية رحمه الله .

وهذا الخلاف الفقهي مبناه على ما ذكرته في المتن حول ما لم يثبت كونه من الأحرف
السبعة فهل يجب القطع بكونه ليس منها؟ .

أنظر تفسير القرطبي ٤٧/١ مقدمتان في علوم القرآن ص ٢٧٣ «جمال القراءة»
٢٤١/١-٢٤٢ «المجموع شرح المذهب» ٣٩٢/٣ «مجموع الفتاوى» ٣٩٧/١٣-٣٩٨ «البرهان
في علوم القرآن» ٣٣٢/١-٣٣٣ النشر ١٤/١-١٥ الإتيان (أبوالفضل) ٢٢٥، ٣٠٧/١
«اللطائف» ٧٢/١-٧٥ «غيث النفع» ص ١٨-١٩ .

(٣) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بمهمله وراء الأنصاري ثم السلمي بفتحيتين، صحابي
ابن صحابي غزا تسع عشرة غزوة ومات بالمدينة بعد السبعين هجرية . «التقريب»
ص ١٣٦ .

قال : فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن .
وقد كان يروى مثل هذا عن التابعين في التفسير فيستحسن فكيف إذا
روي عن كبار الصحابة ثم صار في نفس القراءة فهو أكثر من التفسير
وأقوى فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل اهـ (١).
قلت : الذي يظهر - والله أعلم - أن قول أبي عبيد هو الحق الذي لا
معدل عنه - إن شاء الله - فإن هذه القراءة التي صح سندها إلى الصحابي
وخالفت رسم المصحف إما أن يصرح الصحابي برفعها إلى رسول الله ﷺ
فيكون حكمها - على أدنى الأحوال - حكم خبر الآحاد المنقول عنه ﷺ في
تفسير القرآن، إن لم تعد من الأحرف السبعة فتكون من باب تفسير القرآن
بالقرآن.

وإما أن لا يصرح الصحابي برفعها فأدنى الأحوال حينئذ أن تعد هذه
القراءة قول صحابي في تفسير القرآن فتكون من باب تفسير القرآن بقول
الصحابي.

وهذا خلافا لمن قال لا يعمل بها في شيء (٢).
تلك هي أقسام القراءات من جهة القبول ، وينبغي ملاحظة الأمور
التالية:

(١) التقسيم السابق على أساس أن القراءة الشاذة هي: ما صح
سنده ووافقت العربية ولو بوجه وخالفت رسم المصحف.
وهذا التعريف هو الذي اعتمده ابن تيمية (٣) (ت ٧٢٨هـ) وابن

-
- (١) فضائل القرآن لأبي عبيد (دار الكتب العلمية) ص ١٩٥ بتصرف، وانظر «البرهان في علوم
القرآن» ٣٣٦/١-٣٣٨ «الإتقان» (أبوالفضل) ٢٢٨/١.
(٢) ومأخذ هؤلاء أن الراوي لم يذكره إلا لكونه قرآنا ولم يروه في معرض الخبر فإذا بطل
كونه قرآنا بطل من أصله فلا يحتج به على شيء.
أنظر تفسير القرطبي ٤٧/١ أضواء البيان ٥/٢٤٨-٢٤٩.
ويعقب على هذا المأخذ بعدم التسليم ببطلان كونه قرآنا ؛ لأن الصواب كما قرر في
الصلب هو التوقف في هذا القسم ؛ فلا نجزم بقرآنيته ولا بعدم قرآنيته ، وليس أقل من
الاحتجاج به كخبر الآحاد .
ويمكن أن يجاب ثانيا على سبيل التنزل في الحوار : بأنه لا يلزم من التسليم ببطلان
كونه قرآنا التسليم بعدم كونه خبرا .
والعمل بالقراءة الشاذة هو ما ذكره القاضي أبو الطيب والقاضي حسين والرويانى
والرافعي تنزيلا لها منزلة خبر الآحاد وصححه ابن السبكي .
أنظر بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ٤٧٣/١-٤٧٤ جمع الجوامع يشرح
المحلي وحاشية العطار ٣٠٠/١-٣٠١ حاشية التفتازاني على شرح العضد لمختصر ابن
الحاجب ٢١/٢ الإتقان (أبوالفضل) ٢٢٨/١.
(٣) مجموع الفتاوى ٣٩٣/١٣-٣٩٤.

الجزري (١) ومن قبلهما مكي بن أبي طالب القيسي وأبو القاسم الهذلي (ت ٤٦٥هـ) وأبو شامة المقدسي (٢) (ت ٦٦٥هـ) وغيرهم كما سيأتي.

وأنبه هنا إلى أن هناك اصطلاحات أخرى في القراءة الشاذة غير هذا التعريف وهي التالية:

(أ) اصطلاح ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) على أن القراءة الشاذة هي كل قراءة خرجت عن القراءات السبع التي جمعها في كتابه الموسوم بـ «السبعة».

قلت : وقد تبعه على هذا الاصطلاح ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في كتابه: «المحتسب» (٣) وهذا المصطلح يعد القراءات الثلاث المتممة للعشر من الشواذ بالرغم من صحة سندها وموافقتها للرسم والعربية.

(ب) اصطلاح ابن الصلاح (٤) على أن القراءة الشاذة ما نقل قرآنا من غير تواتر واستفاضة، متلقاة بالقبول من الأمة كما اشتمل عليه «المحتسب» لابن جني وغيره.

قلت : فهو رحمه الله يشترط في القراءة الشاذة ثلاثة شروط سلبية وهي عدم نقلها بالتواتر، عدم استفاضتها، عدم تلقيها بالقبول من الأمة.

(ج) اصطلاح السيوطي (ت ٩١١هـ) على أن القراءة الشاذة هي القراءة التي لم يصح سندها، وأن القراءة التي صح سندها وخالفت رسم المصحف أو العربية أو لم تشتهر الاشتهار المذكور تسمى آحادية، ولا يقرأ بها (٥).

(٢) ضابط القراءة الصحيحة صحة السند مع موافقة رسم المصحف وموافقة العربية واشتهارها بالقبول عند علماء القراءات.

من أول من أشار إلى هذا الضابط الإمام أبو جعفر محمد بن جرير

(١) المنجد ص ١٦-١٧.

(٢) المرشد الوجيز ص ١٧٢، ١٧٨.

(٣) ٣٥، ٣٢/١.

(٤) المرشد الوجيز ص ١٨٤ البرهان في علوم القرآن ٣٣٢/١.

وابن الصلاح هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزوري الكردي الشرخاني أبو عمرو تقي الدين، أحد الفضلاء المقدمين في الحديث وأسماء الرجال والفقه والتفسير (٥٧٧-٦٤٣هـ). الأعلام ٢٠٧/٤.

(٥) الإتيقان (أبو الفضل) ٢١٦، ٢١٥/١.

الطبري (١) (ت ٣١٠هـ) ثم الحسين بن أحمد بن خالوية (٢) ثم مكي بن أبي طالب القيسي (٣) (ت ٤٣٧هـ) وأبو العباس أحمد بن عمار المهدوي (٤) (ت بعد ٤٣٠هـ) ثم أبو عمرو الداني (٥) (ت ٤٤٤هـ) ثم أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بأبي شامة (٦) (ت ٦٦٥هـ) ثم الكواشي الموصلي (٧) (ت ٦٨٠هـ) ثم أبو الخير محمد بن محمد المعروف بابن الجزري (٨) (ت ٨٣٣هـ) وغيرهم .

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) بعد ذكره لضابط القراءة الصحيحة: «هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف... وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافة» اهـ (٩).

(٣) شكك بعضهم (١٠) في كون مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) ممن يقول بهذا الضابط.

والواقع أن مكي بن أبي طالب أورد هذا الضابط في أكثر من موضع في كتابه «الإبانة» بألفاظ مختلفة وصرح رحمه الله في مواضع بعبارات قد توهم خلاف ما عزي إليه من قوله بهذا الضابط .

وليزول هذا الإيهام، أنقل كلامه في هذا الضابط ليسهل - إن شاء الله - فهمه.

(١) انظر الإبانة ص ٦٠ حيث نقل نصا من كتاب «القراءات» للطبري صرح فيه بشرط صحة السند وموافقة الرسم ويؤخذ موافقة اللغة منهما .

(٢) القراءات لابن خالوية ورقة ١٨ مخطوط مصور عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة. انظر القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ص ٤٣.

وابن خالويه هو الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدون أبوعبدالله النحوي اللغوي، نزيل حلب، إمام مشهور (ت ٣٧٠هـ). غاية النهاية ٢٣٧/١.

(٣) الإبانة ص ١٠٣، ١٠٣، ١٣٩.

(٤) النشر ٩/١.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المرشد الوجيز ص ١٤٥، ١٧١، ١٧٢، ١٧٨.

(٧) النشر ٩/١.

والكواشي هو أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع ، الإمام أبو العباس الكواشي الموصلي المفسر ، عالم زاهد كبير القدر (٥٩٠-٦٨٠هـ). غاية النهاية ١٥١/١.

(٨) النشر ٤٤/١ اللطائف ٦٧/١.

(٩) المنجد ص ١٦ النشر ٩/١.

(١٠) صاحب كتاب «في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق» ص ٤٩-٥١.

قال مكى بن أبى طالب : «إن جميع ماروي من القراءات على ثلاثة أقسام:
قسم يقرأ به اليوم؛ وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال وهي :
أن ينقل عن الثقات إلى النبي ﷺ .

ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعا .
ويكون موافقا لخط المصحف .

فإذا اجتمعت فيه هذه خلال الثلاث قريء به، وقطع على مغيبه وصحته
وصدقه ؛ لأنه أخذ عن اجماع من جهة موافقته لخط المصحف ، وكفر من
جده .

والقسم الثاني : ما صح نقله عن الآحاد ، وصح وجهه في العربية وخالف
لفظه خط المصحف .

فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين :

أحدهما : أنه لم يؤخذ بإجماع إنما أخذ بأخبار الآحاد ولا يثبت
قرآن يقرأ به بخبر الواحد .

والعلة الثانية : أنه مخالف لما قد أجمع عليه ، فلا يقطع على مغيبه
وصحته و ما لم يقطع على صحته لاتجاوز القراءة به ولا يكفر من جده ، وبئس
ما صنع إذ جده .

والقسم الثالث هو : ما نقله غير ثقة أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية .

فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف اهـ (١) .

وقال مكى رحمه الله : «وهؤلاء الذين اختاروا انما قرءوا بقراءة
الجماعة وبروايات ، فاختر كل واحد منهم مما قرأ وروى قراءة تنسب اليه
بلفظ الاختيار ، وقد اختار الطبري وغيره .

وأكثر إختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء :

قوة وجهه في العربية

و موافقته للمصحف

واجتماع العامة عليه اهـ (٢) .

وقال رحمه الله : «وإنما الأصل الذي يعتمد عليه في هذا أن ما صح سنده
واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه خط المصحف فهو من السبعة
المنصوص عليها، ولو رواه سبعون الفا متفرقين أو مجتمعين .

(١) الإبانة ص ٥٧-٥٩ .

(٢) الإبانة ص ١٠٠ .

فهذا هو الأصل الذي بني عليه من قبول القراءات عن سبعة أو سبعة آلاف؛ فأعرفه وابن عليه» اهـ (١).

وقال رحمه الله بعد أن أورد بعض القراءات: «فهذا كله موافق لخط المصحف، والقراءة به لمن رواه عن الثقات جائزة لصحة وجهه في العربية وموافقة الخط إذا صح نقله» اهـ (٢).

قلت : والناظر في هذا الكلام إذا تأمله يرى أن محور الخلاف فيه إنما هو في شرط صحة السند، فمرة يقول عنه : «أن ينقل الثقات عن رسول الله ﷺ ومرة يقول: «اجتماع العامة عليه» ومرة يقول: «ما صح سنده».

وبتأمل هذه العبارات يظهر - والله أعلم - أن مراد مكي من شرط صحة السند ليس بمجردة ولكن مع تلقيه بالقبول عند علماء القراءات، وهو ما عبر عنه في قوله آخر القسم الأول من أقسام القراءات عنده: «... لأنه أخذ عن اجماع من جهة موافقة لرسم المصحف» ويؤكد أن هذا مراده عده في القسم الثالث «ما نقله غير ثقة أو نقله ثقة لكن لا وجه له في العربية؛ فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف» (٣).

ولذلك تراه يقول: «إن مخالف خط المصحف من القراءات فإنما يؤخذ بأخبار الآحاد، وما وافق خط المصحف منها فهو يقين بالإجماع على المصحف» اهـ

ويقول أيضا عليه الرحمة والرضوان: «إنَّ القراءات التي وافقت خط المصحف هي من السبعة الأحرف، وما خالف خط المصحف أيضا هو من السبعة إذا صحت روايته ووجهه في العربية، ولم يضاد معنى المصحف لكن لا يقرأ به؛ إذ لايتأتى إلا بخبر الآحاد ولا يثبت قرآن بخبر الآحاد، و إذ هو مخالف للمصحف المجمع عليه» اهـ (٤).

قلت : ومما تقدم يعلم أن مراد الامام مكي بن أبي طالب بقوله: «لايثبت قرآن بخبر الآحاد - أي خبر الآحاد المجرد عن موافقة للمصحف، أو المخالف للعربية، أو الذي لم يتلق بالقبول من علماء القراءات والله أعلم.

(٤) جمهور العلماء على أن التواتر شرط في ثبوت القرآن ولايثبت

(١) الإبانة ص ١٠٣.

(٢) الإبانة ص ١٣٩.

(٣) الإبانة ص ٦٢.

(٤) الإبانة ص ٦٣.

بالسند الصحيح غير المتواتر ولو وافقت القراءة رسم المصحف والعربية.

وممن اشترط ذلك الغزالي (١) وابن قدامة (٢) وابن الحاجب (٣) وصدر الشريعة (٤) رحم الله الجميع وأسكنهم فسيح جناته.

ودليلهم في هذه الدعوى (أعني: قولهم ما نقل أحادا فليس بقرآن) هو أن العادة تقضي بأن مثل هذا الكتاب الذي يكون هاديا للخلق معجزا على وجه لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بسورة من مثله لم يقدرُوا عليه، فما كان حاله كذلك يمتنع أن لايتواتر؛ إذ الدواعي تتوافر على نقله إلى أن يصير شائعا مستفيضا متواترا فما لم يبلغ حد التواتر يقطع بأنه ليس من القرآن (٥).

وقالوا : عدم اشتراط التواتر في ثبوت القرآن الكريم قول حادث مخالف لاجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم، ولم يخالف من المتأخرين إلا مكي وتبعه بعض المتأخرين (٦).

وقالوا : لايقدر في ثبوت التواتر اختلاف القراءة فقد تتواتر القراءة عند قوم دون قوم؛ فكل من القراء إنما لم يقرأ بقراءة غيره لأنها لم تبلغه على وجه التواتر ولذا لم يعب أحد منهم على غيره قراءته لثبوت شرط

(١) المستصفى في علم الأصول ١٠١/١.

والغزالي هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ،أبو حامد فقيه متصوف متفلسف (٤٥٠-٥٠٥ هـ). الأعلام ٢٢/٧.

(٢) روضة الناظر وجنة المناظر ص ٦١.

وابن قدامة هو عبدالله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي أبو محمد موفق الدين فقيه من أكابر الحنابلة (٥٤١-٦٢٠ هـ). الأعلام ٦٧/٤.

(٣) منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل ص ٤٦.

وابن الحاجب هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس أبوعمر جلال الدين ابن الحاجب فقيه مالكي من كبار علماء العربية والأصول (٥٧٠-٦٤٦ هـ). الأعلام ٢١١/٤.

(٤) التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه ٢٦/١.

وصدر الشريعة هو عبيد الله بن مسعود بن محمود بن أحمد المحبوبي البخاري الحنفي صدر الشريعة الأصغر ابن صدر الشريعة الأكبر توفي سنة ٧٤٨ هـ. الأعلام ١٩٨/٤.

(٥) المستصفى ١٠١/١ بيان المختصر ١٦/٤ البرهان في علوم القرآن ١٢٥/٢ الإتيقان (أبوالفضل) ٢١٧/١.

(٦) قال ذلك النووي ونقله عنه في اللطائف ٦٩/١-٧٠.

صحتها عنده وإن كان هو لم يقرأ بها لفقد الشرط عنده فالشاذ مالم يس
بمتواتر(١).

قلت : ولا شك في أن هذا القول يخالف ما تقدم من القراءة المقبولة هي
المتواترة، وكل قراءة صح سندها ووافقت رسم المصحف ولو احتمالا
والعربية ولو بوجه وتلقيت بالقبول عند علماء القراءات.

لكن يمكن أن يقال ان ما اشتهر من القراءات واستفاض موافقا
لرسم المصحف والعربية في قوة المتواتر في القطع بقرآنيته - وإن كان
غير متواتر من جهة السند - لأن هذه الاركان الثلاثة (أعني: صحة السند
وموافقة الرسم وموافقة اللغة ولو احتمالا) تكاد تكون مساوية للتواتر في
إفادة العلم القاطع بالقراءات المقبولة؛ وبيان هذه المساواة أن ما بين
دفتي المصحف متواتر ومجمع عليه من الأمة في أفضل عهودها وهو عهد
الصحابه، فإذا صحَّ سند القراءة ووافقت العربية ثم جاءت موافقة لخط
هذا المصحف المتواتر، ثم تلقاها العلماء المتخصصون في القراءات
بالقبول، كان ذلك قرينة على إفادة هذه الرواية للعلم القاطع وإن كانت منقولة
بسند الآحاد(٢).

ويترشح هذا إذا تذكرنا أن الخبر الذي تلقته الأمة بالقبول تصديقا له
أو عملا بموجبه يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف، وهذا في معنى
المتواتر عندهم، وأيضا يحصل العلم بخبر الآحاد إذا حفت به القرائن
ويكون في معنى المتواتر(٣).

قال أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبى : «يحصل العلم بالخبر بطرق غير
التواتر، وهي :

كون المخبر عنه معلوما بالضرورة .

أو بالاستدلال .

أو خبر رسوله ﷺ .

أو خبر مجموع الأمة .

(١) قال ذلك النوري الصفاقسي في غيث النفع ص ١٨-١٩ .

(٢) مناهل العرفان ١/٤١٥، ٤٢٠ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٨/٤١، ٤٨ .

أو القرائن عند أبي المعالي وأبي حامد» اهـ (١).

وقد قرر ابن العربي (ت ٥٤٣هـ) رحمه الله تعالى قيام هذه الشروط مقام التواتر بقوله لما ذكرها: «ومعنى ذلك - عندي - أن تواترها تبع لتواتر المصحف الذي وافقته، وما دون ذلك فهو شاذ، يعني وأن تواتر المصحف ناشيء عن تواتر الألفاظ التي كتبت فيه» اهـ (٢).

ويعلق على ذلك الشيخ الطاهر بن عاشور بقوله: «وهذه الشروط الثلاثة هي شروط قبول القراءة إذا كانت غير متواترة عن النبي ﷺ بأن كانت صحيحة السند إلى النبي ﷺ ولكنها لم تبلغ حد التواتر فهي بمنزلة الحديث الصحيح وأما القراءة المتواترة فهي غنية عن هذه الشروط؛ لأن تواترها يجعلها حجة في العربية ويغنيها عن الاعتضاد بموافقة المصحف المجمع عليه» اهـ (٣).

قلت : هذا الذي ذكره الطاهر بن عاشور رحمه الله قرره ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) رحمه الله تعالى حيث قال: «ان التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره.

إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواترا عن النبي ﷺ وجب قبوله وقطع بكونه قرآنا سواء وافق الرسم أم خالفه.

وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف أنتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء السبعة وغيرهم» اهـ (٤).

قلت : وإذا تقرر هذا لم يعد هناك خلاف بين من قال: يشترط التواتر في ثبوت القرآن، وبين من قال بالشروط الثلاثة إذ لا فرق حينئذ بينهما في إفادة القراءة للعلم.

على أنه يمكن مع هذا أن يعقب على القول باشتراط التواتر في ثبوت القرآن بما يأتي :

أولا : اشتراط التواتر في ثبوت القرآن إنما هو بالنظر لمجموع القرآن الكريم، وإلا فلو اشترطنا التواتر في كل فرد من أحرف الخلاف

(١) تقريب الوصول إلى علم الأصول ص ١٢٠.

وابن الكلبي هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله ابن جزي الكلبي أبو القاسم ، فقيه مالكي أصولي لغوي (٦٩٣-٨٧٤هـ). الأعلام ٣٢٥/٥.

(٢) بواسطة التحرير والتنوير ٥٣/١.

(٣) ماسبق.

(٤) النشر ١٣/١.

انتفى كثير من القراءات الثابتة عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم.
وبهذا أجاب ابن الجزري (١) (ت ٨٣٣هـ) والقسطلاني (٢) (ت ٩٢٠هـ).
ثانيا : قولهم : «إنَّ العادة تقتضي توافر الهمم على نقله» يعقب عليه
بأن ذلك مقيد بعدم المانع من نقله، وهنا قام المانع من توافر الهمم على نقله
متواترا في كل حروفه (٣).

فإن قيل : ما المانع من توفر الهمم على نقله بجميع حروفه متواترا ؟
قلت : المانع هو إمتثال الأمة عامة، ومن تصدى للأقراء خاصة من
الصحابة عن مخالفة الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه،
وأمرهم أن يقرئوا به الناس؛ فهذا اقتضى أن يحظى الحرف الذي جمع
عثمان رضي الله عنه الناس عليه بالتواتر، حيث حظي بنقل الكافة عن
الكافة، وبقيت سائر الحروف السبعة لم تحظ بمثل ذلك النقل، إنما نقلت نقل
آحاد وهي على نوعين :

- نوع صح سنده .

- نوع لم يصح سنده .

والذي لم يصح سنده ضعيف لا ينظر إليه، وبقي ما صح سنده منها وكان
على نوعين أيضا :

- نوع صح سنده ووافق رسم المصحف .

- نوع صح سنده وخالف رسم المصحف .

(١) النشر ١/١٣.

(٢) اللطائف ١/٧٠.

(٣) وهناك تعقيب آخر على قولهم : «إنَّ العادة تقتضي توافر الهمم على نقله» غير ما ذكرته
خلاصته أن هذه العادة التي ذكرت هنا المسلم منها لزوم تواتر في الجملة وجمهور
التفاصيل، وقد وقع بفضل الله تواتر أكثر مما تقتضي به العادة من ذلك.
وأما ما ادعوه هنا من أن العادة تقتضي توافر الهمم على نقله متواترا جملة وتفصيلا
في كل فرد من أفرادها؛ فهذا لا يقتضي به عقل ولا ساعده الواقع، وكثير من الناس العقلاء
العلماء لاسيما المختصون بعلم القرآن على خلاف هذه الدعوى وتهجينها - وقد أوردت
أسماءهم في الصلب - وقد ذكروا وقوع التواتر في نقل الجملة والجمهور من التفاصيل
دون الأفراد وأقرب شيء من الكتب المحيطة المتداولة «النشر» لابن الجزري ، وقد صرح
فيه بهذا .

قال بعض المحققين : «ومن ادعى على الناس أنهم منكرون للتواتر الضروري الذي
يراجع كل منصف نفسه بعد مبالغته في البحث فيحكم على دعواهم بالبطلان ؛ فمنزلة
هذا المدعي الإهمال» اهـ . بتصريف من إجابة السائل شرح بلغة الأمل ص ٦٩ .

أما النوع الذي صح سنده ووافق رسم المصحف ؛ فنظر فيه من جهة تلقي علماء الشأن له فان قبلوه واشتھر عندهم قبلناه وحكمنا بقرآنيته، وأنه من الأحرف السبعة، وان لم يتلقوه بالقبول وحكموا بخطئه ووهمه، حكمنا بعدم قرآنيته، وأنه وهم من ناقله.

أما النوع الذي صح سنده وخالف رسم المصحف؛ فائنا نتوقف عن الحكم بقرآنيته وأنه من الأحرف السبعة، ونتوقف عن نفي ذلك إذ الأمر فيه محتمل لأن ذلك مما لا يجب علينا القطع بعلمه إثباتا ونفيا.

وهذا التقرير ينبني على مسائل :

الأولى : هل اشتمل مصحف عثمان رضي الله عنه على الأحرف

السبعة ؟.

الثانية : ما لم يثبت كونه من الأحرف السبعة فهل يجب القطع

بكونه ليس منها؟.

وقد تقدم بيان أن مصحف عثمان رضي الله عنه بما تواتر من القراءات انما اشتمل على حرف واحد فقط، وهو الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه، وأنه بما صح سنده من القراءات ووافق الرسم اشتمل على ما يحتمله الرسم من الأحرف السبعة.

وتقدم أنه لا يجب القطع نفيا ولا اثباتا بما لم يثبت كونه من الأحرف السبعة.

ثالثا : قولهم : «عدم اشتراط التواتر في ثبوت القرآن قول حادث»

يعقب عليه بما يلي :

(أ) أن الحادث هو اشتراط التواتر في ثبوت القرآن الكريم،

لا العكس؛ فإنه لم ينقل عن أحد من الصحابة ولا من التابعين ولا تابعيهم -

وهم أصحاب القرون الفاضلة - أنهم فرقوا بين المتواتر والآحاد (١) بل

كان الرسول ﷺ يرسل الصحابي الفرد والأثنين مما لم يبلغ التواتر إلى

القبائل وإلى الحبشة وفارس والروم ليبلغوا الدين، ومعلوم أن من أول ما

يبلغ القرآن، وكذا قبل هجرته ﷺ إلى المدينة أرسل مصعب بن عمير رضي

(١) أصل الاعتقاد ص ١٢.

الله عنه ليعلمهم القرآن الكريم (١) وهو فرد واحد، فمن أين جاء أنهم كانوا لا يثبتون القرآن إلا بالتواتر، حتى يكون إثبات القرآن بما صح سنده من خبر الآحاد الموافق لرسم المصحف قول حادث ؟.

قلت : وقد جزم ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) فيما نقلته عنه سابقا بأن عدم اشتراط التواتر في ثبوت القرآن هو قول سلف الأمة وخلفها؛ فيكون - على هذا - مخالفه هو الحادث، وهذا ما قررته هنا والله أعلم.

رابعا : قولهم : «ولا يقدح في ثبوت التواتر اختلاف القراءة فقد تتواتر عند قوم دون قوم... الخ» يعقب عليه بأن هذا مصادرة على المطلوب وتحكم، فنحن نبحث في اشتراط تواتر هذه الأحرف التي فيها الاختلاف، فكيف يقال: إنها متواترة عند قوم دون قوم ؟ بل الظاهر أن هذه الأحرف التي جاءت في رواية من روايات قراءة من القراءات السبع أو العشر ولا توجد إلا في كتاب أو اثنين الظاهر أن هذه الأحرف لم تتواتر. فيكون وجود مثل هذه الروايات التي انفرد بنقلها كتاب أو اثنين قادحا في دعوى تواتر جميع أفراد القراءات (٢) والله أعلم.

فائدة (٣):

مما تقدم يعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متداخلتان متوافقتان بالنظر إلى القسم الأول من أقسام القراءات وهو قسم المقبول منها. وحقيقتان متغايرتان بالنظر إلى القسم الثاني من أقسام القراءات وهو قسم المردود منها.

ويتوقف في نوع العلاقة بين القرآن و القراءات في القسم الثالث من أقسام القراءات وهو قسم القراءات المتوقف فيه منها والله أعلم.

(١) أخرج البخاري في كتاب مناقب الصحابة باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة حديث رقم (٣٩٢٥) بإسناده عن البراء بن عازب قال : «أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وكانوا يقرئون الناس، فتقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ ثم قدم النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الاماء يقلن قدم رسول الله ﷺ فما قدم حتى قرأت : ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ في سور من المفصل»

(٢) المنجد ص ١٩.

(٣) كنت أجلت البت في مسألة هل القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ؟. إلى هذا المبحث، وهذا وفاء ما وعدت به ولله الحمد والمنة.

المبحث الثالث : اختلاف القراءات وفوائده.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : بيان نوع الاختلاف الواقع بين القراءات .

المطلب الثاني : فوائد تعدد القراءات .

المطلب الأول : بيان نوع الاختلاف الواقع بين القراءات .

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء: ٨٢.

في هذه الآية استفهام معناه الإنكار على المعرضين عن القرآن العظيم وما فيه، وحث على التدبر في آيات الله الحكيم العليم.

والمعنى : أفلا يتأملون ما نزل عليك من القرآن ولا يعرضون عنه فإن تدبره يظهر برهانه ويسطع نوره، ولا يظهر ذلك لمن أعرض عنه ولم يتأمله، ثم نبه سبحانه وتعالى إلى وجه الاحتجاج، وهو سلامة القرآن من الاختلاف والتناقض (١).

فإن قيل : كيف يتفق هذا مع الاختلاف الواقع في القرآن العظيم من جهة قراءاته وتفسيره ومحكمه ومتشابهه...؟
فالجواب: الاختلاف قسمان :

(١) قال أبو حيان في البحر المحيط ٣/٣٠٥ عند هذا الموضع: «وجه هذا الدليل أنه ليس من متكم كلاماً طويلاً إلا وجد في كلامه إختلافٌ كثيرٌ، إما في الوصف واللفظ، وإما في المعنى، بتناقض أخبار أو الوقوع على خلاف المخبر به، أو إشتماله على ما لا يلتئم، أو كونه يمكن معارضته.

والقرآن العظيم ليس فيه شيء من ذلك؛ لأنه كلام المحيط بكل، فناسب بلاغة معجزة فائقة لقوى البلغاء وتظافر صدق أخبار وصحة معان فلا يقدر عليه إلا العالم بما لا يعلمه سواه.

قال ابن عطية : فإن عرّضت لأحد شبهة وظن اختلافاً؛ فالواجب أن يتهم نظره، ويسأل من هو أعلم منه.

وما ذهب إليه بعض الزنادقة المعاندين من أن فيه أحكاماً مختلفة والفاظاً غير مؤتلفة؛ فقد أبطل مقالهم علماء الاسلام .

وما جاء في القرآن من اختلاف في تفسير وتأويل وقراءة وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وعام وخاص ومطلق ومقيد؛ فليس هو المقصود في الآية، بل هذه من علوم القرآن الدالة على اتساع معانيه واحكام مبانيه» هـ

- اختلاف تنوع .

- اختلاف تضاد .

والاختلاف المنفي في الآية هو اختلاف التضاد والمناقضة، فلا يوجد -
ولله الحمد والمنة - في القرآن العظيم قولان متنافيان بل يشبه أوله آخره
في الفصاحة، ويصدق بعضه بعضا في الأخبار والأحكام قال الله تبارك
وتعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ الأنعام: ١١٥، أي : صدقا في الأخبار،
وعدلا في الأحكام، اللهم إلا ما كان فيه من قبيل الناسخ والمنسوخ، وهو وإن
كان رفع حكم بحكم آخر، إلا أنه مقصود لحكمة ما، ولو لم تكن الحكمة إلا
الابتلاء من الله عز وجل لخلقه بذلك لكفى، وعلى كل حال فهو بعد بيان أمره لم
يقع على سبيل التعارض والتناقض.

أما إختلاف التنوع؛ فهو الواقع في القرآن العظيم، من جهة
القراءات والتفسير... الخ (١).

فاختلاف القراءات من نوع إختلاف التنوع لا التضاد .

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) رحمه الله تعالى: «حقيقة اختلاف هذه
السبعة المنصوص عليها من النبي ﷺ اختلاف تنوع و تغاير لا اختلاف
تضاد وتناقض، فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى، قال الله تبارك
وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا

(١) واختلاف التنوع له أوجه :

فمنه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقا مشروعا كما في
القراءات التي اختلف فيها الصحابة، حتى زجرهم رسول الله ﷺ عن الاختلاف.

ومثله : إختلاف الأنواع في صفة الأذان والاقامة والاستفتاح والتشهدات، وصلاة
الخوف، وتكبيرات العيد والجنائز، إلى غير ذلك مما شرع جميعه وأن كان قد يقال: إن
بعض أنواعه أفضل.

ومنه ما يكون كل من القولين هو في الواقع في معنى القول الآخر لكن
العبارتان مختلفتان كما قد يختلف كثير من الناس في الفاظ الحدود والتعريفات
وصيغ الأدلة والتعبير عن المسميات، وتقسيم الأحكام، وغير ذلك.

ومنه ما يكون المعنيان غيرين، لكن لايتنافيان، فهذا قول صحيح وذلك
قول صحيح، وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر، وهذا كثير في
المنازعات جدا.

ومنه ما يكون طريقتين مشروعيتين ولكن قد سلك رجل أو قوم هذه الطريقة
وآخرون قد سلكوا الأخرى وكلاهما حسن في الدين.

أنظر اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٧-٣٩ وتأويل مشكل القرآن ص ٤٠.

كثيراً [النساء : ٨٢] . « اهـ (١) .

واختلاف القراءات لا يخلو من ثلاثة أحوال (٢) :

أحدها : إختلاف اللفظ والمعنى واحد .

والثاني : إختلاف اللفظ والمعنى جميعاً ، مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه .

والثالث : إختلاف اللفظ والمعنى ، مع إمتناع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه ، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد .

أما إختلاف اللفظ والمعنى واحد ، فنحو : ﴿ السَّراط ﴾ الفاتحة ، بالسین و ﴿ الصَّراط ﴾ بالصاد و ﴿ الزَّراط ﴾ بإشمام الصاد صوت الزاي (٣) .

ونحو : ﴿ عليهم ﴾ و ﴿ إليهم ﴾ و ﴿ لديهم ﴾ بضم الهاء مع إسكان الميم وبكسر الهاء مع ضم الميم واسكانها (٤) .

ونحو : ﴿ فيه هدى ﴾ البقرة : ٢ ، و ﴿ عليه كنز ﴾ هود : ١٢ ، و ﴿ منه آيات ﴾ آل عمران : ٧ ، و ﴿ عنه ماله ﴾ الليل : ١١ ، بصلة الهاء وبغير صلتها (٥) .

ونحو : ﴿ يؤده إليك ﴾ آل عمران : ٥٧ ، و ﴿ نؤته منها ﴾ آل عمران : ١٤٥ ، و ﴿ فآلقه إليهم ﴾ النمل : ٢٨ ، بإسكان الهاء وبكسرها مع صلتها واختلاسها (٦) .

(١) النشر ٤٩/١ .

(٢) الأحرف السبعة للداني ص ٤٧ مجموع الفتاوى ١٣/٣٩١-٣٩٢ النشر ٣٠/١-٥٠ ٤٩ .

(٣) قرأ ابن كثير : ﴿ السَّراط ﴾ بالسین في كل القرآن الكريم وفي رواية عنه بالصاد في كل القرآن .

وقرأ أبو عمرو : ﴿ السَّراط ﴾ بالسین ، وفي رواية أنه قرأ بالصاد ، وفي رواية أنه قرأ ﴿ الزَّراط ﴾ بإشمام ، وكذا عن حمزة بالصاد مشمة صوت الزاي .

أنظر السبعة ص ١٠٥-١٠٨ النشر ٢٧١-٢٧٢ .

وكيفية الإشمام هنا أن تخلط لفظ الصاد بالزاي ، وتمزج أحد الحرفين بالآخر بحيث يتولد منهما حرف ليس بصاد ولا بزاي ، ولكن يكون صوت الصاد متغلباً على صوت الزاي ، كما يستفاد ذلك من معنى الإشمام ، وقصارى القول أن تنطق بالصاد كما ينطق العوام بالظاء . البدور الزاهرة ص ١٥ .

(٤) تفصيل خلاف القراء في ضم الهاء وكسرها من ضمير التثنية والجمع إذا وقعت بعد ياء ساكنة ، وفي صلة ميم الجمع بواو وإسكانها إذا وقعت قبل محرك ، تجد تفصيل الخلاف في ذلك في « السبعة » لابن مجاهد ص ١٠٨-١١١ والنشر ٢٧٢/١-٢٧٤ .

(٥) تفصيل خلاف القراء في صلة هاء الكناية وعدم صلتها في كتاب السبعة ص ١٣٠ والنشر ٣٠٤/١-٣١٣ .

(٦) السبعة ص ١٣٠ والنشر ٣٠٤/١-٣١٣ .

والاختلاس : تضعيف الصوت بحركة الحرف حتى يذهب ثلثها ، فهو الايتان بثلاثي

ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط (١).

وأما اختلاف اللفظ والمعنى جميعاً، مع جواز اجتماع القراءتين في شيء واحد من أجل عدم تضاد اجتماعهما فيه فمن الأمثلة عليه:

قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ الفاتحة: ٤، بآلف و ﴿مَلِكٌ﴾ بغير ألف (٢) لأن المراد بهاتين القراءتين جميعاً هو الله سبحانه وتعالى، وذلك أنه تعالى مالك يوم الدين وملكه، فقد اجتمع له الوصفان جميعاً، فأخبر تعالى بذلك في القراءتين (٣).

وكذا قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ البقرة: ١٠، بتخفيف الذال وبتشديدها (٤) لأن المراد بهاتين القراءتين جميعاً هم المنافقون، وذلك لأنهم كانوا يكذبون في أخبارهم، ويكذبون النبي ﷺ فيما جاء به من عند الله تعالى، فالأمران جميعاً مجتمعان لهم، فأخبر تعالى بذلك عنهم وأعلمنا أنه معذبهم بهما في آية واحدة بقراءتين (٥).

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُنْشِئُهَا﴾ البقرة: ٢٥٩، بالزاي والراء (٦) لأن المراد بهاتين القراءتين جميعاً هي العظام، وذلك أن الله تعالى أنشئها أي: رفع بعضها إلى بعض حتى التأمّت، وأنشئها أي: أحياها، فأخبر سبحانه وتعالى أنه جمع لها هذين الأمرين من رفع بعضها إلى بعض لتلتئم وأحيائها بعد

حركة الحرف، ويكون في الوقف والوصل، ويكون في الحركات الثلاث، بناء كانت أو إعراباً.

أما الروم فهو الاثنان بثلاث حركة الحرف، ولا يكون إلا في الوقف فقط، ولا يكون إلا في المرفوع والمضموم، والمجرور والمكسور. انظر هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ص ١٨٥-١٩٥ (هامش).

(١) الأحرف السبعة للداني ص ٤٧-٤٨ النشر ١/٥٠.

(٢) قرأ عاصم: ﴿مَالِكٌ﴾ بآلف والباقون بغير ألف، واختلف عن الكسائي. «السبعة» ص ١٠٤ التبصرة ص ٨٠.

(٣) حجة القراءات ص ٧٧ الكشف ١/٢٥-٢٦.

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر قوله تعالى: ﴿يُكْذِبُونَ﴾ بتشديد الذال وضم الياء وقرأ عاصم وحمة والكسائي بتخفيفها وفتح الياء. السبعة ص ١٤٣ التبصرة ص ٢٤٨.

(٥) حجة القراءات ص ٨٨ الكشف ١/٢٢٧-٢٢٩.

(٦) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو قوله تعالى: ﴿نَنْشِئُهَا﴾ بضم النون الأولى وبالراء، وقرأ عاصم وابن عامر وحمة والكسائي بالزاي. «السبعة» ص ١٨٩ «التبصرة» ص ٢٧٥.

الممات، فذكر تعالى المعنيين في آية واحدة بالقراءتين، تنبيها على عظيم قدرته (١).

وأما اختلاف اللفظ والمعنى جميعاً، مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه، فالأمثلة عليه كما يلي:
قراءة من قرأ قوله تعالى: ﴿وَضَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا﴾ يوسف: ١١٠ بالتشديد (٢).

لأن المعنى وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم، وقراءة من قرأ: ﴿قَدْ كَذَّبُوا﴾ بالتخفيف؛ لأن المعنى على هذه القراءة: تَوَهُّمُ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ أَنَّ الْمُرْسَلُ قَدْ كَذَّبَهُمْ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِنْ أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ نَزَلَ الْعَذَابُ بِهِمْ.

فالظن في الآية على القراءة الأولى بمعنى اليقين والضمير الأول واو الجماعة في ﴿ظَنُّوا﴾ للرسل، والضمير الثاني واو الجماعة في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا﴾ في القراءة الأولى للمرسل إليهم.
والظن في القراءة الثانية بمعنى الشك، والضمير الأول للمرسل إليهم والثاني للرسل (٣).

وكذا قراءة من قرأ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ الاسراء: ١٠٢ بضم التاء (٤) وذلك أنه أسند هذا العلم إلى موسى عليه السلام حديثاً منه لفرعون حيث قال: ﴿إِنِّي لَأُظْلِكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾ الاسراء: ١٠١، فقال موسى عليه السلام عند ذلك: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ فأخبر عن نفسه بالعلم بذلك أي: ليس بمسحور.

وقراءة من قرأ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ بفتح التاء وذلك أنه أسند هذا العلم إلى فرعون مخاطبة من موسى له بذلك على وجه التقرير والتوبيخ له على شدة معاندته للحق، وجحوده له بعد علمه ولذلك أخبر تبارك وتعالى عنه وعن قومه

(١) حجة القراءات ص ١٤٤ الكشف ١٣٠/١-٣١٢.

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا﴾ مشددة الذال، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتخفيف وكلهم ضم الكاف. السبعة ص ٣٥١-٣٥٢ التبصرة ص ٣٨٠.

(٣) حجة القراءات ص ٣٦٦-٣٦٧ الكشف ١٥/٢-١٦.

(٤) قرأ الكسائي وحده بضم التاء في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ والباقون بفتحها. السبعة ص ٣٨٥-٣٨٦ التبصرة ص ٤٠١.

فقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا: هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ. وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (١) النمل: ١٣-١٤.

وكذلك ماورد من هذا النوع من اختلاف القراءتين، التي لا يصح أن يجتمعا في شيء واحد، هذا سبيله؛ لأن كل قراءة منهما بمنزلة الآية قائمة بنفسها، لا يصح أن تجتمع مع آية أخرى تخالفها في شيء واحد، ويتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد، فليس في شيء من القراءات - ولله الحمد والمنة - تناف و لاتضاد ولاتناقض (٢).

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «كل ما صح عن النبي ﷺ من ذلك فقد وجب قبوله، ولم يسع أحد من الأمة رده ولزم الإيمان به، وأن كله منزل من عند الله إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملا، لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظنا أن ذلك تعارض» اهـ (٣).

(١) حجة القراءات ص ٤١١ الكشف ٢/٥٢-٥٣.

(٢) الأحرف السبعة للداني ص ٥٠-٥١ النشر ١/٥٠-٥١.

(٣) النشر ١/٥١ وقارن بمجموع الفتاوي ١٣/٣٩١-٣٩٢.

المطلب الثاني : فوائد تعدد القراءات .

الحديث عن فوائد تعدد القراءات هو الحديث عن القرآن العظيم في تيسيره وبلاغته، وأحكامه، وعظاته، وثوابه وبركته، وقبل ذلك ماتضمنه من الإعجاز والهداية، وتفصيل ذلك فيما يلي (١) :

(١) من فوائد تعدد القراءات التخفيف على هذه الأمة و إرادة التيسير بها والتهوين عليها، شرفاً لها وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيها أفضل البشر ونصير الحق ﷺ حيث أتاه جبريل عليه السلام فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على حرف.

فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمّتي لاتطبق ذلك.

ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على حرفين.

فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمّتي لاتطبق ذلك.

ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف» (٢).

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال :«كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد، على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زجر وأمر وحلال و حرام و محكم ومتشابه وأمثال؛ فاحلوا حلاله وحرّموا حرامه وإفعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه وقولوا: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾» (٣).

(١) ومجمل ما أذكره هنا مستفاد من كلام ابن الجزري رحمه الله في النشر ١/١، ٢٢، ٢٨، ٢٩، ٥٢، ٥٤.

(٢) حديث صحيح .

سبق تخريجه ص٣٣، وانظر أطرافه ص٥٦، ١٣٩.

(٣) حديث حسن .

أخرجه أحمد في المسند ١/٤٤٥ والطحاوي في مشكل الآثار ٤/١٨٢، ١٨٤-١٨٥ وابن أبي داود في المصاحف ص٢٥ والحاكم في مستدركه ١/٥٥٣ وابن حبان في صحيحه (الإحسان) ٢/٦٢-٦٣ كلهم عن عبدالله بن مسعود .

قال في مجمع الزوائد ٧/١٥٢: «رواه أحمد وفيه عثمان بن حسان العامري، وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه وبقيّة رجاله ثقات».

والحديث صححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ٦/١٢٦ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/١٣٣-١٣٥ حديث رقم (٥٨٧) لوروده من طريق آخر منقطعة تعضده وتقويه وترقيه إلى مرتبة الحسن لغيره، فلا تضر جهالة حال عثمان بن حسان.

ورقم تصحف اسم عثمان بن حسان على الشيخ الألباني فقال : «عثمان بن حيان»

قال ابن قتيبة (١): «فكان من تيسير الله أن أمر الرسول ﷺ بأن يقرئ كل قوم بلغاتهم وما جرت عليه عادتهم... ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً؛ لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة؛ فأراد الله - برحمته ولطفه - أن يجعل لهم متسعاً في اللغات ومتصرفاً في الحركات، كتيسيره عليهم في الدين» اهـ (٢).

وقال ابن الجوزي (ت ٨٣٣هـ) في الموضوع نفسه: «وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم والنبي ﷺ بعث إلى جميع الخلق أحمرها وأسودها، عريبها وعجميها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة، والسنتهم شتى (٣) ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج، لاسيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتاباً كما أشار إليه النبي ﷺ فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن السنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع» اهـ (٤).

(٢) إظهار نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار وجمال الإيجاز إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل. وفي هذا تأكيد لإعجازه في فصاحته وبلاغته .

قال ابن قتيبة: «إنما يعرف فضل القرآن؛ من كثر نظره واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ما أوتيه العرب خصيصاً من الله، لما أرهصه في الرسول ﷺ

تبعاً لما في مشكل الآثار ١٨٢/٤ حيث تصحف اسمه هناك، وبناء عليه حكم بتوثيقه، والصواب أنه عثمان بن حسان كما في مسند أحمد (بتحقيق أحمد شاكر) ١٢٦/٦ وتعجيل المنفعة ص ٢٨٢.

(١) عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد من أئمة الأدب (٢١٣-٢٧٦هـ). الأعلام ١٣٧/٤.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٣٩-٤٠ باختصار وتصرف يسير.

(٣) يقصد بقوله: «لغاتهم... والسنتهم...» أي: لهجاتهم الخاصة بهم في نطق العربية واستعمال مفرداتها، وإلا فكلهم يتكلم العربية لغة القرآن ولذلك كان حجة عليهم.

(٤) النشر ٢٢/١.

وأراد من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب، فجعله علمه، كما جعل علم كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه فكان لموسى عليه الصلاة والسلام فلق البحر، واليد والعصا وتفجر الحجر في التيه بالماء الرواء، إلى سائر أعلامه زمن السحر.

وكان لعيسى عليه الصلاة والسلام إحياء الموتى، وخلق الطير من الطين، وإبراء الأكمه والأبرص، إلى سائر أعلامه زمن الطب.

وكان لمحمد ﷺ الكتاب الذي لو اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يأتوا به، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، إلى سائر أعلامه زمن البيان^(١).

(٣) بيان صدق الرسول ﷺ في أنه رسول رب العالمين، وأن هذا القرآن كلام الرحمن الرحيم، بعظيم البرهان و واضح الدلالة؛ إذ القرآن مع كثرة هذا التنوع في القراءات والتأويل والمحكم والمتشابه والمطلق والمقيد والعام والخاص، لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف بل كله يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد وما ذاك إلا آية بالغة وبرهان قاطع على صدق من جاء به وهو: الرسول ﷺ^(٢).

وفي هذا المعنى يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء: ٨٢.

قال محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ): «إن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات وذلك ضرب من ضرب البلاغة، يبتديء من جمال هذا الإيجاز وينتهي إلى كمال الإعجاز.

أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة والأدلة القاطعة على أن هذا القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقرؤ وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوع قراءته يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض، على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم وذلك - من غير

(١) تأويل مشكل القرآن ص ١٢ وتنظر رسالة «الاعجاز والقراءات» للدكتور/ فتحي عبدالقادر فريد.

(٢) النشر ٥٢/١.

شك - يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف.
ومعنى هذا أن القرآن يُعَجِّز إذا قُرِئ بهذه القراءة ويُعَجِّز أيضاً إذا قُرِئ بهذه القراءة الثانية، ويعجز أيضاً إذا قُرِئ بهذه القراءة الثالثة، وهلم جرا، ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه والحروف.
ولا ريب أن ذلك أدل على صدق محمد ﷺ لأنه أعظم في إشتمال القرآن على مناح جمة في الإعجاز وفي البيان على كل حرف ووجه وبكل لهجة ولسان ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) «أهـ» (٢).

(٤) سهولة حفظه وتيسير نقله على هذه الأمة؛ إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة فإنه من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى لقبوله من حفظه جملاً من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفة لاسيما فيما كان خطه واحداً فإن ذلك أسهل حفظاً وأيسر لفظاً (٣).

(٥) إعظام أجور هذه الأمة من حيث أنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسرارهم، وخفي إشاراته و إنعامهم النظر، وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح، والتفصيل بقدر ما يبلغ إليه علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٌ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَى﴾ (٤) والأجر على قدر المشقة (٥).

(١) إقتباس من آية ٤٢ سورة الأنفال.

(٢) مناهل العرفان ١/١٤٢، وأنظر رسالة «الإعجاز والقراءات».

(٣) النشر ١/٥٢-٥٣.

(٤) إقتباس من سورة آل عمران: ١٩٥.

(٥) هذا معنى حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب العمرة باب أجراء العمرة على قدر النصب تحت رقم (١٧٨٧) وأخرجه مسلم في كتاب الحج باب بيان وجوه الاحرام تحت رقم (١٢١١) ولفظ الحديث عند البخاري: «قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله يصدر الناس بنسكين وأصدر بنسك؟ فقال لها: انتظري فإذا طهرت فأخرجي إلى التنعيم فأهلي، ثم اثبتنا بمكان كذا، ولكنها على قدر نفقتك أو نصبك».

فائدة : «أو» في قوله: «أو نصبك» للتنويع، وظاهر الحديث أن الثواب والفضل في العبادة يكثر بكثره النصب والنفقة، لكن ليس ذلك بمطرد، فقد يكون بعض العبادة أخف من بعض وهو أكثر فضلاً وثواباً بالنسبة إلى الزمان كقيام ليلة القدر بالنسبة لقيام ليال من رمضان غيرها و بالنسبة للمكان كصلاة ركعتين في الحرم بالنسبة لصلاة ركعات في

زد على هذا ما في ذلك من تلاوة القرآن العظيم، وفي هذا من الثواب الكثير والفضل الجزيل ما أخبر عنه المصطفى ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: «آلم» حرف، ولكن «ألف» حرف و «لام» حرف و «ميم» حرف» (١).

(٦) بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال والبحث عن لفظه لفظاً لفظاً، والبحث عن صيغته صيغة صيغة وبيان صوابه، وبيان تصحيحه، وإتقان تجويده، حتى حموه من خلل التحريف، وحفظوه من الطغيان والتطفيف، فلم يهملوا تحريكاً ولا تسكيناً، ولا تفخيماً ولا ترقيقاً، حتى ضبطوا مقادير المدات وتفاوت الامالات، وميزوا بين الحروف بالصفات، مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم، ولا يوصل إليه إلا بإلهام باريء النسم سبحانه وتعالى (٢).

(٧) إظهار ما آخره الله من المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة الشريفة، من إسنادها كتاب ربها، وإتصال هذا السبب الإلهي بسببها خصيصة الله تعالى هذه الأمة المحمدية، وإعظاماً لقدر أهل هذه الملة الحنيفية، وكل قارئ يوصل حروفه بالنقل إلى أصله، ويرفع إرتياب الملحد قطعاً بوصله، فلو لم يكن من الفوائد إلا هذه الفائدة الجليلة لكفت ولو لم يكن من الخصائص إلا هذه الخصيصة النبيلة لوفت (٣).

(٨) ظهور سر الله تعالى في توليه حفظ كتابه العزيز وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز، فإن الله تعالى لم يخل عصراً من الأعصار،

غيره، وبالنسبة إلى شرف العبادة المالية والبدنية كصلاة الفريضة بالنسبة إلى أكثر من عدد ركعاتها أو أطول من قراءتها ونحو ذلك من صلاة النافلة. فتح الباري ٦١١/٣.

قلت : ولعله لذلك قصر الإمام البخاري الترجمة على العمرة التي ورد فيها النص فقال: «باب أجر العمرة على قدر النصب» وفقه البخاري في تراجمه - رحم الله الجميع وغفر لنا ولهم - وأنظر حول علاقة الأجر بالمشقة في العبادات كتاب «ضوابط المصلحة في الشريعة» لمحمد سعيد رمضان البوطي ص ٩٩-١١٢ وكتاب «رفع الحرج في الشريعة الإسلامية» لصالح ابن حميد ص ٣٤٧-٣٥٩.

(١) حديث صحيح، عن عبدالله بن مسعود.

أخرجه الترمذي في أبواب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر حديث رقم (٣٠٨٧) ^{ورواه} والدارمي وغيره، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي باختصار السند ٩/٣ حديث رقم (٢٣٢٧) وصححه محقق جامع الأصول ٤٩٨/٨.

(٢) النشر ٥٣/١.

(٣) النشر ٥٣/١.

ولو في قطر من الاقطار، من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى، وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراءاته؛ يكون وجوده سببا لوجود هذا السبب القويم على ممر الدهور وبقاؤه دليلا على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور (١).

(٩) ومنها بيان حكم مجمع عليه؛ كقراءة سعد بن أبي وقاص قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السَّدَسُ﴾ النساء ١٢، قرأ سعد: «وله أخ أو أخت من أم» (٢) بزيادة لفظ «من أم» فتبين بها أن المراد بالأخوة في هذا الحكم الأخوة للأم دون الأشقاء ومن كانوا لأب، وهذا أمر مجمع عليه (٣).

(١٠) الترجيح لحكم اختلف فيه كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ المائدة: ٨٩ جاء في قراءة: «أو تحرير رقبة مؤمنة» (٤) بزيادة لفظ:

(١) النشر ١/٥٣-٥٤.

(٢) أخرج هذه القراءة عن سعد سعيد بن منصور، وعبد بن حميد والدارمي في سننه ٣٦٦/٢ وابن جرير الطبري في تفسيره (شاکر) ٦١/٨-٦٢ وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه ٢٣١، ٢٢٣/٦.

وأشار في البحر المحيط ٣/١٩٠ إلى هذه القراءة.

وفي السند عند الدارمي والبيهقي والطبري: «القاسم بن عبدالله بن ربيعة الثقفي» لم يرو عنه سوى يعلى بن عطاء العامري كما في تهذيب التهذيب ٨/٣٢٠ ومع ذلك أورده ابن حبان في «الثقات» ٥/٣٠٢ على طريقته، وقال ابن حجر في «التقريب» ص ٤٥٠: «مقبول» هـ يعني: عند المتابعة، وتفرد الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فقال عن القاسم هذا في تحقيقه لتفسير الطبري ٨/٦٢: «ثقة» هـ.

قلت: ولعله سلك هذا المسلك لأن القاسم في طبقة التابعين وبعض أهل العلم يمرر روايتهم ولايردها بجهالتهم وبناء عليه يكون إسناد هذا الحديث حسنا إن شاء الله تعالى.

وإلا فالحديث ضعيف لجهالة القاسم والله أعلم.

وسعد هو ابن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف الزهري أبواسحاق، أحد العشرة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله مات سنة ٥٥ هـ على المشهور. التقريب ص ٢٣٢.

(٣) نقل الإجماع على ذلك ابن المنذر وغيره، قال ابن المنذر (ت ٣١٨ هـ): «وأجمعوا أن مراد الله عزوجل في الآية التي في أول سورة النساء الأخوة من الأم، وبالتالي في آخرها الأخوة من الأب والأم» هـ كتاب الإجماع ص ٨٢.

(٤) نقل هذه القراءة ابن الجزري في «النشر» ١/٢٩ ولم ينسبها.

«مؤمنة» فكان فيها ترجيح لإشتراط الايمان في الرقبة، وهذا يؤيد مذهب من ذهب إلى ذلك من أهل العلم (١).

(١١) الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين كقوله تبارك وتعالى: ﴿فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ البقرة: ٢٢٢ قريء بالتخفيف والتشديد في حرف الطاء من كلمة: «يطهرن» (٢) و صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى أما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة، ومجموع القراءتين يحكم بأمرين:

أحدهما: أن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر و ذلك بانقطاع الحيض، على قراءة التخفيف.

الثاني: أنها لا يقربها زوجها حتى ينقطع الدم، وتزيد عليه التطهر بغسل المحل أو الوضوء أو الاغتسال، على قراءة التشديد. فجمعت هاتان القراءتان بين حكمين، ولا بد منهما في جواز قربان الحائض والله أعلم (٣).

(١٢) الدلالة على حكمين شرعيين ولكن في حالين مختلفين كما في قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ المائدة: ٦ قريء بنصب لفظ: ﴿أَرْجُلَكُمْ﴾ وبجرها (٤) فالنصب يفيد طلب غسلها؛ لأن العطف حينئذ يكون على لفظ: ﴿ووجوهكم﴾ المنصوب، وهو مغسول، والجر يفيد طلب مسحها لأن العطف حينئذ يكون على لفظ: ﴿رؤوسكم﴾ المجرور وهو ممسوح.

وقد بين الرسول ﷺ أن المسح يكون للابس الخف وأن الغسل يجب على من لم يلبس الخف (٥).

(١) النشر ٢٩/١.

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية: ﴿يَطْهُرْنَ﴾ خفيفة، وقرأ عاصم في رواية وحمزة والكسائي: ﴿يَطْهُرْنَ﴾ مشددة. السبعة ص ١٨٢، التيسير ص ٨٠.

(٣) النشر ٢٩/١.

(٤) قرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو وعاصم في رواية عنه: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ خفصاً وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وعاصم في رواية عنه: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ نصباً. السبعة ص ٢٤٢، التيسير ص ٩٨.

(٥) النشر ٢٩/١ مناهل العرفان ١٤١/١.

(١٣) ومن فوائد القراءات دفع توهم مالميس مراداً، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الجمعة: ٩ وقرئ: «فامضوا إلى ذكر الله» (١) فالقراءة الأولى توهم أن المراد السرعة في المشي إلى صلاة الجمعة، وهذا يخالف ما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «إذا ثوب بالصلاة فلايسع أحدكم، ولكن ليمش وعليه السكينة والوقار» (٢) فجاءت القراءة الأخرى ودفعت توهم مالميس مراداً وأزالت الاشكال؛ لأن المضي ليس من مدلوله السرعة (٣).

(١٤) ومن فوائد تعدد القراءات بيان المجمل والغريب كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾ البقرة: ٢٣٨ جاءت قراءة: «الصلاة الوسطى» (٤) وصلاة العصر» (٥) فبينت المقصود .

- (١) قرأ بذلك عمر بن الخطاب وابن مسعود وعبدالله بن الزبير وأبي بن كعب .
أما عن عمر بن الخطاب فأخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجمعة باب ما جاء في السعي يوم الجمعة وأخرجه الشافعي في الأم ١٩٦/١ بسند صحيح وعبدالرزاق في مصنفه ٢٠٧/٣ وفي تفسيره لوحة : ١٦١ ويلاحظ وقوع سقط في السند : [عن ابن عمر: قال ما سمعت عمر يقرأها إلا...]. سقط ما بين العارضتين ويعرف بالنظر في سائر الروايات، وبما في الدر المنثور ١٦١/٨ وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٥٧/٢ والطبري في تفسيره (دارالفكر) ١٠٠/٢٨ والبيهقي في السنن الكبرى ٢٢٧/٣ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦١/٨ إلى أبي عبيد في فضائل القرآن، وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن الأنباري والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم .
أما عن ابن مسعود فأخرجه الطبري في تفسيره (دار الفكر) ١٠١، ١٠٠/٨ وعبدالرزاق في تفسيره لوحة : ١٦١ وفي مصنفه ٢٠٧/٣ وابن أبي شيبة في مصنفه ١٥٧/٢ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦١/٨ إلى الفريابي وأبي عبيد وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن الأنباري والطبراني .
أما عن ابن الزبير فأخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور ١٦٢/٨ .
أما عن أبي بن كعب فأخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ١٦٢/٨ .
وهذه القراءة لا يقرأ بها لمخالفتها رسم المصحف .
- (٢) حديث صحيح، عن أبي هريرة .
أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب إستحباب اتيان الصلاة بوقار وسكينة حديث رقم (٦٠٢) .
- (٣) النشر ٢٩/١ مناهل العرفان ١٤١/١ .
- (٤) جاءت قراءة أخرى للآية: «الصلاة الوسطى صلاة العصر» وقراءة: «الصلاة الوسطى هي صلاة العصر» وهي تدل على أن «الواو» في هذه القراءة ليست للمغايرة ولكنها من عطف الصفة على الموصوف أو زائدة، كما نبه عليه في «فتح الباري» ١٩٧/٨ .
- (٥) قرأ بذلك عائشة وحفصة وأم سلمة وابن عباس وأبي بن كعب .
أما عن عائشة فأخرجه مالك في الموطأ كتاب صلاة الجماعة باب الصلاة الوسطى

وكقوله تعالى : ﴿كَالْعَيْنِ الْمَنفُوشِ﴾ القارعة:ه جاء في قراءة آحادية:
«كالصوف المنفوش»(١) فبينت أن العهن هو الصوف .

(١٥) تجلية عقيدة ضل فيها بعض الناس ، كما في قوله تعالى في وصف الجنة وأهلها و نعيمهم : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾
الانسان:٢٠ جاءت في قراءة بضم الميم وسكون اللام في لفظ: «وملكا كبيرا»
وفي قراءة بكسر اللام وفتح الميم(٢) وهي من أعظم الأدلة على رؤية الله تعالى في الدار الآخرة(٣).

(١٦) بيان صحة لغة من لغات العربية كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

وعبدالرزاق في المصنف ١/٧٨هـ وأحمد في المسند ٦/١٧٨ و مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر حديث رقم (٦٢٩) وأبوداود في كتاب الصلاة باب في وقت صلاة العصر حديث رقم (٤١٠) والترمذي في كتاب التفسير ومن سورة البقرة حديث رقم (٢٩٨٢) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/٢٨ وأخرجه النسائي في كتاب الصلاة باب المحافظة على صلاة العصر ١/٢٣٦ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ١/١٠٣ وأخرجه النسائي أيضا في تفسيره ١/٢٦٩ حديث رقم (٦٦) والطبري في تفسيره (شاكرك) ٥/١٧٣-١٧٥ والدوري في جزء فيه قراءات النبي ﷺ ص٧٦-٧٨ وابن أبي داود في المصاحف ص٩٤-٩٥ والبيهقي في السنن الكبرى ١/٤٦٢.

وزاد السيوطي عزوه في الدر المنثور ١/٧٢٢ إلى عبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف وابن المنذر .

أما عن حفصة فأخرجه مالك في كتاب صلاة الجماعة باب الصلاة الوسطى وعبد الرزاق في المصنف ١/٧٨هـ والطبري في تفسيره (شاكرك) ٥/١٧٧-١٧٨ وابن أبي داود في المصاحف ص٩٥-٩٧ وابن حبان (موارد) (١٧٢٢) والبيهقي في السنن الكبرى ١/٤٦٢ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٧٢١-٧٢٢ للبخاري في تاريخه ولأبي عبيد وعبد بن حميد وأبي يعلى وابن الأنباري .

أما عن أم سلمة فأخرجه عبدالرزاق في المصنف ١/٧٩هـ والطبري في تفسيره (شاكرك) ٥/١٧٦ وابن أبي داود في المصاحف ص٩٨.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٧٢٣ إلى وكيع وابن أبي شيبة وعبد بن حميد .
أما عن ابن عباس فأخرجه الطبري في تفسيره ٥/٢١٣ وابن أبي داود في المصاحف ص٨٧ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٧٢٣ لابن أبي شيبة وعبد بن حميد .
أما عن أبي بن كعب فعزاه في الدر المنثور ١/٧٢٨ إلى عبد بن حميد والطحاوي .
(١) أسندها أبويعبيد بسند صحيح عن سعيد بن جبير في «فضائل القرآن» ص١٨٨(طبعة دار الكتب العلمية) وذكرها ابن الجزري في «النشر» ١/٢٩ وانظر «غاية النهاية» ٢/٥٥.
(٢) النشر/١/٢٩.
(٣) ماسبق.

تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴿النساء: ١﴾ وقراءة: ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالخفض (١) فإنها حجة على جواز عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة العامل وكقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لَكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ المائدة: ١٣٧ في قراءة بضم الزاي في: ﴿زَيْنٌ﴾ وبالرفع في: ﴿قَتَلَ﴾ وبنصب ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ على المفعولية وبخفض: ﴿شُرَكَائُهُمْ﴾ على الإضافة (٢) والتقدير: زين قتل شركائهم أولادهم فإن هذه القراءة حجة على جواز الفصل بين المتضايقين بغير الظرف والجار والمجرور خلافا للبصريين في كل هذا (٣).

هذا مجمل الفوائد التي تعود علينا من تعدد القراءات والقصد هنا إبراز ما يتعلق منها بالتفسير، وهذا ما تسعى إليه هذه الدراسة - إن شاء الله - أسأل الله تبارك وتعالى العون والتمكين والتوفيق إنه سميع مجيب.

(١) قرأ حمزة وحده: ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ خفضا وقرأ الباقون نصبا. السبعة ص ٢٢٨ التيسير ص ٩٣.

(٢) هذه قراءة ابن عامر، وقرأ الباقون بفتح الزاي: ﴿زَيْنٌ﴾ ونصب اللام: ﴿قَتَلَ﴾ وخفض الدال: ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ ورفع الهمزة: ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾. السبعة ص ٢٧٠ التيسير ص ١٠٧.

(٣) في أصول النحو ص ٣٩-٤٥.

الباب الثاني تدوين القراءات وتطوره

يشتمل على مدخل وتمهيد وفصلين :

مدخل.

تمهيد : عرض تاريخي للمؤلفات في القراءات.

الفصل الأول : تدوين القراءات في كتب العلوم الأخرى.

الفصل الثاني : التدوين المفرد للقراءات .

مدخل :

مرت القراءات في نشأتها بمرحلتين أساسيتين هما :

المرحلة الأولى : مرحلة الرواية المجردة .

المرحلة الثانية : مرحلة التدوين .

وقد سبق الحديث (١) عن المرحلة الأولى - ولله الحمد والمنة - وبقي الحديث عن المرحلة الثانية مرحلة التدوين وموضعها هذا الباب - إن شاء الله - .

ومن حيث الواقع فإن القراءات في مرحلتها الثانية مرت بشكلين من أشكال التدوين :

الأول : تدوين القراءات في ثنايا العلوم الأخرى على صورة قضايا مبنوثة في تضاعيف الكتاب .

الثاني : التدوين المفرد للقراءات، وكان على أحوال ساعرضها بالتفصيل - إن شاء الله تعالى - .

وبناء على هذا الواقع فإن هذا الباب يشتمل على فصلين :

الفصل الأول : تدوين القراءات في كتب العلوم الأخرى .

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : القراءات في كتب علوم القرآن والتفسير .

المبحث الثاني : القراءات في كتب الحديث .

المبحث الثالث : القراءات في كتب النحو .

الفصل الثاني : التدوين المفرد للقراءات .

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : الكتب المفردة لقراءة إمام .

المبحث الثاني : الكتب المفردة لأكثر من قارئ .

المبحث الثالث : الكتب المفردة للقراءات وتوجيهها .

وقبل الشروع في فصول هذا الباب أقدم بين يديه التمهيد التالي المتضمن عرضاً تاريخياً حسب التسلسل الزمني لجملة من المصنفين في القراءات لتتضح الصورة الكلية بين يدي الفصول والمباحث .

(١) ص ٤٤ وما بعدها .

التمهيد : عرض تاريخي للمؤلفات في القراءات.

انتقلت القراءات من طور الرواية المجردة إلى طور التدوين مصداقا وتأكيذا لوعده الله تبارك وتعالى بحفظ القرآن العظيم؛ حيث قام جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة فبالغوا في الاجتهاد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ والصحيح والفاذ فمن هؤلاء:

في القرن الأول الهجري :

(١) يحيى بن يعمر (ت قبل سنة ٩٠هـ) ألف كتابا في القراءات جمع فيه ماروي من إختلاف الناس فيما وافق الخط ومشى الناس على ذلك زمنا طويلا إلى أن ألف ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) كتابه في القراءات السبعة (١).

(١) مقدمة تفسير ابن عطية ص ٧٢هـ وتفسير القرطبي ٦٣/١ وقد جزم سزكين في تاريخ التراث العربي ٩/١ بأن هذا المصنف هو أقدم كتاب يعرف في القراءات، وتابعه الفضلي في كتابه: «القراءات القرآنية» ص ٢٨ وجزم أن هذا المصنف هو أول مؤلف في القراءات ويظهر - والله أعلم - أن في هذا الجزم نظراً لوجوه:

الوجه الأول : أن عمدة من قال : أن ليحيى بن يعمر كتابا في القراءات هي عبارة ابن عطية رحمه الله وهي العبارة التالية : «وأما شكل المصحف ونقطه؛ فروي أن عبد الملك بن مروان أمر به وعمله فتجرد لذلك الحجاج بواسط وجد فيه، وزاد تحزيبه، وأمر وهو والي العراق الحسن، ويحيى بن يعمر بذلك وألف اثر ذلك كتابا في القراءات جمع فيه ما روي من إختلاف الناس فيما وافق الخط، ومشى الناس على ذلك زمنا طويلا، إلى أن ألف ابن مجاهد كتابه في القراءات» هـ.

قلت : يلاحظ أن قوله: «وألف إثر ذلك بواسط كتابا في القراءات» مشكل غير بين، هل الضمير يعود إلى يحيى بن يعمر أو يعود إلى الحسن أو يعود إلى الحجاج كل ذلك محتمل.

الوجه الثاني : هذا الخبر المجمل رواه كما ترى ابن عطية بصيغة التمريض: «روي» مما قد يشعر بعدم ثبوته لديه بصورة يستطيع الجزم به.

الوجه الثالث : هذا الخبر انفرد به ابن عطية فلم أره في الكتب التي ترجمت ليحيى ابن يعمر، ولا إشارة إليه.

الوجه الرابع : أن هذا الخبر الذي نقله ابن عطية فيه أن الكتاب ألف في «واسط» وهذا فيه دلالة على أن مصنفه ليس هو يحيى بن يعمر؛ وذلك أن السيوطي أورد في ترجمة يحيى بن يعمر أن الحجاج لما بنى «واسط» سأل الناس: ما عيبها؟ قالوا : لا نعرف لها عيبا، وسند ذلك على من يعرف عيبها: يحيى بن يعمر.

فبعث إليه فسأله فقال : بنيتها من غير مالك، ويسكنها غير ولدك، فغضب الحجاج وقال: ما حملك على ذلك؟ قال: ما أخذ الله تعالى على العلماء في علمهم ألا يكتبوا الناس حديثا فنفاه إلى خرسان فولاه قتيبة بن مسلم قضاءها فقضى في أكثر بلادها» هـ بغية الوعاه ٣٤٥/٢.

=

وفي القرن الثاني الهجري :

(٢) أبان بن تغلب الكوفي (ت ١٤١هـ) حيث ذكر له كتابا في القراءات (١).

(٣) مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) له كتاب في القراءات (٢).

(٤) زائدة بن قدامة الثقفي (ت ١٦١هـ) صنف كتابا في القراءات (٣).

وفي القرن الثالث الهجري :

(٥) يحيى بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢هـ) له رسالة صغيرة في قراءة أبي عمرو بن العلاء (٤).

(٦) يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت ٢٠٥هـ) صنف كتاب «الجامع» ذكر فيه إختلاف وجوه القراءات، ونسب كل حرف إلى من قرأ به (٥).

(٧) أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) صنف كتابا في القراءات وجعل القراء خمسة وعشرين قارئاً مع القراء السبعة (٦).

(٨) أبو عمر حفص بن عمر الدوري (ت ٢٤٦هـ) له جزء فيه قراءات النبي ﷺ (٧).

ففي هذا الخبر ما يدل على أن يحيى بن يعمر لم يكن من أهل واسط وأنه لم يقم فيها، خاصة إذا تذكرنا أن يحيى بن يعمر معدود في أهل البصرة كما في «جمال القراء» ٤٢٧/١.

الوجه الخامس : في الخبر الذي نقله ابن عطية ما يبطل حمله على القراءات بالمعنى الذي نقصده هنا؛ وهو قوله: «ومشى الناس على ذلك...» إذ يقال: كيف مشى الناس على هذه القراءات؟ وأين هي؟ ولماذا لم يذكر شيئا منها أهل العلم في مصنفاتهم في القراءات؟.

من أجل هذه الأمور فإن الذي يظهر لي - والعلم عند الله - أن المقصود في هذا النص أمر آخر، وهو ما اشتهر به يحيى بن يعمر وهو أمر نقط المصاحف والله أعلم.

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٠٨ ولم أر من نص عليه غيره.

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٢٥٣-٢٥٤ طبقات المفسرين للداودي ٢/٣٣٠-٣٣١.

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٣١٦.

(٤) مخطوطة بالمكتبة الظاهرية قراءات رقم ٣٤٢، أشار إليها في تاريخ التراث العربي ١٠/١١-١١ حاشية.

وإنما عددناه في القرن الثالث باعتبار الوفاة، وإن كان كتابه قد صنف في القرن الثاني، وهكذا في بقية الأئمة.

(٥) معجم الأدباء ٢٠/٥٢-٥٣ الأعلام ٨/١٩٥.

(٦) النشر ١/٣٣-٣٤ وهو من مرويات ابن خير الإشبيلي فهرست ابن خير ص ٢٣.

(٧) طبع مؤخرا بتحقيق د/ حكمت بشير ياسين - مكتبة الدار بالمدينة المنورة - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

(٩) أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد السجستاني (ت ٢٤٨هـ) صنف كتابا في القراءات (١) ترك فيه ذكر حمزة والكسائي وابن عامر، وزاد نحو عشرين رجلا من الأئمة ممن هو فوق القراء السبعة (٢) وصنف كتابا في اختلاف المصاحف (٣).

(١٠) أحمد بن جبير بن محمد الكوفي (ت ٢٥٨هـ) ألف كتابا في القراءات سماه «كتاب الخمسة» وذكر فيه خمسة من القراء من كل مصر واحد (٤).

(١١) إسماعيل بن إسحاق المالكي (ت ٢٨٢هـ) صنف كتابا في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماما منهم هؤلاء السبعة (٥). قلت : ويلاحظ مايلي :

(أ) أنه إلى أواخر هذا القرن لم تظهر كتب في قراءات القراء السبعة، مما يدل على أن حصر القراءات بسبع لم يعرف قبل ابن مجاهد.
(ب) أن القراءات في الزمن الأول كانت كثيرة، وفي هذا تأكيد على أن القراءات السبع المعروفة الآن ليست هي الأحرف السبعة والله أعلم.

ويأتي في القرن الرابع الهجري :

(١٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) جمع كتابا حافلا سماه: «الجامع» فيه نيف وعشرين قراءة (٦) ونقل بإسناده في تفسيره الكثير من القراءات .

(١٣) أبوبكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٣١٦هـ)

فائدة : اصطلح العلماء على تسمية القراءات التي لا تنسب إلى أحد من أئمة الرواية في القراءات بـ«قراءة النبي ﷺ» فلا يُظن أنهم أرادوا بنسبتها إلى النبي ﷺ أنها وحدها المأثورة عنه عليه الصلاة والسلام .

أفاد هذا الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تفسير «التحرير والتنوير» ٥٤/١ . قلت : ولا يخفى أن الأمر في معرفة نسبة القراءات إلى أئمة الرواية نسبي يختلف من عالم إلى آخر .

(١) الفهرست لابن النديم ص ٨٦-٨٧ كشف الظنون ص ١٤٤٩، ١١٨٩ .

(٢) الإبانة ص ٣٩-٤٠ ونقله في المرشد ص ١٥٢ .

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٨٦-٨٧ كشف الظنون ص ٣٣ .

(٤) الإبانة ص ١٠٣ النشر ٣٤/١ .

(٥) النشر ٣٤/١ طبقات القراء ١٦٢/١ .

(٦) النشر ٣٤/١ كشف الظنون ص ٥٧٦ .

صنف كتاب «المصاحف» (١) ضمّنه الكثير من القراءات وما يتعلق بها وبرسم المصحف .

(١٤) أبوبكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (٢) (ت ٣٢٤هـ) وهو أول من سجع السبعة في كتابه «السبعة» (٣) وله كتاب «قراءات النبي ﷺ وما حفظ من الفاظه واستعاذته وافتتاحه» (٤).

(١٥) أبوبكر محمد بن عبدالله بن محمد ابن أشته (ت ٣٦٠هـ) صنف كتاب: «المصاحف» وكتاب: «المحبر في القراءات» (٥).

(١٦) حسين بن عبدالله النحوي (ابن خالوية) (ت ٣٧٠هـ) صنف كتاب: «البدیع في القراءات السبع» (٦) و كتاب «القراءات» (٧) و كتاب :

-
- (١) طبع بتحقيق المستشرق آرثر جفري في القاهرة المطبعة الرحمانية - الطبعة الأولى ١٩٣٦م وطبع طبعة تجارية في بيروت - دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ويقوم بعض إخواننا بتحقيقه ودراسته في رسالة علمية مقدمة لكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى لنيل درجة الدكتوراه وفقنا الله وإيَّاه لما يحبه ويرضاه.
 - (٢) أنظر بحث: «أبوبكر بن مجاهد ومكانته في الدراسات القرآنية واللغوية» للدكتور عبدالفتاح شلبي، نشر في العدد الخامس من مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة ص ٩٢-٦٣.
 - (٣) طبع بتحقيق د / شوقي ضيف - نشر دار المعارف - القاهرة الطبعة الأولى ١٩٧١م الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.
 - (٤) فهرست ابن خير الاشبيلي ص ٢٣ .
 - (٥) فهرست ابن خير الاشبيلي ص ٢٤ .
 - (٦) مخطوط منه نسخة في مكتبة تشستربتي تحت رقم ٣٠٥١ وعنها مصورة في شريط مصغر في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم ٢٣ قراءات. فهرس مركز البحث العلمي (التفسير وعلوم القرآن) ج ١ ق ٢ ص ٢١٥.
 - (٧) مخطوط منه نسخة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية تحت رقم ٥٢ قراءات ، وهي في شرح إعراب قراءات أهل الأمصار وله مصورة على شريط مصغر بمركز البحث العلمي ١٢٧ قراءات. فهرس مركز البحث العلمي والتفسير وعلوم القرآن ج ١ ق ٢ ص ٢٥.
- ثم رأيت مطبوعا بتحقيق د: عبدالرحمن بن عثيمين في مجلدين - دار الخانجي - مصر.

«الحجة في القراءات السبع» (١) وكتاب: «مختصر من شواذ القرآن» (٢) وغيرها.

(١٧) أبوبكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (ت ٣٨١هـ) صنف كتاب: «الغاية في القراءات العشر» (٣) و «المبسوط في القراءات العشر» (٤) و «القراءات السبع» (٥) وغيرها .

(١٨) أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي (ت ٣٩٩هـ) له كتاب: «التذكرة في القراءات الثماني» (٦).

قلت : ويلاحظ أنه من هذا القرن بدأت كتب القراءات تأخذ سبيلا واحدا في الغالب هو القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) فاشتغل العلماء بها وظهرت كتب الاحتجاج لها (٧).

-
- (١) مطبوع بتحقيق د/ عبدالعال سالم مكرم - بيروت دار الشرق ١٩٧١م. والكتاب سُكِّك في نسبه لابن خالوية؛ حيث كتب محمد العابد الفاسي مقالا عنوانه: «نسبة الحجة إلى ابن خالوية لا تصح» نشره في مجلة اللسان العربي التي تصدرها إدارة التعريب في المغرب الرباط المجلد ٨ الجزء ١ ص ٥٢١-٥٢٣ لعام ١٩٧١م. وأنظر ما كتبه حول هذا محمود فهمي حجازي في مجلة كلية الآداب والتربية بجامعة الكويت العدد الثاني لعام ١٩٧٢م ص ١٩٣-١٩٤ و ما كتبه صبحي عبد المنعم تحت عنوان: «نسبة الحجة إلى ابن خالوية افتراء عليه» نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٤٨ الجزء ٣ لعام ١٩٧٣م. بواسطة تاريخ التراث العربي ٣٦/١ هامش، مقدمة تحقيق كتاب: «حجة القراءات» لابن زنجلة ص ٢٤ وكتاب: «ابن خالوية وجهوده في اللغة مع تحقيق كتابه شرح مقصورة ابن دريد» ص ٣٣.
 - (٢) مطبوع بتحقيق المستشرق براجستراسر - القاهرة - المطبعة الرحمانية ١٩٣٤هـ.
 - (٣) طبع مؤخرا بتحقيق : محمد غياث الجنباز - السعودية .
 - (٤) طبع بتحقيق سبيع حمزة حاكمي - دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة - مؤسسة علوم القرآن - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
 - (٥) مخطوط منه نسخة بمكتبة الجمعية الآسيوية في البنغال تحت رقم ١١٥ وتقع في ٢١٤ نسخ عام ٨٢٢هـ. تاريخ التراث العربي ٣١/١.
 - (٦) مخطوط منه نسخة بمكتبة وهبي باستنبول تحت رقم ١٧ وتقع في ٢٠٩ ورقة نسخت عام ٦٠٦هـ ونسخة أخرى بمكتبة عاطف باستنبول تحت رقم ٤٩ وتقع في ١٥٠ ورقة نسخت عام ١١٤٥هـ. تاريخ الأدب العربي ٦/٤ تاريخ التراث العربي ٣٢/١.
 - ثم رأيت مطبوعا بتحقيق د/ عبدالفتاح بحيري إبراهيم - مطبعة الزهراء. أنظر حول الكتاب والتعريف به جريدة المدينة عدد ٨٤٢٦ الخميس ٧ ذو القعدة ١٤١٠هـ.
 - (٧) أنظر ما كتبه الدكتور/ عبد الفتاح شلبي حول هذا في بحثه: «الاحتجاج للقراءات بواعثه وتطوره وأصوله وثماره» المنشور في مجلة البحث العلمي العدد الرابع ص ٧١-١٠٧.

و في القرن الخامس الهجري :

(١٩) أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي (ت ٤٠٨هـ) صنف: «المنتهى في القراءات الخمسة عشر» (١) ويشتمل على مائتين وخمسين رواية، جمع فيه ما لم يجمع قبله (٢).

(٢٠) أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٣) (ت ٤٣٧هـ) صنف: «التبصرة في القراءات السبع» (٤) و «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» (٥) و «الموجز في القراءات» (٦) و «الإبانة عن معاني القراءات» (٧).

(٢١) أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) صنف: «جامع البيان» (٨) في القراءات السبع يشتمل على نيف وخمسمئة رواية وطرقها عن الأئمة السبعة وله «التيسير في القراءات السبع» (٩) وهو مختصر

(١) مخطوط منه نسخة بدار الكتب بالقاهرة (قسم المكتبة التيمورية) ٢٩١/١ تفسير ٤٣٤ نسخت عام ٥٨٤هـ. تاريخ التراث العربي ٣٣/١-٣٤.

(٢) طبقات القراء ١٠٩/٢ كشف الظنون ص ١٨٥٨.

(٣) كتب دراسة حوله د/ أحمد حسن فرحات بعنوان: «مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن» نشر دار الفرقان - عمان - الأردن - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

(٤) طبع بتصحيح وتعليق محمد غوث الندوي - نشر الدار السلفية الهند عام ١٣٩٩هـ.

(٥) طبع بتحقيق د/ محي الدين رمضان - نشر مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

(٦) عده الدكتور: أحمد حسن فرحات في كتابه «مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن» ص ١٢٢ من الكتب المفقودة.

(٧) طبع بتحقيق الدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي - المكتبة الفيصلية - الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

ولم يرتض هذه الطبعة الدكتور أحمد حسن فرحات ووسمها بالقصور لاعتماد المحقق على نسخة واحدة فقط مع وجود خمس نسخ مخطوطة للكتاب، مما جعل تلك الطبعة غير وافية بالغرض حيث كثرت أخطاءها ويظهر هذا بالمقابلة بين النسخ. «مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن» ص ١١٩-١٢٠.

(٨) طبع على الآلة الكاتبة حيث حقق القسم الأول منه (من أوله إلى فرش الجروف) عبدالمهيمن عبدالسلام الطحان في رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية عام ١٤٠٣هـ.

(٩) طبع بتصحيح أوتو برترل - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ وهذا الكتاب هو الذي نظمه الشاطبي مختصراً له في منظومته الشهيرة في القراءات «حرز الأمان» وفيها يقول الشاطبي رحمه الله تعالى مشيراً إلى ذلك ص ٦٠:

وفي يسرها التيسير رمت إختصاره فأجنت بعون الله منه مؤملاً

مشتمل على مذاهب القراء السبعة بالأمصار، وما اشتهر وانتشر من الروايات والطرق عند التالين، وصح وثبت لدى الأئمة المتقدمين، فذكر عن كل واحد من القراء روايتين (١) وله كتاب «المقنع» (٢) في رسم مصاحف الأمصار.

(٢٢) أبو الحسن علي بن محمد بن غلي بن فارس المعروف بـ«الخطاط» البغدادي (توفي في حدود ٤٥٠هـ) صنف «الجامع في القراءات العشر وقراءة الأعمش» (٣) وله «التبصرة في قراءة الأئمة العشرة» (٤).

(٢٣) أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي (ت ٤٦٢هـ) صنف: «المدخل في القراءات» (٥) و «الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو» (٦).

(٢٤) أبو القاسم يوسف بن علي الهذلي (ت ٤٦٥هـ) صاحب كتاب: «الكامل في القراءات» (٧) وهو مشتمل على خمسين قراءة عن الأئمة وعن ألف وأربعمئة وتسعة وخمسين رواية وطريقاً (٨).

(٢٥) أبو معشر عبد الكريم بن عبدالصمد الطبري (ت ٤٧٨هـ) له: «سوق العروس» (٩) في القراءات، فيه ألف وخمسمئة وخمسون رواية وطريقاً وله «التلخيص في القراءات الثمانية» (١٠).

(١) كشف الظنون ص ٥٢٠.

(٢) طبع بتحقيق محمد الصادق القمحاوي - نشر الكليات الأزهرية ١٩٧٨م.

(٣) كشف الظنون ص ٥٧٦.

(٤) مخطوط منه نسخة في المكتبة الأزهرية، تقع في ٤٩ ورقة تحت رقم ٢٣٢٧٧/٢٧٠ عنها صورة على شريط مصغر في مركز البحث العلمي تحت رقم: ٣١ قراءات. فهرس مركز البحث العلمي (التفسير وعلوم القرآن) ج ١ ق ٢ ص ٢١٧.

(٥) كشف الظنون ص ١٦٤٤.

(٦) كشف الظنون ص ١٤٢.

(٧) مخطوط منه نسخة بالمكتبة الأزهرية تحت رقم ٢٠٠ أولها ناقص تقع في ٢٥٠ ورقة نسخت عام ٥١٤هـ رقمها بمركز البحث العلمي ١٣٤ قراءات. فهرس مركز البحث العلمي (التفسير وعلوم القرآن) ج ١ ق ٢ ص ٢٥٣.

(٨) النشر ٣٥/١ غاية النهاية ٤٠٠/١-٤٠١ ووقعت له أغاليط في أسانيد القراءات، نبه على ذلك الذهبي في معرفة القراء الكبار ٤٣٣/١ وتقدم نقل كلام ابن الجزري في الذب عنه ص ٩٨ في الهامش.

(٩) النشر ٣٥/١ كشف الظنون ص ١٠٠٩.

(١٠) فهرست ابن خير الأشبيلي ص ٢٩ كشف الظنون ص ٤٧٩.

وقد حقق هذا الكتاب في رسالة جامعية مقدمة إلى قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى لنيل درجة الماجستير.

وفي القرن السادس :

- (٢٦) أبو عبدالله محمد بن يحيى بن مزاحم الأنصاري الطليطلي (ت٥٠٢هـ) صنف كتاب «الناهج للقراءات بأشهر الروايات» (١).
- (٢٧) أبو علي حسن بن خلف الهواري (ت٥١٤هـ) له كتاب «تلخيص العبارات في القراءات» (٢).
- (٢٨) أبو العز محمد بن حسين بن بندار القلانسي (ت٥٢١هـ) له كتاب «إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي» (٣) في القراءات العشر.
- (٢٩) أبو محمد عبدالله بن علي بن أحمد المعروف بسبط الخياط (ت٥٤١هـ) له «المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن وإختيار خلف واليزيدي» (٤) و «تبصرة المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات» (٥) و «الإيجاز في القراءات السبع» (٦).
- (٣٠) أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المعروف بـ «ابن البازش» (ت٥٤٠هـ) صنف «الإقناع في القراءات السبع» (٧) وهو كتاب محكم التأليف مرتب الأبواب غزير المادة بريء من الحشو متقن ما شاء الله له من الإتقان، نَقَحَ فيه مصنفه وهذب وشرح وتمم كتاب «التبصرة» لمكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) وكتاب «التيسير» لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) (٨).
- (٣١) علي بن عساكر ابن المرجب البطائي (ت٥٧٢هـ) صنف كتاب

-
- (١) كشف الظنون ص ٦١٧.
- (٢) كشف الظنون ص ٤٧٣، ٤٧٩ و من مرويّات ابن الجزري كما في النشر ٧٢/١.
- (٣) مطبوع بتحقيق عمر حمدان الكبيسي ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ المكتبة الفيصلية بمكة .
وقد كان هذا الكتاب عمدة أهل العراق، وكانوا لا يحفظون سواه، ولهذا نظمه كثير من الواسطيين والبغداديين، ولولا ما وقع من فتنة هؤلاء بالعراق وفتنة الجنكزخانيين ببلاد العجم وما وراء النهر وقتل من قتل من أهل القراءات وغيرها لَمَا اشتهر فيها «حرز الأمان» للشاطبي ولا «التيسير» للداني، كما هو معلوم عند العلماء المحققين الذين تعتبر أقوالهم، ولهم على ذلك أكفأ اطلاع يحصر. منجد المقرئين ص ٥٣.
- (٤) حقق في رسالة لنيل درجة الدكتوراة بجامعة أم القرى كلية اللغة العربية - الدراسات العليا - فرع اللغة ١٤٠٤-١٤٠٥هـ.
- (٥) النشر ٨٤/١.
- (٦) النشر ٨٣/١ كشف الظنون ص ٢٠٦.
- (٧) طبع بتحقيق د/ عبدالمجيد قطامش، ضمن مطبوعات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى.
- (٨) مقدمة تحقيق كتاب «الإقناع» ص ٢٧، ٣٠.

«الخلافة بين قراءة عبد الله بن عامر وبين قراءة أبي عمرو بن العلاء» (١) وكتاب «الخلافة بين قراءة أبي بكر بن بهدلة عاصم وبين قراءة أبي عمرو ابن العلاء» (٢) وكتاب «الخلافة بين قراءة حمزة بن حبيب وبين أبي عمرو بن العلاء» (٣).

(٣٢) أبو محمد القاسم بن فيرّ الشاطبي الضريّر (ت ٥٩٠هـ) صنف «حرز الأمانى ووجه التهاني فى القراءات السبع للسبع المثاني» (٤) منظومة نظم فيها كتاب «التيسير» للداني (ت ٤٤٤هـ) عدد أبياتها ثلاثة وسبعون ومائة وألف بيتا أجاد فيها وأتقن ورزقه الله فيها القبول، فصارت عمدة الفن، وصارت تعرف باسمه «الشاطبية» بل صار اسمه علما على هذا الفن. وفي القرن السابع الهجري :

(٣٣) موفق الدين عيسى بن عبد العزيز الاسكندري (ت ٦٢٩هـ) صنف «الجامع الأكبر والبحر الأزهر» يحتوي على سبعة آلاف رواية وطريق (٥) وله «التذكرة المختصرة فى القراءات العشرة» (٦) و «نظرة السريع الانتهاء من مشهور القراءات المنتقى من غريب الطرق والروايات» (٧).

(٣٤) أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الجين السخاوي (ت ٦٤٣هـ) صنف كتاب «فتح الوصيد فى شرح القصيد» (٨) وهو أول شرح

(١) مخطوط منه نسخة فى مخطوط بروسه، حراتشي، ضمن مجموع تحت رقم ٧٢٦ - ١ تقع فيه من ورقة ١ إلى ورقة ١٢/أ نسخت عام ٣٦٤هـ. تاريخ التراث العربى ١٤/١.

(٢) مخطوط منه نسخة فى مخطوط بروسه، حراتشي زاده ضمن مجموع تحت رقم ٧٢٦٣ تقع فيه من ورقة ٤٨/أ إلى ٧٠/ب، نسخت فى عام ٦٣٤هـ. تاريخ التراث العربى ١٥/١.

(٣) مخطوط منه نسخة فى مخطوط بروسه، حراتشي زاده ضمن مجموع تحت رقم ٧٢٦٤ تقع فيه من ورقة ٧٠/ب إلى ٩٠/ب، نسخت فى عام ٦٣٤هـ. تاريخ التراث العربى ١٩/١.

(٤) وهى مطبوعة متداولة، مفردة وضمن شروح لها.

(٥) النشر ٣٥/١.

(٦) إيضاح المكنون ٢٧٦/١.

(٧) إيضاح المكنون ٦٥٧/٢.

(٨) مخطوط منه نسخة فى مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٤٦ عنها مصورة على شريط مصغر بمركز البحث العلمى تحت رقم ٧٢٨ ونسخة ناقصة الأولى بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٥ عنها مصورة على شريط مصغر بمركز البحث تحت رقم ٧٢٥ ونسخة ناقصة الآخر بالمكتبة الخالدية بالقدس تحت رقم (١) عنها مصورة على شريط مصغر بالمركز تحت رقم ٧٢٩. فهرس مركز البحث العلمى (التفسير وعلوم القرآن) ٢٠٦-٢٠٥/١.

لقصيدة شيخه الشاطبي المشهورة «حرز الأمانى» وله «جمال القراء وكمال الإقراء» (١) وهو كتاب مفيد جدا .

(٣٥) كمال الدين أبوعبدالله محمد بن الموقع أحمد أبوالوفاء الموصلي الحلبي يعرف بـ «شعلة» (ت ٦٥٠هـ) صنف «الشمعة في قراءات السبعة» (٢) وهي منظومة رائية قدر نصف الشاطبية مختصرة جدا ، أحسن في نظمها واختصارها ، وله «كنز المعاني شرح حرز الأمانى» (٣) أوله : «الحمد لله الذي أنزل القرآن على سبعة أحرف... بنى شرحه لكل بيت على ثلاث قواعد مبادي في اللغة ، ولواحق في الاعراب ، ومقاصد في المقصود من الكلام» (٤) .

(٣٦) أبوشامة عبدالرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم المقدسي (ت ٦٦٥هـ) صنف «إبراز المعاني من حرز الأمانى» (٥) وله «مفردات القراء» (٦) .

(٣٧) محمد بن عبدالله بن مالك النحوي (ت ٦٧٢هـ) صاحب الألفية الشهيرة في النحو له القصيدة الدالية في القراءات ، يقول فيها :
ولا بد من نظمي قوافي تحتوي لما قد حوى حرز الأمانى وأزيدا (٧) .
وله أيضا «حوز المعاني في إختصار حرز الأمانى» وهو في بحر الشاطبية وقافيتها (٨) .

(١) مطبوع بتحقيق د/ على حسين البواب مكتبة التراث بمكة - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

(٢) طبقات القراء ٨٠/٢ .

(٣) مخطوط منه نسخة في مكتبة الحرم المكي تحت رقم ٦ دهلوي عنها مصورة على شريط مصغر بمركز البحث العلمي تحت رقم ٥٨٧ . فهرس مركز البحث العلمي (فهرس علوم القرآن) ٢٥٨/٢ .

ونسخة في المكتبة الأزهرية تحت رقم ٤٠٤ عنها مصورة على شريط مصغر بمركز البحث العلمي تحت رقم ١٣٨ قراءات . فهرس مركز البحث العلمي (فهرس التفسير والقراءات) ٢٥٤/١ .

ثم رأيته مطبوعا ، طبع دار رسائل الجيب بمصر - على نفقة الاتحاد العام لجماعة القراء ١٩٥٥م - ١٣٧٤هـ .

(٤) كشف الظنون ص ٦٤٧ .

(٥) مطبوع حققه إبراهيم عطوه عوض - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الجديدة (!) ١٣٩٨هـ .

(٦) كشف الظنون ص ١٧٧٣ .

(٧) اللطائف ٨٩/١

(٨) اللطائف ٨٩/١ .

وفي القرن الثامن الهجري :

(٣٨) برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت ٧٣٢هـ) له «الشرعة في القراءات السبعة» (١) و «نهج الدمثة في نظم القراءات الثلاثة» و شرحه «خلاصة الأبحاث» (٢) و «كنز المعاني في شرح حرز الأمان» (٣).

(٣٩) أبو محمد عبدالله بن عبد المؤمن ابن الوجيه الواسطي (ت ٧٤٠هـ) له «تحفة البررة في القراءات العشرة» (٤) و «الكنز في القراءات العشر» (٥) و «المختار في القراءة» (٦).

(٤٠) أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) صنف «عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي» (٧) على وزن الشاطبية وروىها ولم يأت فيها برمز وزاد فيها على «التيسير» للداني (ت ٤٤٤هـ) كثيرا وله «الأثير في قراءة ابن كثير» (٨) و «غاية المطلوب في قراءة يعقوب» (٩) و «تقريب النائي في قراءة الكسائي» (١٠).

(٤١) شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بـ «السمين» الحلبي (ت ٧٥٦هـ) صنف «العقد النضيد في شرح القصيد» (١١) وهو من شروح الشاطبية، أوله: «الحمد لله الذي تفضل على العباد في المبتدأ والمعاد...» ذكر فيه أن «الحرز» المذكور أحسن ما وضع في الفن،

- (١) اللطائف ٩٠/١.
- (٢) مخطوط منه نسخة بالمكتبة الأزهرية تحت رقم ١٤٠١ وأخرى تحت رقم ١٨٨-١٦٢٢٦ عنهما صورة على شريط مصغر في مركز البحث تحت رقم ٦٦،٦٥ مجاميع قراءات. فهرس مركز البحث العلمي (التفسير وعلوم القرآن) ٢٢٩/١.
- (٣) مخطوط منه نسخة بالمكتبة الأزهرية تحت رقم ١٥١/١٦١٨٩، ٣٣٦٧، ٢٤٨، عنها مصورات في مركز البحث العلمي تحت الأرقام التالية ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٨، /قراءات. فهرس مركز البحث العلمي (التفسير وعلوم القرآن) ٢٣٩/١-٢٤٠.
- (٤) كشف الظنون ص ١٤٩٩.
- (٥) مخطوط منه نسخة في المكتبة الظاهرية تحت رقم ٣١٦ عنها صورة على شريط مصغر في مركز البحث العلمي تحت رقم ١٣٧ مجاميع قراءات، ونسخة أخرى بمكتبة الحاج محمود بتركيا تحت رقم ٤١٢ عنها صورة على شريط مصغر بمركز البحث العلمي تحت رقم ١٠٩. فهرس مركز البحث العلمي (التفسير وعلوم القرآن) ٢٥٤/١، ٢٥٧/٢.
- (٦) كشف الظنون ص ١٦٢٣.
- (٧) اللطائف ٩٠/١ كشف الظنون ص ١١١٥٢.
- (٨) إيضاح المكنون ٢٤/١.
- (٩) كشف الظنون ص ١١٩٤.
- (١٠) إيضاح المكنون ٣١٤/١.
- (١١) كشف الظنون ص ٦٤٨.

وأحسن شروحه شرحا الشيخين الفاسي وأبي شامة غير كلا منهما أهمل ما عني به الآخر مع إهمالهما أشياء مهمه فشرحه بما يوفي المقصود، واجتهد في بيان فك الرموز وإعراب الأبيات وجعل «الشين» علامة لأبي شامة و«العين» لأبي عبد الله الفاسي (١).

(٤٢) أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الأندلسي (ت ٧٧٧هـ) صنف كتاب «تحفة الأقران في ما قرئ بالتثني من حروف القرآن» (٢) وموضوعه ما قرئ بالحركات الثلاث في القرآن الكريم، سواء أكان التثني بنية أم أعرابا، وسواء أكانت القراءات كلها متواترة، أم بعضها غير متواترة (٣). وفي القرن التاسع الهجري :

(٤٣) علاء الدين علي بن عثمان بن محمد المعروف بـ«ابن القاصح» العذري البغدادي (ت ٨٠١هـ) صنف «سراج القاريء المبتديء وتذكار المقريء المنتهي» (٤) شرح منظومة «حز الأمانى» وله كذلك «مصطلح الإشارات في القراءات الزوائد الثلاثة عشر المروية عن الثقات» (٥) و«القصيدة العلوية في القراءات السبع المروية» (٦) وهي قصيدة ألفية أولها:

لَكَ الْحَمْدُ يَا اللَّهُ وَالْعِزُّ وَالْعَلَا ...
...
قرأها عليه جماعة، فشرحها لهم شرحا مختصرا سماه: «الأمالي المرضية» أوله: «الحمد لله الذي شرف بعلم دينه ...»

(٤٤) شمس الدين محمد بن محمد ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) الذي جدد علم القراءات في القرن التاسع، وله فيه «النشر في القراءات العشر» (٧)

-
- (١) كشف الظنون ص ٦٤٨.
 - (٢) مطبوع بتحقيق د: علي حسين البواب - دار المنارة - جدة الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ؛
 - (٣) مقدمة محقق تحفة الأقران ص ٥ - ١١، ٦.
 - (٤) مطبوع متداول . طبع دار الفكر - بيروت - ١٤٠١هـ.
 - (٥) اللطائف ٩١/١ كشف الظنون ص ١٧١١.
 - (٦) كشف الظنون ص ١١٦٣.
 - (٧) مطبوع متداول . طبع دار الفكر - بيروت - وهي مصورة عن طبعة الحاج مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة.

و «تحرير التيسير» (١) و «الدرة المضية في القراءات الثلاث المرضية» (٢) وهي منظومة على وزن الشاطبية أولها:

قل الحمد لله الذي وحده علا ومجده وأسأل عونه وتوسلا
ومن مصنفاته «منجد المقرئين» (٣) وهو كتاب نافع مبارك على صغر حجمه .
(٤٥) برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)
صنف كتاب «الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات» (٤) أوله: «الحمد لله المؤيد من توصل إليه بلذيد خطابه

(٤٦) أبو العباس أحمد بن اسماعيل الكوراني (ت ٨٩٣هـ) صنف «كشف الاسرار عن قراءة الأئمة الأخيار» (٥) وهو شرح على نظم ابن الجزري في القراءات الثلاث الزوائد على العشر قراءة ابن محيصة والأعمش والحسن البصري .

أول الشرح: «الحمد لله الذي جعل حملة كتابه مع السفارة الكرام...»
(٤٧) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن خليل بن محمد الحلبي الشهير بـ «القبابي» (ت ٨٩٤هـ) له منظومة في القراءات الأربع عشر إسمها «مجمع السرور والحبور ومطلع الشمس والبدور» (٦).
وفي القرن العاشر الهجري :

(٤٨) جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) صنف «الدر النثير في قراءة ابن كثير» (٧) وله شرح الشاطبية وهو شرح ممزوج (٨).
(٤٩) أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) صنف كتاب «لطائف الإشارات لفنون القراءات» (٩) وهو كتاب جامع استوعب دقائق هذا

-
- (١) مطبوع متداول. له طبعات عديدة منها طبعة بتحقيق وتعليق : عبدالفتاح القاضي ومحمد الصادق القمحاوي . نشر دار الوعي بحلب . الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ .
 - (٢) مطبوع . وقد أوردها الشيخ علي محمد الضباع ضمن مجموعته المسمى «إتحاف البررة بالمتون العشرة في القراءات والرسم والآي والتجويد» من ص ١١٥-١٦٧ .
 - (٣) مطبوع متداول وله طبعات عديدة ، منها طبعة دار الكتب العلمية - بيروت وهي طبعة سقيمة جدا .
 - (٤) كشف الظنون ص ١٠٩٠ .
 - (٥) كشف الظنون ص ١٤٨٦ .
 - (٦) إيضاح المكنون ٢/ ٤٣٤ .
 - (٧) كشف الظنون ص ٧٣٥ .
 - (٨) كشف الظنون ٦٤٨ .
 - (٩) طبع الجزء الأول منه بتحقيق عامر السيد عثمان وعبدالصبور شاهين بمصر ضمن مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٣٩٢هـ .

الفن وقواعده و له «فتح الداني في شرح حرز الأمانى» (١) زاد فيه زيادات ابن الجزري مع فوائد كثيرة لاتوجد في غيره.

(٥٠) جمال الدين حسين بن علي الحصني (ت ٩٦٣هـ) صنف «الغاية» (٢) في شرح الشاطبية و «الجوهرة في القراءات العشرة» (٣). وفي القرن الحادي عشر الهجري :

(٥١) سلطان بن أحمد بن سلامة بن اسماعيل المزاحي (٤) (ت ١٠٧٥هـ) له كتاب «القراءات الأربع الزائدة على العشر» (٥) و «الجوهر المصون في الأوجه ما بين الضحى إلى المفلاحون» .

(٥٢) عبد الرحمن بن أبي القاسم المكناسي (ت ١٠٨٢هـ) صنف «الفجر الساطع في شرح الدرر اللوامع في مقراء الإمام نافع» (٦). وفي القرن الثاني عشر الهجري :

(٥٣) أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطي الشهير بـ «البناء» (ت ١١١٦هـ) صنف كتاب «إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر» (٧) وهو كتاب فذ في بابيه ويكاد يكون اختصارا لكتاب «لطائف الإشارات» للقسطلاني مع زيادات والله أعلم .

(٥٤) أبو الحسن علي النوري (٨) الصفاقسي (ت ١١١٧هـ) صنف كتاب «غيث النفع في القراءات السبع» (٩) وهو عمدة الطلاب والمقرئين وما جاء بعده فعالة عليه، ومرده إليه وله كتاب «تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين» (١٠) وهو عمدة الطلاب والمقرئين في فن التجويد.

-
- (١) كشف الظنون ص ٦٤٧، ١٢٣٢.
 - (٢) كشف الظنون ص ٦٤٧.
 - (٣) كشف الظنون ص ٦٢١.
 - (٤) بتشديد الزاي وفتح الميم نسبة الى منية مزاح من الدقهلية بمصر. الأعلام ١٠٨/٣.
 - (٥) الأعلام ١٠٨/٣ وأشار إلى أماكن وجود هذه المخطوطات .
 - (٦) معجم المؤلفين ١٦٥/٥.
 - (٧) مطبوع بتصحيح علي محمد الضباع . دار الندوة الجديدة - بيروت .
 - (٨) وهم في إيضاح المكنون ١٥٢/٢ فقال : « غيث النفع في القراءات السبع للإمام النووي الحافظ يحيى بن شرف الدين » هـ.
 - قلت : لعل سبب هذا الخلط أن رسم كلمة «النوري» قريب من رسم كلمة «النوي» فتصحف عليه والله اعلم.
 - (٩) مطبوع بهامش «سراج القاريء لابن القاصح» نشر دار الفكر بيروت.
 - (١٠) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (ملحق الأعلام) ص ٦٩٧.

وفي القرن الثالث عشر الهجري :

٥٥) مصطفى بن علي بن عمر بن أحمد الميهي من أعيان القرن الثالث عشر صنف كتاب «فتح الكريم الرحمن في تحرير أوجه القرآن» ونص على أنه انتهى منه ضحوة يوم الخميس لحدى عشرة ليلة بقين من ذي الحجة الحرام إختتام عام ١٢٢٩هـ (١).

ووالد هذا الشيخ «علي بن عمر بن أحمد الميهي» (ت ١٢٠٤هـ) معدود من أعيان قراء هذا القرن (٢).

وفي القرن الرابع عشر الهجري :

٥٦) محمد بن أحمد الشهير بـ «المتولي» (ت ١٣١٣هـ) صنف زهاء أربعين مصنفًا في القراءات وغيرها من علوم القرآن كالتجويد والرسم والضبط والفواصل (٣) منها: «الوجوه المسفرة في القراءات الثلاث المتممة للقراءات العشر» (٤) ونظم أحكام قوله تعالى: ﴿وَالآن﴾ (٥) و «الكوكب الدرّي في قراءة أبي عمرو البصري» نظم فيها ماخالف فيه أبو عمرو البصري حفصًا من طريق الشاطبية (٦).

٥٧) حسن بن خلف الحسيني (ت ١٣٤٢هـ) له «نظم في تحرير مسائل الشاطبية في القراءات السبع» (٧) جرى فيه على وزنها.

٥٨) إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني (ت ١٣٤٩هـ) صنف «النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقراء الإمام نافع» (٨) و«دليل الحيرّات شرح مورد الظمآن في رسم وضبط القرآن» (٩) و«تنبيه الخلان إلى شرح الإعلان بتكميل مورد الظمآن» (١٠).

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ص ٧٣٩.
(٢) ماسبق ص ٦٨٩ وهو الذي عناه الشيخ سليمان الجمزوري في قوله في متن «تحفة الأطفال» :

سميته بتحفة الأطفال عن شيخنا الميهي ذي الكمال.

انظر تحفة الأطفال مع شرحها بغية الكمال ص ٩.

(٣) هداية القاري (ملحق الأعلام) ص ٧٠٨.

(٤) مطبوع ضمن (إتحاف البررة بالمتون العشرة) ص ١١٥-١٦٨.

(٥) مطبوع ضمن المجموع السابق ص ١١٢-١١٥.

(٦) هداية القاري (ملحق الأعلام) ص ٧٠٩.

(٧) مطبوع مع شرحه «مختصر بلوغ الأمنية» لعلي محمد الضباع في هامش «سراج القاري لابن القاصح» - دار الفكر - بيروت.

(٨) هداية القاري (ملحق الأعلام) ص ٦٣٠.

(٩) مطبوع حققه محمد الصادق قمحاوي . مكتبة الكليات الأزهرية.

(١٠) مطبوع مع الكتاب السابق .

هذا مجمل ما كان من أمر تدوين القراءات عبر القرون حسب التسلسل التاريخي ؛ لتتضح الصورة الكلية بين يدي الفصول والمباحث التالية - إن شاء الله - .

الفصل الأول : تدوين القراءات في كتب العلوم الأخرى.

يتحدث هذا الفصل عن الكتابات الأولى في القراءات كيف ظهرت؟ وكيف سارت في ثانيا مدونات العلوم الأخرى؟. وعليه فإن هذا الفصل يشتمل على المباحث التالية :

- المبحث الأول : القراءات في كتب علوم القرآن والتفسير.
- المبحث الثاني : القراءات في كتب الحديث .
- المبحث الثالث : القراءات في كتب النحو .

وسيتعرض هذا الفصل بصفة عامة لإبراز أهم القضايا التي طرقتها المصنفات في تلك العلوم، والتي من خلالها تظهر صورة من الصور التي نقل بها علم القراءات، وكيفية معالجة بعض قضاياها من خلال ذلك.

وإليك البيان :

- المبحث الأول : القراءات في كتب علوم القرآن والتفسير .
- وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : القراءات في كتب علوم القرآن .
- المطلب الثاني : القراءات في كتب التفسير .

المطلب الأول : القراءات في كتب علوم القرآن .

المقصود هنا المصنفات الأولى في علوم القرآن، التي لم تكن شاملة لجميع أنواع علوم القرآن، ولكنها مفردة لنوع واحد فقط، وقد تشتمل على أكثر من نوع دون استيعاب.

وسيعرض هذا المطلب - إن شاء الله - للمواضع التي ورد فيها ذكر القراءات وما يتعلق بها في هذه المصنفات بإيجاز مبرزاً أهم القضايا التي طرقتها تلك المصنفات حول القراءات .

ومن الكتب الأولى في علوم القرآن التي تشكل مرحلة التصنيف المفرد لنوع من أنواع علوم القرآن الكتب التالية :

١ - كتاب «فضائل القرآن ومعالمه وآدابه» (١) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي (١٥٤-٢٢٤هـ).

يعتبر هذا الكتاب أكبر كتاب أُصِّل في موضوعه وأشمله (٢) بل هو أول محاولة تطبيقية لتدوين علوم القرآن العظيم بمعناها الشامل (٣) فهو يحتوي بين صفحاته على روايات في فضائل القرآن العظيم بصورة عامة وفضائل السور والآيات وآداب تلاوة القرآن وجمع القرآن والقراءات والقراء من الصحابة والتابعين وتابعيهم، والمنسوخ تلاوة، ومنازل القرآن، وأول ما نزل وآخر ما نزل وخواص القرآن العظيم، والاسترقاء به، والمصاحف وكل ما يتعلق بما فيها من تنقيطها وتعشيرها ولغات القرآن وغيرها من البحوث (٤). ومن الأبواب التي تضمنها هذا الكتاب مما له علاقة بالقراءات ما يلي:

- جملة أبواب قراء القرآن ونعوتهم وأخلاقهم (٥).

منها : باب حامل القرآن وما يجب عليه أن يأخذ به من آداب القرآن، باب ما يستحب لحامل القرآن من أكرام القرآن وتعظيمه وتنزيهه، باب ما يؤمر به حامل القرآن من تلاوته بالقرآن والقيام به في الصلاة، باب ما يستحب للقارئ القرآن من الترسل في قراءته والترتيل والتدبر، باب ما يستحب للقارئ من تحسين القرآن وتزيينه، باب القارئ يصعق من قراءة القرآن ومن كره ذلك وعابه.

- جماع أحاديث القرآن وإيثاره في كتابه وتأليفه وإقامته حروفه (٦).

منها : باب تأليف القرآن وجمعه ومواضع حروفه وسوره، باب الزوائد من الحروف التي خالف فيها الخط في القرآن، باب ما رفع من القرآن بعد نزوله ولم يثبت في المصاحف، باب حروف القرآن التي اختلفت فيها مصاحف أهل الحجاز وأهل العراق.. وهي إثنا عشر حرفاً، هذه الحروف التي اختلفت

(١) حققه لنيل درجة الماجستير الطالب محمد تجاني جوهري جامعة الملك عبدالعزيز بمكة (أم القرى حالياً) كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - قسم الدراسات العليا شعبة الكتاب والسنة عام ١٣٩٣هـ.

ثم رأيت مؤخرًا مطبوعاً بتحقيق عوبي سليمان غاوجي - طبع دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

(٢) مقدمة تحقيق كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد ص ٦٤.

(٣) ما سبق ص ٩١.

(٤) ما سبق ص ٦٤.

(٥) فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٤٩ - ١٤٦ وتضمن هذا القسم ثلاثة وعشرين باباً.

(٦) ما سبق ص ٢١٣-٣٦٣ وتضمن هذا القسم خمسة عشر باباً.

فيها مصاحف أهل الشام وأهل العراق وقد وافقت أهل الحجاز في بعض وفارقت بعضها باب لغات القرآن وأي العرب نزل القرآن عليه بلغته، باب إعراب القرآن وما يستحب للقاريء من ذلك وما يؤمر به، المراء في القرآن والاختلاف في وجوها وما في ذلك من التغليظ والكراهة.

- جماع أبواب المصاحف وما جاء فيها وما يؤمر به وينهى عنه (١).

منها : باب بيع المصاحف ومافيه من الرخصة والكراهة، باب نقط المصحف وما فيه من الرخصة والكراهة، باب تعشير المصاحف وفواتح السور ورؤوس الآي، باب تزيين المصاحف وحليتها بالذهب والفضة.

قلت : ويلاحظ مايلي :

(١) أن هذا الكتاب احتوى على جملة كبيرة من المباحث المتعلقة بعلم القراءات، بله القراءات الكثيرة التي أوردها أو أشار إليها.

(٢) أنه تضمن جملة كبيرة من القراءات المخالفة لرسم المصحف العثماني.

(٣) أن الأحاديث والآثار التي يوردها أبو عبيد في كتابه هذا جميعها مسندة، ومنها المقبول والمردود.

(٤) تضمن الكتاب آراء أبي عبيد في كثير من المسائل من ذلك ما اختاره بالنسبة للقراءة الشاذة ومنزلتها في التفسير.

(٥) أن القراءات في هذا الكتاب برزت بروزا ظاهرا ولا غرو فإن لأبي عبيد مصنفا فيها.

٢ - كتاب «تأويل مشكل القرآن» لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) وهو يتعلق بنوع المحكم والمتشابه من القرآن العظيم (٢).

تضمن هذا الكتاب مباحث في الذب عن القراءات، والرد على الطاعنين في القرآن العظيم من جهتها؛ إذ نجد ابن قتيبة رحمه الله تعالى يعقد بعد المقدمة العنوان التالي: «الحكاية عن الطاعنين» (٣) أورد فيه طعون هؤلاء في القرآن العظيم مصدرا ذلك بإحتجاجهم بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ

-
- (١) فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٣٦٤-٣٧٧ ويتضمن هذا القسم ستة أبواب.
- (٢) سبقه في هذا الاتجاه قطرب (ت ٢٠٦هـ) فقد ذكر في مصنفاته كتاب «الرد على الملحدين في متشابه القرآن» أو «فيما سأل عنه الملحدون من أي القرآن». فهرست ابن النديم ص ٧٩٠، ٥٧.
- (٣) تأويل مشكل القرآن ص ٢٤.

كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْ جَدُّوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۖ النساء: ٨٢، ويقول تبارك وتعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فصلت: ٤٢.

وحكى قولهم : وجدنا الصحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم يختلفون في الحرف من القراءات مما يخالف بعضه بعضا والقراء يختلفون؛ فهذا يرفع ما ينصبه ذاك، وذاك يخفض ما يرفعه هذا، وأنتم تزعمون أن هذا كله كلام رب العالمين، فأى شيء بعد هذا الاختلاف؟.

وبعد إيرادهم لشبههم وجميع ما لديهم في ذلك، عقد بابا عنوانه: «باب الرد عليهم في وجوه القراءات» (١) رد فيه عليهم وبسط قلمه وتفنن في ذلك وأبدع فيه ماشاء الله له أن يبدع وأبرز علمه ودرأيته رحمه الله، وتحدث أثناء ذلك عن الأحرف السبعة والخلاف فيها.

ثم عقد بابا عنوانه: «ما أدعى على القرآن من اللحن» (٢) رد فيه على هؤلاء الملحدين شبههم في ذلك، وزَيَّفَهَا، وأظهر عوار قولهم وفضح باطلهم، جزاه الله خيرا.

ويلاحظ مايلي :

(١) أن الحديث عن القراءات عند ابن قتيبة في كتابه هذا إتخذ سبيلا غير ذاك السبيل الذي رأيناه عند أبي عبيد رحمه الله تعالى؛ إذ أن ابن قتيبة تعرض للقراءات من جهة الذب عنها وما يتعلق بالابانة عن معانيها من جهة تنوعها وما وجهه الملحدون من الطعون في القرآن العظيم عن طريقها.

(٢) أن إيرادهم للقراءات يختلف عن طريقة أبي عبيد؛ فإن ابن قتيبة لا يسوق سنداً لما يذكر من القراءات بلّة الأحاديث والآثار إلا نادراً.

(٣) يؤخذ على ابن قتيبة في هذا الكتاب تلحينه لبعض القراءات، ورميه حمزة من القراء بالتخليط والاضطراب (٣) وهذا مما لا يسلم له (٤).

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٣٣.

(٢) ماسبق ٥٠ . .

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٦٤-٦١، ٥٨.

(٤) قال ابن قتيبة: «منهم (أي القراء) رجل ستر الله عليه عند العوام بالصلاح، وقربه من القلوب بالدين، لم أر فيمن تتبعت وجوه قراءته أكثر تخليطاً، ولا أشد اضطراباً منه...» تأويل مشكل القرآن ص ٥٩.

قال ابن مطرف الكناني في كتابه «القرطين» ١٥/٢-١٦ الذي جمع فيه بين كتابي ابن قتيبة: «تأويل مشكل القرآن» و «تفسير غريب القرآن» بعد إيراد كلامه لابن قتيبة قبل هذا: «وباقى هذا الباب لم أكتبه لما فيه من الطعن على حمزة رحمة الله عليه، وكان أورد أهل زمانه مع خلو باقي الباب من فائدة» هـ.

وصنف أبو القاسم عبدالله بن محمد العكبري (ت ٥١٠هـ) كتاباً في الانتصار لحمزة

(٤) أظهر هذا الكتاب سعة علم ابن قتيبة رحمه الله وإدراكه لأثر

سماه: «الانتصار لحمزة فيما نسب إليه ابن قتيبة في مشكل القرآن» ذكر هذا الكتاب في كشف الظنون ١٧٣/١ ولم أقف عليه.

قلت : يلاحظ مايلي :

(أ) أن ما صدر من بعض أهل العلم من الطعن في بعض القراءات إنما صدر عنهم لأحد سببين - عندي - :

الأول : عدم ثبوت القراءة لديهم بأسانيد صحيحة إن قد تشتهر قراءة لدى جماعة في مكان لم تبلغ درجة القبول بـ«الاشتهار عند غيرهم، وهذا أمر أشار إليه ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى ٣٩٢/١٣-٣٩٤.

الثاني : ثبوتها لديهم بأسانيد صحيحة، لكن قام لديهم ما يعارضها باجتهادهم، فيقلب على ظنهم وقوع الوهم والخطأ في القراءة عن طريق من نقلت عنه. وملاحظة هذين الأمرين تبريء ابن قتيبة وغيره من أهل العلم من تهمة قصد الطعن في القراءات المتواترة والله أعلم.

(ب) أن ابن قتيبة سبق فيما ذهب إليه كما أشار إلى ذلك هو نفسه في كتابه «تأويل مشكل القرآن» ص ٦٠. والحال في الطعن ممن سبق ابن قتيبة كالحال في الطعن منه يحمل على ما ذكرته .

(ج) أن ما ذكره ابن قتيبة من عيب قراءة حمزة مردّه غالبا إلى الرواة عن حمزة؛ حيث ذكر أهل العلم أن الرواة عن حمزة بالغوا وأفرطوا، ولم يضبطوا عنه، و ما آفة الأخبار إلا روايتها.

قال ابن مجاهد رحمه الله: «حدثني علي بن الحسن قال: قال محمد بن الهيثم: «واحتج من عاب قراءة حمزة بعبدالله ابن ادريس أنه طعن فيها، وإنما كان سبب هذا أن رجلا ممن قرأ على سليم - أضيف أصحاب حمزة - حضر مجلس ابن ادريس عبدالله فقرا، فسمع ابن ادريس الفاظا فيها إفراط في المد والهمز وغير ذلك من التكلف المكروه، فكره ذلك ابن ادريس وطعن فيه.

قال محمد (ابن الهيثم) : وهذا الطريق عندنا مكروه مذموم وقد كان حمزة يكره هذا وينهى عنه، وكذلك من أتقن القراءة من أصحابه» اهـ. كتاب «السبعة» ص ٧٦-٧٧.

قال ابن الجزري : «أما كراهته (يعني: حمزة) الإفراط في ذلك فقد رُوينا عنه من طرق أنه كان يقول لمن يفرط عليه في المد والهمز : «لاتفعل أما علمت أن ما كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق الجعودة فهو قطط، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة» اهـ. غاية النهاية ٢٦٣/١.

ومما يؤكد وقوع الوهم من الرواة عن حمزة وليس منه وأن ما أنكره أهل العلم على قراءة حمزة ليس منها إنما من وهم النقلة، مما يؤكد هذا ما ذكره ابن الجزري من أن بعض المتأخرين من شراح الشاطبية ذكر أشياء في وقف حمزة مما حاصله إن صح سنده أن يكون لا وجه له، أو ورد بسند ضعيف.

قال ابن الجزري معقبا على ذلك : «مع أنني تتبعت ذلك فلم أجده منصوصا لحمزة لا بطريق صحيحة ولا ضعيفة» اهـ. النشر ١٦٦/١-١٧.

وينظر حول الرد على من طعن في قراءة حمزة : «السبعة» ٧١-٧٧ «جمال القراء» ٤٧١/٢-٤٧٦ «المرشد الوجيز» ص ٢١٢-٢١٣ «غاية النهاية» ٢٦٣/١.

القراءات في تفسير القرآن العظيم، ولعل ذلك يظهر جليا في كتابه «تفسير غريب القرآن» وسيأتي الحديث عنه - إن شاء الله -.

٣ - كتاب «فضائل القرآن وما انزل من القرآن بمكة وما نزل بالمدينة» لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس (١).
اشتمل هذا الكتاب على أبواب تتعلق بفضل تعليم القرآن وتلاوته وتعشير المصحف، ونحو ذلك.
وهذه الأبواب هي التالية :

باب الرجل يمر بآية تخويف ورحمة فيسأل أو يتعوذ (٢) باب ما يقرأ به الأعرابي الجاهل بالقرآن (٣) باب ما قالوا في الماهر بالقرآن (٤) باب فيمن كره التعشير في المصحف (٥) باب الرجل إذا ختم القرآن ما يصنع (٦) باب ما قيل في فضل الألف واللام من القرآن (٧) باب فيمن قال القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة (٨) باب يقال لصاحب القرآن اقرأ وأرقه، باب في فضل من تعلم القرآن وعلمه (٩).
هذا غير الأبواب المتعلقة بفضائل السور، والمتعلقة بنزول القرآن العظيم.

ويلاحظ : أن هذا الكتاب لم يتعرض للقراءات إلا من جهة ما يتعلق بفضل قراءة القرآن العظيم، ومن جهة كتابة المصحف وتعشيره فقط، وهو لا يورد شيئا إلا بالسند، وفيما أورد المقبول والمردود.

٤ - كتاب «فضائل القرآن وما جاء فيه من الفضل، وفي كم يقرأ، والسنة في ذلك» لأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي (١٠).

-
- (١) البجلي الرازي أبو عبد الله من حفاظ الحديث مات بالري سنة ٢٩٤هـ. الأعلام ٤٦/٦.
 - (٢) فضائل القرآن لابن الضريس ص ٦٦.
 - (٣) ماسبق ص ٦٨.
 - (٤) ماسبق ص ٨١.
 - (٥) ماسبق ص ٨٤.
 - (٦) ماسبق ص ٨٨.
 - (٧) ماسبق ص ٩١.
 - (٨) ماسبق ص ١٠٤.
 - (٩) ماسبق ص ١٣٢.
 - (١٠) جعفر بن محمد أبو بكر الفريابي قاض من العلماء بالحديث تركي الأصل من أهل فرياب (من ضواحي بلخ) حدث بمصر وبغداد ورحل رحلة واسعة (٢٠٧-٣٠١هـ). الأعلام ١٢٧/٢.

تضمن الموجود من هذا الكتاب أبواباً حول فضل قراءة القرآن وترتيبه كما يأتي:

باب في فضل القرآن وقراءته (١) باب فضل القرآن والاستماع وتعاهد القرآن (٢) باب ختم القرآن وما جاء فيه (٣) باب الوقف في قراءة القرآن ، والجمع في السور وكيف كانت قراءة رسول الله ﷺ وترتيبه وفي كم يقرأ القرآن والسنة في ذلك (٤) باب النظر في المصحف (٥) باب ما جاء في تعاهد القرآن عن النبي ﷺ (٦).

هذا عدا بعض الأبواب المتعلقة بفضائل السور .

ويلاحظ :

(١) أن هذه الأبواب لم تتعرض مباشرة لموضوع القراءات، إلا أن الناظر يجد كلمة: «الوقف في قراءة القرآن» وهي تشير إلى علم الوقف والابتداء في قراءة القرآن العظيم وهو أحد العلوم السبعة التي هي وسائل لعلم القراءات (٧).

(٢) أنه لم يسق شيئاً من الروايات إلا بالسند وفيما أورده المقبول والمردود .

(٣) أن الموجود من هذا الكتاب لا يشمل جميع الكتاب.

٥ - كتاب «المصاحف» لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٣٠٦هـ).

تضمن هذا الكتاب نصوصاً كثيرة، تتعلق بالقراءات، وبرسم المصحف، وبكتابته، وهو يعد من أهم المصنفات في بابيه؛ فقد نقل إلينا نصوصاً عزيزة

(١) فضائل القرآن للفرجاني ص ١٠٩.

(٢) ماسبق ص ١٦٧.

(٣) ما سبق ص ١٨٩.

(٤) ما سبق ص ٢٠٥.

(٥) ماسبق ص ٢٢٩.

(٦) ماسبق ص ٢٣٣.

(٧) وباقي العلوم السبعة التي هي وسائل لعلم القراءات :

(أ) علم العربية. (ب) علم التجويد وهو معرفة مخارج الحروف وصفاتها. (ج) علم الرسم (رسم المصحف). (د) علم الفواصل وهو معرفة عدد الآيات. (هـ) علم الأسانيد وهو الطرق الموصلة إلى القرآن العظيم، وهو من أهم العلوم إذ الأصل في القراءات النقل فالقراءة سنة متبعة. (و) علم الإيتداء والختم وهو الاستعاذة والتكبير ومتعلقاتها. غيث النفع ص ٢١-٢٢.

تتعلق بالقرآن من جهة جمعه وترتيبه واختلاف مصاحف الصحابة (١) مما يجعله بحق فريدا بين الكتب المصنفة في هذا المجال .
فمن أبوابه :

باب اختلاف مصاحف الأمصار التي نسخت من الإمام (٢) باب اختلاف مصاحف الصحابة (٣) حيث أورد ما يتعلق بمصحف عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص ومصحف عائشة وأم سلمة (٤) رضي الله عنهم وأرضاهم جميعا .

ثم ذكر اختلاف مصاحف التابعين (٥) فذكر مصحف عبيد بن عمير الليثي وعطاء بن أبي رباح وعكرمة ومجاهد (٦) وسعيد بن جبير والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس ومحمد بن أبي موسى وحطان بن عبد الله الرقاشي (٧) وصالح بن كيسان (٨) وطلحة بن مصرف (٩) وسليمان بن مهران الأعمش .

وقد تضمن هذا الباب الكثير مما يتعلق برسم المصحف وترتيبه .
ومن العناوين في كتاب : «المصاحف» ما اجتمع عليه كتاب المصاحف (١٠) ماكتب في المصاحف على غير الخط (١١) باب ماغير الحجاج في مصحف عثمان (١٢) .

(١) سبقه في هذا الاتجاه الكسائي (ت ١٨٩هـ) حيث صنف كتاب : «اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة والشام في المصاحف» . فهرست ابن النديم ص ٥٤ .

(٢) المصاحف لابن أبي داود ص ٤٩ .

(٣) ماسبق ص ٦٠ .

(٤) هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومية ، أم سلمة أم المؤمنين ، تزوجها رسول الله ﷺ سنة أربع وقيل : ثلاث ماتت سنة ٦٢هـ وقيل : ٦١هـ وقيل قبل ذلك ، والأول أصح . «التقريب» ص ٧٥٤ .

(٥) المصاحف لابن أبي داود ص ٩٨ .

(٦) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي ، أحد الأعلام من التابعين والأئمة المفسرين مات سنة ١٠٣هـ وقيل : ١٠٤هـ وقيل : ١٠٢هـ . غاية النهاية ٤١/٢ .

(٧) حطان بن عبد الله الرقاشي ويقال : السدوسي كبير القدر صاحب زهد وورع و علم مات سنة نيف وسبعين قاله الذهبي تخميناً . غاية النهاية ٢٥٣/١ .

(٨) صالح بن كيسان المدني أبو محمد أو أبو الحارث ، مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز ثقة ثبت فقيه مات بعد سنة ثلاثين ومئة أو بعد أربعين ومئة . التقريب ص ٢٧٣ .

(٩) طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب أبو محمد ويقال : أبو عبد الله الهمداني البامي الكوفي تابعي كبير كان يسمى سيد القراء مات سنة ١١٢هـ . غاية النهاية ٣٤٣/١ .

(١٠) المصاحف لابن أبي داود ص ١١٧ .

(١١) ماسبق ص ١٢٨ .

(١٢) ماسبق ص ١٣٠ .

باب كتابة المصاحف، أخذ الأجرة على كتابة المصاحف (١) تعظيم المصاحف (٢) تصغير المصاحف (٣) كتابة الفواتح والعدد في المصاحف (٤) كتابة العواشر في المصاحف (٥) باب نقط المصاحف (٦) بيع المصاحف وشراؤها (٧) وغير ذلك.

ويلاحظ : أن في ما أورده ابن أبي داود في كتابه هذا المقبول والمردود، ولا ضير عليه في هذا، إذ لم يسق شيئاً إلا بالسند فقد برئت عهده من ذلك، ومن أسند لك فقد أحالك (٨) والله أعلم.

٦ - كتاب «أخلاق أهل القرآن» لأبي بكر محمد بن الحسين الأجرى (٩).

موضوع هذا الكتاب في عنوانه، وهو يمس جانباً مهماً في القراءات (أعني: ما يتعلق بآداب القارئ والمقريء) وهو يتضمن ثمانية أبواب اشتملت على أربعة وستين نصاً ما بين مرفوع و موقوف و مقطوع (١٠)

(١) المصاحف لابن أبي داود ص ١٤٥.

(٢) ماسبق ص ١٥١.

(٣) ماسبق ص ١٥١.

(٤) ماسبق ص ١٥٣.

(٥) ماسبق ص ١٥٤.

(٦) ما سبق ص ١٥٨.

(٧) ماسبق ص ١٧٦.

(٨) جرى المحدثون في القرون الأولى على رواية ما يقع في روايتهم في الموضوع الذين هم بصدد التصنيف فيه، دون تحري للمقبول منه - إلا من اشترط منهم ذلك - .
والسر في ذلك - كما نبه أهل العلم - أنهم كانوا لا يروون شيئاً إلا بإسناد وكان ذكر الإسناد من جملة البيان عندهم، إذ يحيلون الناظر على الكشف عن السند، وكانوا يرون ذمتهم تبرأ بذلك.

وهذا يلاحظ في مصنفات أبي نعيم الأصبهاني والطبراني وابن أبي داود والطبري وغيرهم.

أما في هذه الأعصار فإن الذمة لا تبرأ برواية المردود دون بيان لضعفه ورده، لعدم الأمن من المحذور، إذ تقاصرت علوم أكثر الناس عن معرفة الإسناد ومراتب الحديث والله أعلم. أنظر : التبصرة والتذكرة ١٧٢/١ فتح المغيث للسخاوي ٢٥٤/١ .

(٩) فقيه شافعي محدث نسبته إلى آجر من قرى بغداد (ت ٣٦٠هـ). الأعلام ٩٧/٦.

(١٠) المرفوع : هو ما أضيف إلى رسول الله ﷺ خاصة ولا يقع مطلقه على غير ذلك. الموقوف : ما يروى عن الصحابة رضي الله عنهم من أقوالهم وأفعالهم ونحوها، فيوقف عليهم ولا يتجاوز به إلى رسول الله ﷺ.

المقطوع وهو غير المنقطع، وهو ما جاء عن التابعين موقوفاً عليهم من أقوالهم أو أفعالهم ولم يتجاوز به إلى الصحابة رضوان الله عليهم . مقدمة ابن الصلاح

واشتملت المقدمة على ستة نصوص، فصار مجموع ما في الكتاب تسعين نصاً (١)
أما الأبواب فهي التالية :

باب فضل حملة القرآن (٢) باب فضل من تعلم القرآن وعلمه (٣) باب فضل الاجتماع في المسجد لدرس القرآن (٤) باب ذكر أخلاق أهل القرآن (٥) باب أخلاق من قرأ القرآن لا يريد به إلا الله عزوجل (٦) باب ذكر أخلاق المقرئ إذا جلس يقرأ ويلقن لله عزوجل، ماذا ينبغي له أن يتخلق به (٧) باب ذكر أخلاق من يقرأ على المقرئ (٨) باب آداب القراء عند تلاوتهم القرآن مما لا ينبغي لهم جهله (٩).

ويلاحظ : أن الحال في النصوص الواردة في هذا الكتاب كالحال في النصوص الواردة في كتاب ابن أبي داود «المصاحف» والكتاب مع كونه يلمس جانباً مهماً في القراءات، بيد أنه يخلو من نصوص تتعلق بأداء كلمات القرآن أو رسم المصحف والله أعلم.

٧ - كتاب «الإبانة عن معاني القراءات» لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ).

يتحدث هذا الكتاب (١٠) عن حديث : «أنزل القرآن على سبعة أحرف» (١١) فاشتمل على بيان صلة القراءات السبعة بالأحرف السبعة، وعن إشتغال المصاحف العثمانية على جميع الأحرف السبعة أو أحدها فقط، أو

ص ٤١-٤٣.

(١) اعتمدت في هذه العدة على الطبعة التي حققها محمد عمرو بن عبداللطيف بإشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث - دارالكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

(٢) أخلاق أهل القرآن ص ٤٥.

(٣) ماسبق ص ٦١.

(٤) ماسبق ص ٦٩.

(٥) ماسبق ص ٧٧.

(٦) ماسبق ص ٨٧.

(٧) ماسبق ص ١١١.

(٨) ماسبق ص ١٣٥.

(٩) ماسبق ص ١٤٥.

(١٠) قال مكي بن أبي طالب في مقدمة كتاب «الإبانة»: «هذا كتاب أبين فيه - إن شاء الله - معاني القراءات وكيفيةها وما يجب أن نعتقد فيها، مع ما يتصل بذلك من فوائدها وغرائب معانيها وما علمت أن أحداً تقدمني إلى مثل كتابي هذا فيما جمعت وبيّنت فيه، أعظم الله عليه الأجر، وأكمل به الذخر، وجعله لوجهه خالصاً ولا جعله رياء ولا سمعة»هـ. الإبانة ص ٣١-٣٢.

(١١) الإبانة ص ٣٣.

مايحتمله الرسم منها مبينا الخلاف في ذلك (١) كما تحدث عن أقسام القراءات من جهة القبول (٢) وعن جمع القرآن وسببه وكيفية (٣) وبين السبب - من وجهة نظره - في اشتهاار القراء السبعة دون من هو فوقهم، والسبب في جعلهم سبعة (٤) ثم ذكر من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ (٥) وختم كتابه بالتمثيل لاختلاف القراء في سورة الفاتحة مما هو جزء من الأحرف السبعة (٦).

والواقع أن مكي رحمه الله استوعب الحديث عن الموضوع وبرع فيه ووفق فيه أيما توفيق، ولم يخل كتابه من لفتات جديدة بديعة، ونظرات ثاقبة في الموضوع مما جعل كتابه بحق معتمد دارسي القراءات والمشتغلين بالدراسات القرآنية (٧).

ويلاحظ : أن كتاب مكي جاء متخصصا في مباحث القراءات يتحدث عنه بصورة واضحة، ارتسمت لديه حقيقة العلم وهيئته ويحتاجه كل من يطالع علم القراءات، ويريد فهم خلفياته.

ولا غرو في ذلك فإن مكي بن أبي طالب له كتاب في القراءات السبعة اسمه «التبصرة» كما أن له كتابا في توجيه القراءات وكتابا في إعراب مشكل القرآن يأتي الهيئتين - إن شاء الله -.

-
- (١) الإبانة ص ٣٨-٤٩.
 - (٢) ماسبق ص ٥٧-٦٣.
 - (٣) ماسبق ص ٦٤.
 - (٤) ماسبق ص ١٠٢.
 - (٥) ماسبق ص ١٠٤.
 - (٦) ماسبق ص ١٣١.
 - (٧) مقدمة تحقيق «الإبانة» ص ٢٢.

وبعد هذه الجولة في بعض المصنفات المفردة لنوع من أنواع علوم القرآن والتي تشكل المراحل الأولى في تدوين علوم القرآن يلاحظ التالي :

(١) أن القراءات شغلت حيزا لا يستهان به في المصنفات الأولى في علوم القرآن وحق للقراءات أن تحظى بهذا الاهتمام لما لها من صلة مباشرة بالقرآن العظيم .

(٢) أن صور الاهتمام بالقراءات تنوعت، ولم تقتصر على جانب فرش الحروف وكيفية الأداء، مما أثرى المباحث المتعلقة بهذا العلم إثراء ظاهرا .

(٣) أن علم القراءات متداخل مع أنواع من علوم القرآن فهو يتداخل مع علم نزول القرآن، وعلم فواصل القرآن، وعلم متشابه القرآن، وعلم رسم القرآن، وعلم فضائل القرآن، وعلم آداب تلاوته، وأنواع أخرى. ولعل من أبرز تشابك القراءات مع علوم القرآن، هو تداخلها مع علم التفسير؛ فكيف كانت صورة هذا التداخل بين القراءات والتفسير في المدونات الأولى في التفسير؟.

هذا موضوع المطلب التالي - إن شاء الله - .

المطلب الثاني : القراءات في كتب التفسير .

لقد دونت جملة من النصوص المتعلقة بالقراءات في ثنايا المصنفات الأولى في التفسير؛ إذ أن أهم العناصر المرجوع إليها في تفسير القرآن العظيم بالإضافة إلى الروايات الواردة عنصريين يتصلان مباشرة باللفظ القرآني، هما :

(١) عنصر القراءة .

(٢) عنصر الإعراب .

وكان المفسرون الأولون مأخوذون بلزوم الالتفات إلى القراءات والاعتماد عليها، حتى أن رجحان قراءة من القراءتين يرجح أحد المعنيين المفروضين في تفسير الآية، وأن رجحان أحد المعنيين قد يرجح أيضا إحدى القراءتين على الأخرى، فكان عنصر القراءة الذي دخل في تفاسير القرن الثاني إستمداً للقضايا منقولة من علم القراءات أستخدمت في إيضاح المعاني وتقريرها (١).

والمقصود هنا إستعراض بعض الكتب المصنفة في قرون الإسلام الأولى لتفسير القرآن العظيم، لمعرفة مدى ما نقلته في ثناياها من نصوص تتعلق بالقراءات وكيفية تناولها فيها و إهتمامها بها غاية الإهتمام. ومن هذه الكتب :

١ - كتاب التفسير لسفيان بن سعيد الثوري (٢).

من أول المصنفات في تفسير القرآن العظيم (٣). يتضمن هذا الكتاب بضعا وستين نصا في القراءات (٤) ومن الأمور

(١) التفسير ورجاله ص ٢٣-٢٥.

(٢) سفيان الثوري هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي إمام كبير أحد الأعلام علما وعملا، توفي سنة ١٦١هـ بالبصرة. غاية النهاية ٣٠٨/١.

(٣) من الكتب المؤلفة في الموضوع كتاب «سفيان الثوري وأثره في التفسير» لهاشم المشهداني - دار الكتب للطباعة - بغداد - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

(٤) هذا حسب إحصائي الخاص من خلال «تفسير سفيان الثوري» المطبوع بتحقيق إمتياز عرشي، خلافا لما ذكره صاحب كتاب «سفيان الثوري وأثره في التفسير» ص ٢٨٦-٢٨٧ حيث قال: «أورد الثوري ١٣٢ رواية في القراءات في تفسيره، و ٥٠ رواية في القراءات نقلتها عنه المصادر الأخرى غير كتابه في التفسير» هـ بتصرف.

قلت : ويغلب على ظني أن العدة أنعكست عليه؛ فما عده في كتاب التفسير هو من

اللافتة للنظر ما يأتي :

- (١) إهتمامه بقراءة عبد الله بن مسعود، ويعبر عنها تارة بقوله: «كان أصحاب عبد الله يقرؤونها..» (١) أو يقول: «في قراءة عبد الله..» (٢).
- (٢) انفراده في مواضع بنقل قراءات عن عبد الله بن مسعود لم ينقلها عنه غيره (٣).
- (٣) نقله قراءات عن عبد الله بن عباس (٤) وعن مجاهد (٥) وعن غيرهما (٦) ولكنها قليلة بالنسبة لما ينقله عن ابن مسعود.
- (٤) وقفت له على نص وجه فيه معنى الآية باختلاف القراءات في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا تُلِّيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيِ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مريم: ٧٣.
- قال سفيان الثوري: «من قرأها: ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ (يعني: بضم الميم) فإنما يعني: مقامه الذي يقيم فيه الدهر، والذي يقرأها ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ (يعني: بفتح الميم) فإنما يعني المقامة التي يقيم فيها» اهـ (٧).

٢ - كتاب «معاني القرآن» لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ).

يهتم هذا الكتاب ببيان معاني المشكل من الآيات وبتوجيه القراءات

- حق عدة المصادر الأخرى، وما عده في المصادر الأخرى حقه كتاب التفسير والله أعلم.
- (١) تفسير الثوري ص ٤٤، ٤٧، ٦٥، ٦٧، ٨٠، ٨٢، ١٠٠، ١٣٢، ١٣٧، ١٤٣، ١٤٧، ١٦٤، ١٧٠، ١٧٨، ١٩٥، ٢٠١، ٢٢٤، ٢٧٢، ٢٧٤.
- (٢) ماسبق ص ٤٥، ٦٤، ١٠٠، ١٢٩، ١٣٤، موضعان ١٣٩، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٨، ١٦٧، ١٧٥، ١٩٣، ٢١٨، ٢٥٠ موضعان، ٢٥٢، ٢٦١، ٢٧١، ٢٧٢ موضعان ٢٧٤، ٢٨١، ٢٨٣.
- (٣) نبه على ذلك الأستاذ: إمتياز عرشي في تحقيقه لتفسير الثوري في مواضع منها في هامش ص ٤٤.
- (٤) تفسير الثوري ص ٥٣، ٥٦، ٧٢، ٨١، ١٢٠، ١٣٠، ١٨٤، ٢٢٤.
- (٥) ماسبق ص ٧١، ٢١٨.
- (٦) كقوله في تفسيره ص ٤١: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرأون..» وكقوله ص ٧٦: «قرأ الأسود (يعني: ابن يزيد)».. ونقل ص ١٨٤ قراءة عن أنس، ونقل ص ٨٢ قراءة عن أبي عبد الرحمن السلمي.
- (٧) تفسير الثوري ص ١٨٨.
- وبلاحظ : أن هذا الاتجاه من سفيان (أعني: توجيهه لمعنى الآية على القراءتين) قد سبقه إليه بعض التابعين كقتادة وغيره، وقد أشار إلى ذلك السيوطي في «الإتقان» (أبوالفضل) ٤/١٩٣-١٩٤.

اهتماما بينا، ويحتفل بالشاهد القرآني على القاعدة النحوية أكثر من احتفاله بالشاهد الشعري، فتراه يقول: «الكتاب (يعني: القرآن) أعرب وأقوى في الحجة من الشعر» اهـ (١).

ويلحظ الناظر في كتاب الفراء الأمور التالية :

(١) أنه يشير غالبا إلى القراءات بصيغ مختلفة لا يصرح فيها صراحة باسم صاحب القراءة كقوله: «قرأ بعضهم...» (٢) و «قرأ بعض القراء...» (٣) و «اجتمع القراء...» (٤) و «قرأت القراء...» (٥) و «قرأ بعض أهل المدينة...» (٦).

(٢) أنه يعين أحيانا أسماء بعض القراء كتصريحه مثلا بقراءة عبدالله بن مسعود (٧) وأبي بن كعب (٨) و عاصم (٩) ويحي بن وثاب (١٠) وعبدالله بن عباس (١١) و حمزة (١٢) والحسن البصري (١٣).

(٣) أنه يهتم بتوجيه القراءات نحويا وتفسيريا (١٤).

(٤) أنه مع احتفاله بالشاهد القرآني قد طعن في بعض القراءات كقوله: «وقد خفض الياء من قوله: ﴿... بِمَصْرُحِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] الأعمش ويحي بن وثاب جميعا، حدثني القاسم بن معن عن الأعمش عن يحي أنه خفض

(١) معاني القرآن للفراء ١٤/١.

ولذلك يُعدّ الفراء من الأوائل الذين نادوا بـ«أن القرآن أولى مما سواه عند تقعيد قواعد النحو» «نظرية النحو القرآني» ص ٣٨.

والفراء هو يحي بن زياد بن عبدالله بن منصور أبوزكريا الأسلمي النحوي الكوفي المعروف بـ«الفراء» شيخ النحاة توفي سنة ٢٠٧هـ. غاية النهاية ٣٧١/٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ٨٣، ١٩/١.

(٣) ما سبق ٨٣، ٧٢-٧١، ٢٨، ١٩، ١٤/١.

(٤) ما سبق ٣/١.

(٥) ما سبق ٨٣، ٧٧، ١٧، ٩/١.

(٦) ما سبق ٧٥/١.

(٧) معاني القرآن للفراء ٨٣، ٣١/١، ٤٣، ٥٣، ٥٥، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٧٥، ٧٨، ٧٩.

(٨) ما سبق ٧٥، ٧٣، ٤٣/١.

(٩) ما سبق ١٣، ٩/١.

(١٠) ما سبق ٧٨.

(١١) ما سبق ٧٥، ٦٤/١.

(١٢) ما سبق ٧٠/١.

(١٣) ما سبق ٧٠، ٢٤/١.

(١٤) هذا ظاهر في الكتاب - معاني القرآن للفراء - جميعه، من ذلك ٥، ٣/١، ١١، ١٣، ١٤.

الياء.

قال الفراء: «ولعلها من وهم القراء طبقة يحي فإنه قل من سلم منهم من الوهم، ولعله ظن أن الباء في ﴿... بمصرخي﴾ خافضة للحرف كله، والياء من المتكلم خارجة من ذلك» اهـ (١).

قلت : وهذه القراءة التي وهما الفراء رحمه الله هي قراءة حمزة (٢) ويظهر - والله أعلم - أن توهيم الفراء لهذه القراءة ولغيرها يدور حول أحد سببين :

الأول : عدم ثبوتها لديه.

الثاني : ثبوتها لديه مع قيام مانع عنده من قبولها.

ومما تجدر ملاحظته هنا أنه لا يوجد ما يدل على تواتر هذا الحرف عنده؛ وبالتالي لا يقال: إنه رد قراءة متواترة عنده والله أعلم.

٣ - كتاب «معاني القرآن» لسعيد بن مسعدة البلخي (الأخفش) (٣).

درس الأخفش في كتابه القرآن العظيم لغة ونحوا وقراءة ما أمكنته السبيل إلى ذلك؛ فكانت القراءات القرآنية ركنا من أركان مصنفه، شأنه في ذلك شأن غيره ممن درس القرآن العظيم.

ومجمل ما يلاحظه الناظر في كتاب الأخفش «معاني القرآن» من جهة القراءات يدور حول الأمور التالية (٤) :

- (١) يذكر الأخفش وجوها من الإعراب واللغة والأبنية، ويناقشها؛ إما مؤيدا وإما منكرا أو مسويا بين الأوجه أو مفضلا لبعضها على بعض، ويبيني ذلك غالبا على قراءات نقلت عن القراء أو بعضهم.
- (٢) ينكر الأخفش وجود قراءات يثبتها غيره، ويلاحظ أنها غالبا

(١) معاني القرآن للفراء ٧٥/٢ ومما يجدر التنبيه إليه هنا : أن الفراء حكم على القراءة بكسر الياء الثانية في: ﴿مُصْرَخِي﴾ أنها وهم، بينما ينقل عنه الداني في التيسير ص ١٣٤ أنه قال عنها: «هي لغة» وحكى صاحب دراسات لأسلوب القرآن ق ١ ج ١ ص ٢٣ عن الفراء أنه قال: «إنها لغة بني يربوع».

(٢) السبعة لابن مجاهد ص ٣٦٢ التيسير ص ١٣٤.

(٣) المجاشعي بالولاء البلخي ثم البصري أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط نحوي عالم باللغة والأدب توفي سنة ٢١٥ هـ. الأعلام ١٠١/٣.

(٤) استعرض محقق كتاب «معاني القرآن» للأخفش في دراسته للكتاب ٦٥/١-٨٢ القراءات في كتاب الأخفش وما ذكرته هنا مستفاد منه.

تكون من الشواذ.

(٣) يبني الأخفش اختياره للقراءات على أحد الأوجه التالية :

(أ) رسم المصحف .

(ب) لغات القرآن العظيم .

(ج) أساليب كلام العرب .

(د) أخذ أكثر القراء أو العامة منهم بها .

(هـ) ويراعي في ذلك التوجيه التفسيري للقراءة .

(٤) القراءة الغالبة في كتاب الأخفش هي قراءة عاصم برواية

حفص .

٤ - كتاب «تفسير غريب القرآن» (١) لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن

قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ).

تضمن هذا الكتاب كلاما على معاني غريب القرآن، ومن السمات

المشاهدة فيه كلامه على معاني الآية باعتبار القراءات ومن ذلك :

(١) في قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ البقرة : ١٠٤، قال : ﴿رَاعِنَا﴾

من رعيت الرجل إذا تأملته، وتعرفت أحواله... ومن قرأها: ﴿رَاعِنَا﴾

بالتنوين أراد اسما مأخوذا من الرعن والرعونة، أي: لاتقولوا حمقا

وجهلا» اهـ (٢).

(٢) في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُنشِرُهَا﴾ البقرة : ٢٥٩، قال : «بالراء أي:

نحييها... ومن قرأ ﴿نُنشِرُهَا﴾ بالزاي؛ أراد نحرك بعضها إلى بعض

ونزعجه» اهـ (٣).

(٣) في قوله تعالى : ﴿... تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ النساء : ١، قال :

«من نصب؛ أراد اتقوا الله الذي تساءلون به، واتقوا الأرحام أن

تقطعوها ومن خفض أراد الذي تساءلون به وبالأرحام» اهـ (٤).

ويلاحظ : أن ابن قتيبة لم يقتصر فيما يورده من قراءات على ما يوافق

الرسم منها، كما أنه لا يورد سند ما يورده من قراءات .

(١) طبع بتحقيق سيد أحمد صقر - دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ.

(٢) تفسير غريب القرآن ص ٦٠.

(٣) ماسبق ص ٩٥.

(٤) ماسبق ص ١١٨.

٥ - كتاب «التفسير» لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ).

من كتب التفسير بالمأثور.

تضمن جملة من النصوص في القراءات بلغ عددها ثلاثة عشر نصا (١) ويلاحظ مايلي :

(١) أنه يروي هذه النصوص بسنده، ومنها المقبول (٢) ومنها المردود (٣).

(٢) أنه نقل بعض القراءات الصحيحة السند المخالفة لرسم المصحف (٤).

(٣) أنه اكتفى بالرواية المجردة، فلم يعلق على القراءات بتوجيه تفسيري أو نحوي (٥).

٦ - كتاب «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ).

من كتب التفسير الجامعة بين الرواية والدراية .
يلاحظ الناظر في هذا الكتاب الأمور التالية :

(١) اهتمام الطبري رحمه الله بالقراءات إهتماما بينا ظاهرا، فهو يوردها ويوجهها نحويا وتفسيريا - غالبا - .

(٢) إهتم في تفسيره ببيان أثر القراءات في معاني الآيات .

(٣) يؤخذ على الطبري موقفه من بعض القراءات الذي يتلخص

(١) هذا من خلال الطبعة المحققة لتفسير النسائي ، وأرقام النصوص التي تضمنت القراءات

في هذا الكتاب هي : ١٥، ١٦، ٣٩، ٦٦، ٢٧٥، ٢٧٧، ٣٢٦، ٥٢٥، ٥٤٧، ٥٨٦، ٦٢٢، ٦٩٦ .

وقد أسقط المحققان الفاضلان من فهرس القراءات آخر الكتاب ٨٥٩/٢ النص رقم : ٢٧٧، ١٦ وذكر النص رقم ٧٣، ١٢٣ ولا علاقة لهما بالقراءات.

(٢) تفسير النسائي النص رقم : ١٥، ٣٩، ٦٦، ٢٧٥-٢٧٧ .

(٣) ماسبق النص رقم ٦١ وهو النص الضعيف الوحيد من ضمن النصوص التي أوردها النسائي في تفسيره حول القراءات.

(٤) ماسبق النص رقم ٥٤٧، ٦٩٦ .

(٥) وهذا يتمشى مع كون كتابه من كتب التفسير بالمأثور، ولو علق أو وجّه أو أعرب لعدّ كتابه من كتب التفسير الجامعة بين الرواية والدراية.

في الأمرين التاليين :

الأول : تفضيله بين القراءات الصحيحة (١).

الثاني : إنكاره لبعض القراءات الصحيحة (٢).

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) : « أول من نعلمه أنكر هذه القراءة وغيرها من القراءة الصحيحة وركب هذا المحذور ابن جرير الطبري بعد الثلاثئة، وقد عد ذلك من سقطات ابن جرير حتى قال السخاوي (٣) : « قال لي شيخنا أبو القاسم الشاطبي رحمه الله : إياك وطعن الطبري على ابن عامر ». اهـ (٤).

٧ - كتاب «معاني القرآن وإعرابه» (٥) لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ) .

تضمن هذا الكتاب تفسيراً لغوياً للقرآن الكريم بحسب ترتيبه، إهتم فيه بالقراءات وأثرها في تفسير القرآن العظيم ويلاحظ مايلي :

(١) أنه يهتم كثيراً بإيراد القراءات في تفسيره والإشارة إلى معانيها.

(٢) أن القراءات التي يوردها عرية عن السند، فقط يكتفي بعزوها إلى أصحابها.

-
- (١) وقد تكلم عن هذا الموقف عند الطبري د/ لبيب السعيد في كتابه «دفاع عن القراءات المتواترة» ص ٢٠-٢٢.
- (٢) دفاع عن القراءات المتواترة ص ٢٢-٢٤.
- (٣) كلامه في «جمال القراء» ٢/ ٤٣٤.
- (٤) النشر ٢/ ٢٦٤ وقد اهتم أهل العلم برصد هذا الاتجاه عند الطبري وغيره (أعني : إنكارهم لبعض القراءات). فألف ابن الجزري كتابه : «النشر في القراءات العشر» الذي تضمن أثناء كلامه على فرش الحروف الرد على أغلب من أنكر قراءة من العشر وكتب الدكتور/ لبيب السعيد كتابه : «دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبري المفسر» وكتب محمد عارف عثمان موسى الهري كتابه : «القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه من أول القرآن إلى آخر سورة التوبة» وكتب غيرهم أيضا في الموضوع كتابات متناثرة .

والحال في الطبري وغيره هو الحال الذي ذكرته في ابن قتيبة أعني : ما ذكرته من الأعذار في الذب عن ابن قتيبة يشمل أيضا الطبري رحمه الله جميعا وغفرلنا ولهم .

(٥) مطبوع بتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي - عالم الكتب - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

(٣) يهتم رحمه الله ببيان أن القراءة سنة متبعة لا يسوغ الاجتهاد والرأي فيها، من ذلك قوله :

(أ) - «... فأما القرآن فلا يقرأ فيه «الحمد» إلا بالرفع؛ لأن السنة تتبع في القرآن، ولا يلتفت فيه إلى غير الرواية الصحيحة التي قد قرأ بها القراء المشهورون بالضبط والثقة. والرفع القراءة» اهـ (١).

(ب) - «ولا ينبغي أن يقرأ بما يجوز (يعني: لغة) إلا أن تثبت به رواية صحيحة، أو يقرأ به كثير من القراء» اهـ (٢).

(ج) - «... فإن القراءة سنة، ولا يجوز أن يقرأ قارئ بما لم يقرأ به الصحابة أو التابعون، أو من كان من قراء الأمصار المشهورين في القراءة» اهـ (٣).

(٤) أنه يهتم ببيان معنى القراءات، فمن ذلك :

(أ) في قول الله تبارك وتعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ البقرة: ١٠، قال: «ويقرأ ﴿يَكْذِبُونَ﴾ فمن قرأ: ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بالتخفيف فإن كذبهم قولهم: إنهم مؤمنون، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] وأما: ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بالثقل فمعناه: بتكذيبهم النبي ﷺ» اهـ (٤).

(ب) في قوله تبارك وتعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ البقرة: ٦١، قال: «الأكثر في القراءة إثبات الألف، وقد قرأ بعضهم: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ قال: «لَكُمْ» بغير ألف؛ فمن قرأ: ﴿مِصْرًا﴾ بالألف فله وجهان:

جائز أن يراد بها مصرا من الأمصار؛ لأنهم كانوا في تيه.
وجائز أن يكون أراد مصر بعينها فجعل مصرا اسما للبلد فصرف.» اهـ (٥).

(ج) في قول الله تبارك وتعالى: ﴿... فَأَتَتْ أَكْثَرَهُنَّ﴾ البقرة: ٢٦٥، قال: «أي: ثمرها، ويقرأ: ﴿أَكْثَرَهُنَّ﴾ (يعني: بتسكين الكاف) والمعنى واحد» اهـ (٦).

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٥/١.

(٢) ماسبق ٥١/١.

(٣) ماسبق ٤٨٢/١.

(٤) ماسبق ٨٧/١.

(٥) ماسبق ١٤٤/١.

(٦) ماسبق ٣٤٨/١.

٨ - كتاب «معاني القرآن الكريم» (١) لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المعروف بـ «النحاس».

تضمن هذا الكتاب تفسيراً للقرآن بحسب ترتيب المصحف (٢) و يلاحظ الناظر فيه الأمور التالية :

(١) اهتمامه بنقل أقوال الصحابة والتابعين في تفسير القرآن العظيم.

(٢) لا يورد - غالباً - أسانيده فيما يسوقه من أحاديث وآثار.

(٣) عدم إقتصاره فيما يورده من قراءات على السبع أو العشر، بل يورد كذلك ما وافق الرسم وما خالفه.

(٤) اهتمامه ببيان معنى القراءات، وأثرها في الآية، فمن ذلك :

(أ) في قوله تبارك وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ...﴾ آل عمران: ١٨. قال النحاس: «... وقرأ الكسائي بفتح «أن» في قوله: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وفي قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران: ٨٤، ٩١ قال أبو العباس محمد بن يزيد: «التقدير على هذه القراءة: أن الدين عند الله الإسلام، بأنه لا إله إلا هو، ثم حذفت الباء... قال الكسائي: أنصبهما جميعاً بمعنى: شهد الله أنه كذا، وأن الدين عند الله الإسلام، ويكون أيضاً بمعنى: شهد الله أنه لا إله إلا هو أن الدين عند الله الإسلام. وقرأ ابن عباس فيما حكى الكسائي: «شهد الله إنه لا إله إلا هو» (يعني: بكسر همزة «إن»).

وقرأ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ والتقدير على هذه القراءة: شهد الله أن الدين الإسلام، ثم ابتدأ فقال: إنه لا إله إلا هو. وروى محارب بن دثار (٣) عن عمه أبي المهلب أنه قرأ - وكان قارئاً - «شهد الله». اهـ (٤).

(ب) في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ، وَلَيْسَ

(١) مطبوع بتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني - مطبوعات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ١٤٠٨ هـ.

والنحاس هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري أبو جعفر النحاس، مفسر أديب توفي سنة ٣٣٨ هـ. الأعلام ٢٠٨/١.

(٢) والموجود من هذا الكتاب ناقص من سورة البقرة وناقص من آخره.

(٣) محارب بن دثار السدوسي الكوي القاضي، كان من كبار العلماء عرض على أبيه عن عمر بن الخطاب، وروى عن جابر وابن عمر. غاية النهاية ٤٢/٢.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣٦٩/١ - ٣٧١.

الذِّكْرُ كَالْأُنْثَى) آل عمران: ٣٦، قال النحاس: «في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: قالت ربي إني وضعتها أنثى، وليس الذكر كالأنثى؛ فقال: الله عزوجل: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾». وقرأ أبو رجاء وإبراهيم النخعي وعاصم: «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ» (يعني: بفتح الواو والضاء وسكون العين المهملة). فعلى هذه القراءة ليس في الكلام تقديم ولا تأخير» اهـ (١).

هذا عرض مجمل للقراءات في بعض كتب التفسير في القرون الأربعة الأولى، وظهر من خلال ذلك مايلي :

- (١) اهتمام المصنفين في تفسير القرآن بإيراد القراءات .
- (٢) أن توجيه القراءات تفسيريا ونحويا ظهر مبكرا جدا بل وجدت نصوص تدل على قيام بعض الصحابة بتوجيه معنى الآية باعتبار اختلاف القراءات فيها.
- (٣) أنه وجد في بعض كتب التفسير اتجاه لإنكار بعض القراءات، كما وجد نحو ذلك في بعض كتب علوم القرآن (٢).
- (٤) أن القراءات التي كانوا يوردونها في مصنفاتهم في التفسير لم تقتصر على السبعة أو على العشرة، بل لم تقتصر كذلك على ما يوافق رسم المصحف منها (٣).
- (٥) ظهر بوضوح اهتمام السلف بأثر القراءات في التفسير.

-
- (١) معاني القرآن للنحاس ٤٨٧/١.
 - (٢) كما سبق في المطلب الأول لهذا المبحث فيما كتبه حول طعن ابن قتيبة في بعض القراءات.
 - (٣) ينظر بحث د/ عبدالفتاح شلبي: «أبوبكر بن مجاهد ومكانته في الدراسات القرآنية واللغوية» المنشور في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية العدد الخامس ص ٦٦-٦٨. وهذا (أعني: عدم حصر القراءات في عدد معين) كان سبيل المصنفين قبل الطبري ومعه كما أثبت ذلك د/ عبدالفتاح شلبي أيضا في بحثه «سببويه وبرأته من تهمة الطعن في القراءات» نشر ضمن مجلة بحوث كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى العدد الثاني ١٤٠٤هـ ص ٢٥-٣٥.

المبحث الثاني : القراءات في كتب الحديث .

اشتملت كتب الحديث بأنواعها (١) المختلفة على نصوص تتعلق بالقراءات سواء ما يتعلق بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها أم ما يتعلق بفضل وآداب تلاوته وتعلمه وتعليمه، فمن ذلك :

١ - مسند الامام أحمد ابن حنبل (٢) فقد تضمن نصوصا كثيرة جدا تتعلق بالقراءات (٣).

ومن هذه النصوص ما أخرجه بسنده (٤) عن أنس بن مالك : « أن رسول الله ﷺ قرأها : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ [المائدة: ٤٥] نصب النفس ورفع العين».

٢ - صحيح الامام البخاري (٥) تضمن نصوصا كثيرة تتعلق بالقراءات، وذلك في كتاب التفسير (٦) وكتاب فضائل القرآن (٧) من كتب

(١) حول أنواع كتب الحديث أنظر جامع الأصول ١/٤٣-٤٦ الحطة في ذكر الصحاح الستة ١١٨-١٢٨.

(٢) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي أبو عبدالله أحد الأئمة، ثقة حافظ فقيه مات سنة ٢٤١هـ. التقريب ص ٨٤.

فائدة : أثبتت همزة «ابن» عند ذكر اسم الإمام أحمد فكتبت : «أحمد ابن حنبل» مع أن الشائع عدم اثباتها وذلك لأن أهل العلم صرحوا بوجوب اثباتها في مواطن منها إذا أضيف إلى الأب الأعلى و «حنبل ليس هو الأب المباشر، فوجب إثباتها تنبيها إلى ذلك. أنظر خير الكلام في التفصي عن أغلاط العوام ص ١٣-١٤.

(٣) ويعلم ذلك من خلال مطالعة : «الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد ابن حنبل الشيباني» حيث تضمن الجزء الثامن عشر منه كل ما يتعلق بالقرآن الكريم من الفضائل والأحكام والقراءات وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والتفسير وغير ذلك وعدد أحاديثه ٥٤٩ حديثا، وبلغ عدد الأحاديث في أبواب تلاوة القرآن وآدابها وأبواب تحزيب القرآن وأوراده وتأليفه وجمعه وكتابه في المصاحف، وأبواب القراءات وجواز اختلافها؛ بلغ عدد الأحاديث في هذه الأبواب ١٢٦ حديثا من أصل ٩٤٥ حديثا تشتمل على التفسير وأسباب النزول والفضائل، ولاشك أنها تشتمل على كثير مما له علاقة بالقراءات والله أعلم.

(٤) مسند أحمد بترتيب البنا ٤٠/١٨. وهذه قراءة الكسائي. إرشاد المبتدي ص ٢٩٦.

(٥) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو عبدالله البخاري جبل الحفظ و إمام الدنيا في فقه الحديث توفي ببغداد سنة ٢٥٦هـ. التقريب ص ٤٦٨.

(٦) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٨/١٥٥-٧٤١.

(٧) ماسبق ٣/٩-١٠٣.

الجامع الصحيح.

ومن هذه النصوص ما أخرجه بسنده (١) عن إبراهيم قال: «قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدتهم، فقال: أيكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قال: كلنا قال: فأيكم يحفظ؟ وأشاروا إلى علقمة فقال: كيف سمعته يقرأ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ قال علقمة: «والذكر والأنثى» قال: أشهد أني سمعت النبي ﷺ يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدونني على أن أقرأ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [الليل: ٣] والله لا أتابعهم».

٣ - صحيح الإمام مسلم (٢) اشتمل على نصوص تتعلق بالقراءات ضمنها كتاب صلاة المسافرين وقصرها، وبُوب عليها النووي (٣) الأبواب التالية:

باب فضائل القرآن وما يتعلق به (٤) باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا وجواز قول أنسيتها (٥) باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (٦) باب نزول السكينة لقراءة القرآن (٧) ... باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (٨) باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ (٩) باب ما يتعلق بالقراءات (١٠).

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ باب ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ حديث رقم (٤٩٤٤).

(٢) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ثقة حافظ إمام مصنف عالم بالفقه مات سنة ٢٦١هـ. التقريب ص ٥٢٩.

(٣) نبّه النووي في مقدمة شرحه لصحيح مسلم ٢١/١ على أن مسلما رحمه الله رتب كتابه على أبواب، فهو مبوب في الحقيقة ولكنه لم يذكر تراجم الأبواب فيه لئلا يزداد بها حجم الكتاب أو لغير ذلك و بناء على هذا قام النووي رحمه الله بوضع تراجم لصحيح مسلم بحسب ما يرى أنه اللائق.

والنوي هو يحيى بن شرف الدين بن مري بن حسن الحزامي الحوداني النووي الشافعي أبو زكريا محي الدين علامة بالفقه والحديث (٦٣١-٦٧٦هـ). الأعلام ١٤٩/٨.

(٤) شرح صحيح مسلم للنوي ٧٥/٦.

(٥) ماسبق.

(٦) ماسبق ٧٨/٦.

(٧) ماسبق ٨١/٦.

(٨) ماسبق ٩٨/٦.

(٩) ماسبق ١٠٤/٦.

(١٠) ماسبق ١٠٨/٦.

ومن هذه النصوص ما أخرجه بسنده (١) عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ هذا الحرف: ﴿فهل من مدكر﴾ (يعني: بالذال) [القمر: ١٧].

٤ - أما الإمام أبوداود (٢) فقد عقد في سننه كتابا في القراءات أسماه «كتاب الحروف والقراءات» (٣) ويشتمل على أربعين حديثا .
ومن هذه النصوص ما أخرجه بسنده (٤) عن عبد الله قال : أقرأني رسول الله ﷺ : «إني أنا الرزاق ذو القوة المتين» (٥) [الذاريات: ٥٨] .

٥ - أما الإمام الترمذي (٦) فقد عقد في سننه كتابا للقراءات (٧) تضمن أحد عشر بابا اشتملت على ثلاثة وعشرين حديثا .
ومن هذه النصوص ما أخرجه بسنده (٨) عن أم سلمة قالت: «كان رسول الله ﷺ يُقَطِّع قراءته يقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يقف ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ١-٢] ثم يقف و كان يقرأها: ﴿ملك يوم الدين﴾ .»

-
- (١) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما يتعلق بالقراءات حديث رقم (٨٢٣).
 - (٢) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد السجستاني أبو داود ثقة حافظ مصنف من كبار العلماء مات سنة ٢٧٥هـ . التقريب ص ٢٥٠ .
 - (٣) سنن أبي داود ٢٧٧/٤ - ٢٩٧ .
 - (٤) سنن أبي داود كتاب الحروف والقراءات حديث رقم (٣٩٩٣) .
 - (٥) ورسم الآية كما في مصاحفنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ .
 - (٦) محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي أبو عيسى صاحب الجامع أحد الأئمة مات سنة ٢٧٩هـ . التقريب ص ٥٠٠ .
 - (٧) سنن الترمذي ١٨٥/٥ - ١٩٨ .
 - (٨) سنن الترمذي كتاب القراءات باب في فاتحة الكتاب حديث رقم (٢٩٢٧) .

ويلاحظ الناظر فيما احتوته كتب الحديث من القراءات الأمور التالية :

- (١) أن جميع ماورد فيها جاء مرويا بالسند إلى رسول الله ﷺ أو إلى أحد الصحابة رضي الله عنهم .
- (٢) أن النصوص المنقولة في كتب الحديث منها الصحيح ومنها المردود - هذا بالنظر إلى العموم، أما بالنظر إلى البخاري ومسلم فكل الروايات التي نقلها حول القراءات في كتابيهما صحيحة - .
- (٣) أن القراءات التي نقلتها كتب الحديث فيها جملة من القراءات صحيحة السند مخالفة لرسم المصحف كما اشتملت على نقل بعض القراءات المتواترة.
- (٤) أنها اشتملت على نصوص تتعلق بآداب التلاوة، ونصوص تتعلق برسم المصحف كما اشتملت على نصوص تتعلق بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها وغير ذلك مما له علاقة بالقرآن والقراءات.
- (٥) خلو كتب الحديث من توجيه الروايات؛ لأنها كتب رواية في المقام الأول ، تسند الأحاديث والآثار إلى قائلها مرفوعة أو موقوفة أو غير ذلك.

المبحث الثالث : القراءات في كتب النحو .

فيه مطلبان :

المطلب الأول : منزلة القراءات من النحو .

المطلب الثاني : موقف النحويين من القراءات .

المطلب الأول : منزلة القراءات من النحو .

يعتبر القرآن الكريم بقراءاته المتواترة والصحيحة والشاذة أصلاً أصيلاً بالنسبة للنحو العربي؛ فقد ارتبط النحو بالقرآن الكريم منذ نشأته إرتباطاً لم ينفك عنه ولن ينفك عنه.

وقد صرح بذلك العلماء سلفاً وخلفاً :

(١) يقول سيبويه (١) في قول الله تبارك وتعالى : ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف : ٣١] في لغة أهل الحجاز وبنو تميم يرفعونها إلا من درى كيف هي في المصحف اهـ (٢).

ويعلق الزركشي (ت ٧٩٤هـ) على كلام سيبويه بقوله: «وإنما كان كذلك لأن القراءة سنة مروية عن النبي ﷺ ولا تكون القراءة بغير ما روي عنه» اهـ (٣). (٢) ويقول سيبويه أيضاً: «فأما قوله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] فإنما هو على قوله زياداً ضربته، وهو عربي كثير. وقد قرأ بعضهم: «وَأَمَّا نُمُودَ فَهَدَيْنَاهُ» [فصلت: ١٧] إلا أن القراءة لا تخالف لأن القراءة السنة» اهـ (٤).

قلت : يعني أن لفظ «فهديناه» جاء مكان ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾. ومعنى كلمته هذه: أن للنحو مقاييسه التي ينقاس عليها لكن القراءة أثر

(١) سيبويه هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، أخذ النحو من الخليل بن أحمد، وصنف «الكتاب» الذي يعد أهم كتب النحو على الإطلاق توفي سنة ١٨٠هـ وله إثنان وثلاثون سنة.

وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح. الأعلام ٨١/٥.

(٢) الكتاب لسيبويه ٥٩/١.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٣٢٢/١.

(٤) الكتاب لسيبويه ١٤٨/١.

مروي ينبغي أن لا يدفعه قياس بله أن يقدم عليها (١).
(٣) قال الفراء (ت ٢٠٧هـ) : « الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر » اهـ (٢).

(٤) قال ابن خالوية (ت ٣٧٠هـ) : « قد أجمع الناس جميعا أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن لاختلاف في ذلك » اهـ (٣).
(٥) قال أبو الفتح ابن جني (ت ٣٩٢هـ) متحدثا عن القراءات وأنها تكون على ضربين: « ضرب اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، وهو ما أودعه أبوبكر أحمد بن موسى بن مجاهد رحمه الله كتابه الموسوم بـ «قراءات السبعة» وهو بشهرته غان عن تحديده.

وضرب تعدى ذلك؛ فسماه أهل زماننا شاذًا، أي: خارجا عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه ولعله أو كثير منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه»

وقال : «إلا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة به مخافة الانتشار فيه، ونتابع من يتبع في القراءة كل جائز رواية ودراية؛ فأننا نعتقد قوة هذا المسمى شاذًا وأنه مما أمر الله تعالى بتقبله، وأراد منا العمل بموجبه، وأنه حبيب إليه ومرضي من القول لديه.

نعم وأكثر ما فيه أن يكون غيره من المجتمع عليه عندهم عليه أقوى منه إعرابا وأنهض قياسا، إذ هما جميعا مرويان مسندان إلى السلف رضي الله عنه» اهـ (٤).

(٦) قال أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) : «وأئمة القراء لاتعمل في شيء من حروف القرآن على الألفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية.
إذا ثبت عنهم لم يرد لها قياس عربية ولا فشو لغة، لأن القراءة سنة متبعة، فلزم قبولها والمصير إليها» اهـ (٥).

(١) سيبويه وبراءته من تهمة الطعن في القراءات ص ٤٥ ضمن مجلة بحوث كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى - العدد الثاني ١٤٠٤هـ.

(٢) معاني القرآن للفراء ١٤/١.

(٣) بواسطة «المزهر في علوم العربية» ٢١٣/١.

(٤) المحتسب ٣٢-٣٣.

(٥) بواسطة «المنجد» ص ٦٥.

(٧) قال السيوطي (ت٩١١هـ): «أما القرآن فكل ما ورد أنه قريء به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترا أم أحادا أم شاذا. وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية، إذا لم تخالف قياسا معروفا، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه ولا يقاس عليه.

وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لأعلم فيه خلافا بين النحاة، وإن اختلف في الاحتجاج بها في الفقه» اهـ (١).

(٨) قال محمود شكري الألوسي (٢): «وأما قول ربنا تبارك وتعالى فهو أفصح كلام وأبلغه، فلا خلاف في جواز الاستشهاد بمتواتره وشاذه، كما بينه ابن جني في أول كتابه «المحتسب» وأجاد القول فيه» اهـ (٣).

هذه النقول تؤكد المكانة العالية الجليلة التي يُنَزَّل فيها علماء النحو القراءات؛ فهي أصل أصيل في النحو العربي.

(١) الاقتراح مع شرحه الإصباح ص٦٧-٦٨.

(٢) محمود شكري بن عبدالله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني، أبو المعالي مؤرخ عالم بالأدب والدين من الدعاة إلى الإصلاح (١٢٧٣-١٣٤٢هـ). الأعلام ١٧٢/٧.

(٣) إتحاف الأمجاد في ما يصح به الاستشهاد ص٧٦.

المطلب الثاني : موقف النحويين من القراءات .

أظهر المطلب السابق مدى المكانة التي تنزل فيها القراءات من النحو العربي، والسؤال هنا إذا كانت هذه منزلة القراءات من النحو العربي، فما موقف النحويين من القراءات ؟ .
وللجواب عن هذا السؤال عقد هذا المطلب.
جرى النحويون على الاحتجاج بالقراءات القرآنية، والاحتفال بها، فلا يوجد كتاب نحوي لم يستدل فيه بالقرآن وبقرآته المتنوعة.
وما نقل من طعن بعض النحويين في بعض القراءات محمول - عندي - على أحد سببين :

الأول منهما : أن القراءة لم تثبت لديهم بما تقوم به الحجة.
الثاني منهما : قيام اجتهاد منهم يؤجرون عليه أجرا واحدا غلب على ظنهم أن هذه القراءة خطأ و وَهْمٌ مِنْ أَحَدِ الرواة الذين نقل عن طريقهم هذا الحرف الذي طعن فيه (١).
ومجمل هذه الاجتهادات - التي تقوم لدى النحاة حين طعنهم في بعض القراءات - تعود إلى مايلي (٢) :

(أ) أنهم يحتكمون إلى ما وضعوه من قواعد وسنوه من قوانين قاصرة؛ لقصور واضعها من البشر، يمنعون بها جواز بعض الأساليب، فلحنوا ما جاء عليها من قراءات؛ كمنعهم الفصل في النثر بين المضاف والمضاف إليه (٣) ومنعهم عطف الاسم الظاهر على الضمير المخفوض من غير إعادة العامل (٤) ومنعهم نصب الفعل المضارع إذا وقع بعد الفاء ولم

(١) والحقيقة أن إحسان الظن بالنحويين واجب، ولا أتصور إنكار من أنكر منهم لبعض القراءات هكذا دون سبب وجيه قام لديه - بحسب نظره - والذي أقترحه في هذا الصدد أن يقوم بعض المتخصصين بدراسة استقرائية فيدرس أئمة النحو الذين نقل عنهم طعن في بعض القراءات ويستقريء هذه المواضع من كلامهم ويدرسها متلمسا للبواعث والأسباب وراء هذا الموقف في كل موضع على حدة وبالله التوفيق.

(٢) مستفاد من مقدمة الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة لكتابه «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» ق ١ ج ١ ص ٢٢-٢٥.

(٣) نظرية النحو القرآني ص ٧٨-٨٤.

(٤) مسبق ص ٧٤-٧٨.

يكن جواباً وقالوا: لا يكون فيه إلا الرفع (١)... الخ (٢).
(ب) خفاء توجيه بعض القراءات على بعض النحويين جره إلى التسرع في الحكم بتلحينها.

(ج) قصور نظر بعض النحاة على الشائع من اللغات وإغفال غيره.
(د) عدم مراعاة الأساليب البلاغية في أسلوب القرآن الكريم ففي قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ المائدة: ٢.

قطع أبو جعفر النحاس (٣) بأن هذه الآية نزلت عام الفتح سنة ثمان، والصد كان زمن الحديبية سنة ست، مخطئاً قراءة ابن كثير وأبي عمرو: ﴿إِنَّ صَدُّوكُمْ﴾ بكسر الهمزة وهما قراءتان سبعيتان (٤).

(هـ) في بعض الأحيان يزعم بعضهم أنه أحصى أوزان العربية فوجدها تخلو من بعض الأوزان، فيلحن ما جاء عليها من قراءات ففي قوله تبارك وتعالى: ﴿فَنَظَرُوهُ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ البقرة: ٢٨٠.
أنكر الأخفش (٥) قراءة ﴿مَيْسَرَةٍ﴾ بضم السين (٦) لأنه ليس في الكلام «مَفْعُل» بضم العين.

وقد شئع ابن حزم (٧) على النحاة الذين يردون بعض القراءات لمخالفتها. إلقاء بزعهم، ثم هم يثبتون اللغة بما هو دون القراءة فقال رحمه الله: «ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامريء القيس (٨) أو لزهير (٩) أو

(١) نظرية النحو القرآني ص ٩٢-٩٤.

(٢) ذكر مُصَنَّف كتاب «نظرية النحو القرآني» جملة من القواعد النحوية التي اعتمدها النحاة وردوا ما خالفها من القراءات ويصل عدد القواعد التي ذكرها - على سبيل المثال - إلى أربعين قاعدة.

(٣) إعراب القرآن للزجاج ٥/٢.

(٤) السبعة ص ٢٤٢ التيسير ص ٩٨.

(٥) معاني القرآن للأخفش ٣٨٩/١.

(٦) قرأ نافع بضم السين والباقون بفتحها. السبعة ص ١٩٢ التيسير ص ٨٤.

(٧) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام (٣٨٤-٤٥٦ هـ). الأعلام ٢٥٤/٤.

(٨) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، وأحد أصحاب المعلقة (ت نحو ١٣٠-٨٠ ق. هـ). الأعلام ١١/٢.

(٩) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مضر حكيم الشعراء في الجاهلية، أحد أصحاب المعلقة، وتعرف قصائده بالحواليات لأنه كان ينظم القصيدة ثم ينقحها في سنة (ت ١٣ ق. هـ). الأعلام ٥٢/٣.

لجربير (١) أو الحطيئة (٢) أو الطرماح (٣) أو لأعرابي أسدي (٤) أو أسلمي (٥) أو تميمي (٦) أو من سائر أبناء العرب بوال على عقبيه لفظاً في شعرٍ أو نثرٍ جعله في اللغة وقطع به ولم يعترض فيه؛ ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت إليه، ولا جعله حجة، وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه، ويتحيل في إحالته عما أوقعه الله عليه، وإذا وجد لرسول الله ﷺ كلاماً فعل به مثل ذلك.

وتالله لقد كان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم - قبل أن يكرمه الله تعالى بالنبوة وأيام كونه فتى بمكة بلاشك عند كل ذي مسكة من عقل - أعلم بلغة قومه وأفصح فيها وأولى بأن يكون ما نطق به من ذلك حجة من كل خندفي (٧) وقيسي (٨) وربيعي (٩) وإيادي وتيمي وقضاعي وحميري؛ فكيف بعد أن اختصه الله تعالى للنزارة واجتباة للوساطة بينه وبين خلقه وأجرى على لسانه كلامه وضمن حفظه وحفظ ما يأتي به؟» اهـ (١٠).

قلت : أسجل هنا الملاحظات التالية :

(١) القراءات حجة عند جميع النحاة حتى الذين نقل عنهم إنكار

(١) جربير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبى اليربوعي من تميم، أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، و كان عفيفاً و هو من أغزل الناس شعراً (٢٨-١١٠هـ). الأعلام ١١٩/٢.

(٢) جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو مليكة، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام كان هجاءً عفيفاً. الأعلام ١١٨/٢.

(٣) الطرماح بن حكيم بن الحكم، من طيء، شاعر إسلامي فحل، ولد ونشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة فكان معلماً فيها وكان هجاءً، اعتقد مذهب «الشراة» من الأزارقة (ت نحوه ١٢هـ). الأعلام ٢٢٥/٣.

(٤) هناك جملة من قبائل العرب النسبة إليها بـ«أسدي» وينظر في معرفتها معجم القبائل العربية ٢١/١-٢٥.

(٥) ينظر معجم القبائل العربية ٢٥/١-٢٦ في قبائل «أسلم».

(٦) هناك عدة قبائل النسبة إليها «تميمي» أنظر معجم القبائل العربية ١٢٥/١-١٣٣.

(٧) بطن من العدنانية، وهم بنو إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ينقسم إلى ثلاثة أفخاذ مدركة، طابخة، وقمعة.

وخندف زوج إلياس هي بنت حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة، عرف بنو إلياس بها فقبل لهم : خندف. معجم القبائل العربية ٤٠/١.

(٨) «قيس» أسم لقبائل أنظر معجم القبائل العربية ٩٧٠/٣-٩٧٣.

(٩) ينظر معجم القبائل العربية ٤١٨/٢-٤٢٦ في القبائل التي تنسب إلى «ربيع» و «ربيعة».

(١٠) الفصل في الملل والنحل ١٩٢/٣.

بعضها؛ لأن من أنكر منهم شيئاً من القراءات لم ينكرها إلا وقد قام لديه مانع من الأخذ بها - بحسب اجتهاده - أما مع عدم المانع فالقراءة عند الجميع حجة.

(٢) بالنسبة إلى موقف النحويين من القراءات، فإنه ينحصر في قسمين:

القسم الأول من القراءات : ارتضاه النحويون، ووافقوا عليه كما وافقوا على نظائره من كلام العرب، وهو القسم الأكبر ولله الحمد. القسم الثاني من القراءات : لم يرتضه^{بعض} النحويين فتأولوه (١) أو عارضوه معارضة صريحة أو خفية (٢) لسبب من الأسباب السابقة أو غيرها.

وبعد فأقف هنا وقفات سريعة أبين من خلالها نصيب القراءات من كتابين لعالمين في النحو أحدهما يمثل مدرسة البصرة والآخر يمثل مدرسة الكوفة.

١ - كتاب «الكتاب» لسيبويه.

(١) بلغت الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه تسعة عشر وأربعمئة شاهد^١ (٣) في حين بلغت الشواهد الشعرية خمسين وألفاً (٤). وهو يأتي بالشاهد القرآني ليدعم القاعدة الكلية التي بناها، وما ساقه من الجوازات عليها.

(٢) قلما ينسب سيبويه وجها من وجوه القراءة إلى من قرأ به .

(٣) رد سيبويه بعض القراءات رداً خفياً (٥) لم يصرح فيه

(١) انظر في ذلك كتاب «التأويل النحوي في القرآن الكريم» للدكتور/ عبدالفتاح أحمد الحموز - مكتبة الرشد - الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

(٢) نظرية النحو القرآني ص ٤٩.

والمعارضة الخفية : أن يذكر النحوي مثلاً يطابق قراءة مطابقة تامة ثم يعارضه دون أن يذكر نص الآية صراحة في هذه المعارضة، غير أن كل ما في المثال ينطبق على الآية تمام الانطباق. نظرية النحو القرآني ص ٥٨.

(٣) بإحصائي لها من خلال فهرس عبدالسلام هارون للكتاب ٢٨-٧/٥ .

(٤) هذا إحصاء أبي علي الجرمي، وأبي جعفر النحاس .

انظر مقدمة تحقيق «الكتاب» ٣٣/١ دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق ١ ج ١ ص ٦-٧.

(٥) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق ١ ج ١ ص ٤٩؛ نظرية النحو القرآني ص ٥٨-٥٩.

بالقراءة، من ذلك:

(أ) قوله: «وقد بلغنا أن أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون «نبيء» و «بريئه» و ذلك قليل رديء» اهـ (١). قلت: قرأ نافع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ التحريم: ١، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ البينة: ٧، قرأ نافع بتحقيق الهمز فيهما معا (٢).

ولعل العذر لسيبويه في هذا ما ذكره الرضي الاستراباذي (٣) في قوله: «ومذهب سيبويه أن ذلك رديء مع أنه قريء به، ولعل القراءات السبع عنده ليست متواترة» (٤) وإلا لم يحكم برداءة ما ثبت أنه من القرآن الكريم تعالى عنها» اهـ (٥).

(ب) ومن ذلك قول سيبويه: «والراء لاتدغم في اللام» اهـ (٦). قلت: قرأ أبوعمر من رواية السوسي عنه بإدغام الراء في اللام (٧).

٢ - كتاب «المقتضب» (٨) للمبرد.

(١) بلغت الشواهد القرآنية في كتاب المبرد (ت ٢٨٥هـ) «المقتضب» خمسمئة آية وتجاوزتها (٩) في حين بلغت الشواهد الشعرية واحدًا وستين وخمسمئة شاهد (١٠). (٢) وكان يبسط القول في بعض الآيات ويذكر بعض القراءات وتوجيهها أحيانا.

- (١) الكتاب لسيبويه ٥٥٥/٣.
- (٢) السبعة ص ١٥٧، ٦٩٣.
- (٣) محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي نجم الدين، عالم بالعربية من أهل «إستراباذ» من أعمال طبرستان توفي نحو ٦٨٦هـ. الأعلام ٨٦/٦.
- (٤) قد أثبت هذا وبينه د/ عبدالفتاح شلبي في بحثه «سيبويه وبرأته من تهمة الطعن في القراءات» نشر في بحوث كلية اللغة العربية - العدد الثاني ١٤٠٤هـ ص ١٩-٤٦.
- (٥) شرح شافية ابن الحاجب ٣٥/٣.
- (٦) الكتاب لسيبويه ٤٤٨/٤.
- (٧) النشر ٢٩٢/١، ١٣-١٢/٢.
- (٨) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي أبو العباس المعروف بـ «المبرد» (بفتح الراء المشددة عند الأكثر وبعضهم بكسر) إمام العربية ببغداد وأحد أئمة الأدب والأخبار (٢١٠-٢٨٦هـ). الأعلام ١٤٤/٧.
- (٩) مقدمة تحقيق «المقتضب» ١١٦/١.
- (١٠) مقدمة تحقيق المقتضب ١١٥/١.

(٣) رد المبرد (١) بعض القراءات ردا صريحا ، من ذلك :

(أ) قوله : «وقد قرأ بعض القراء بالإضافة ، فقال : ﴿ثَلَثَمِنَّةٍ سِنِينَ﴾ [الكهف : ٢٥] وهذا خطأ في الكلام غير جائز وإنما يجوز مثله في الشعر للضرورة» اهـ (٢).

قلت : والقراءة في قوله تعالى : ﴿ثَلَثَمِنَّةٍ سِنِينَ﴾ الكهف : ٢٥ ، بالإضافة قراءة حمزة والكسائي (٣).

(ب) ومن ذلك قول المبرد : «وأما قراءة من قرأ : ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعَ فَلْيَنْظُرْ﴾ [الحج : ١٥] فَإِنَّ الْإِسْكَانَ فِي لَامٍ ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾ جَيِّدٌ ، وَفِي لَامٍ ﴿لِيَقْطَعَ﴾ لَحْنٌ ؛ لِأَنَّ ﴿ثُمَّ﴾ مُفْصَلَةٌ مِنَ الْكَلِمَةِ ، وَقَدْ قَرَأَ بِذَلِكَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْحَضْرَمِيُّ» اهـ (٤).

قلت : القراءة بالإسكان في لامٍ ﴿لِيَقْطَعَ﴾ قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن كثير من رواية البزي (٥).

-
- (١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق ١ ج ١ ص ٥٤-٥٧ مقدمة تحقيق «المقتضب» ١/١١١-١١٤.
 - (٢) المقتضب ١٧١/٢.
 - (٣) السبعة ص ٣٨٩-٣٩٠ التيسير ص ١٤٣.
 - (٤) المقتضب ١٣٤/٢.
 - (٥) السبعة ص ٤٣٤-٤٣٥ التيسير ص ١٥٦.

خلاصة الفصل :

يتلخص هذا الفصل في النقاط التالية :

- (١) أن القراءات سُجِّلَت على هيئة قضايا مبنوثة في ثانيا كتب علوم القرآن والتفسير والحديث واللغة .
- (٢) تنوعت طرق التناول لمسائل علم القراءات ، فتارة تسجل بعض القضايا المتعلقة بكيفية الأداء (فرش الحروف) وتارة تسجل بعض القضايا المتعلقة بنقل القراءات والأحرف السبعة، وتارة تسجل بعض القضايا حول القراءات من خلال الذب عنها والرد على الطاعنين في القرآن العظيم، وتارة تسجل لبيان معنى تفسيري لآية قرآنية، وتارة تسجل لإثبات قاعدة نحوية ونحو ذلك.
- (٣) احتلت القراءات مكانة سامقة بين العلوم فلايكاد يوجد علم من علوم الشريعة وما يدور حولها إلا وتجد القراءات رافدا من روافده .
- (٤) أخذ على بعض أهل العلم طعنهم في بعض القراءات وهذا الموقف منهم ليس ردا لمكانة القراءات إنما يعود - حسب اجتهادي - لأحد أمرين :
- الأمر الأول : إمّا لأن القراءة لم تثبت عندهم بما تقوم به الحجة.
- الأمر الثاني : وإمّا أن يقوم لديهم مانع - بحسب إجتهادهم - يمنعهم من الأخذ بها، وهم في إجتهادهم مأجورون أجرا واحدا .
- (٥) القراءات أصل من الأصول التي يقوم عليها علم النحو العربي بإجماع علماء النحو.

الفصل الثاني : التدوين المفرد للقراءات.

القراءات كأى علم مرت بحالين في التدوين :
الحال الأولى : تدوين على شكل قضايا مبنوثة في ثنايا العلوم.
الحال الثانية : تدوين مفرد للعلم.

وقد سبق الحديث في الفصل الأول من هذا الباب عن الحال الأولى،
والآن موضع الحديث عن الحال الثانية - بمشيئة الله - .
يتحدث هذا الفصل عن المصنفات المفردة للقراءات، سواء كانت
مفردة لقراءة إمام بعينه أم كانت تجمع قراءة أكثر من إمام، وسواء كانت
قراءات مع التحرير والاختيار أم كانت بدون ذلك، وسواء كانت قراءات
مع التوجيه أم بدون ذلك.

ولذلك يتضمن هذا الفصل المباحث التالية :
المبحث الأول : الكتب المفردة لقراءة إمام .
المبحث الثاني : كتب القراءات الموسعة .
المبحث الثالث : كتب توجيه القراءات .

وإليك البيان :

المبحث الأول : الكتب المفردة لقراءة إمام .
تنوعت مناهج العلماء في أفراد قراءة إمام بعينه من أئمة القراءات ؛
فمنهم من أفرد قراءة إمام من أئمة القراءات برواياتها المختلفة، ومنهم
من أفرد قراءة إمام بروايتين فقط عنه، ومنهم من أفرد قراءة إمام باعتبار
رواية من الروايات عنه ، على ما نبينه فيما يلي:

أولاً : من المصنفات في قراءة عاصم :

- ١ - «قراءة حفص» (١) لأبي طاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم البزار البغدادي .
- ٢ - «رسالة في رواية حفص عن عاصم» (٢) لفائد بن مبارك الإبياري المصري.
- ٣ - «الثغر الباسم في قراءة عاصم» (٣) لأبي مصلح علي بن عطية العمريني الشافعي الأزهري (كان حيا سنة ١١١٨هـ).
- ٤ - «القول القاصم في قراءة حفص عن عاصم» (٤) لعبد الغني النابلسي.
- ٥ - «در الناظم في مفردات عاصم» (٥) لعمر بن محمد بن محمد .
- ٦ - «البيان الوفي بقراءة حفص عن عاصم الكوفي» (٦) لأحمد بن أحمد النشوي.

-
- (١) إيضاح المكنون ٢٢١/٢ .
وأبو الطاهر البغدادي أستاذ كبير إمام نحوي علم ثقة لم يكن بعد ابن مجاهد مثله (ت ٣٤٩هـ) . غاية النهاية ٤٧٥/١ .
 - (٢) مخطوط . يقع في ٢٨ ورقة منه نسخة في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض - قسم المخطوطات تحت رقم ١٠٠٤ . فهرس جامعة الإمام ٩٦/١-٩٧ .
والإبياري عالم بالسيرة والحديث حنفي المذهب مصري أزهري (ت بعد ١٠٦٣هـ) . الأعلام ١٢٥/٥ .
 - (٣) مخطوط . يقع في ١٣٦ ورقة منه صورة على شريط مصغر عن نسخة المكتبة الأزهرية برقم ٢٢٢٤٥/٢٣٨ موجودة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم ٥٦ قراءات . فهرس مخطوطات ومصورات مركز البحث العلمي التفسير وعلوم القرآن ٢٢٦/١ .
 - (٤) إيضاح المكنون ٢٥٠/٢ .
والنابلسي عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني شاعر عالم بالدين والأدب ، متصوف ، أكثر من التصنيف (١٠٥٠-١١٤٣هـ) . الأعلام ٣٢/٤ .
 - (٥) مخطوط . يقع في خمس ورقات ، منه نسخة في جامعة الإمام محمد بن سعود تحت رقم ١٠٢٥ . فهرس جامعة الإمام ٨١/١ .
 - (٦) مخطوط . يقع في ٣٥ ورقة منه صورة على شريط مصغر مصورة عن نسخة المكتبة الأزهرية ، بمركز البحث العلمي ٢٩ مجاميع قراءات . فهرس مخطوطات ومصورات مركز البحث العلمي (التفسير وعلوم القرآن) ٢١٧/١ .

٧ - «الرياض البواسم في رواية حفص عن عاصم» (١) لابن عزوز محمد مكي التونسي.

ثانيا : من المصنفات في قراءة نافع :

- ١ - «التقريب والحواشي لقراءة قالون وورش» (٢) لأبي الأصبع عيسى بن محمد بن فتوح الهاشمي البلنسي.
- ٢ - «القصيدة الحصرية في قراءة نافع» لأبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري (ت ٤٦٨هـ) وهي في تسعة ومئتين بيتا (٣).
- ٣ - «بلوغ الأمان في قراءة ورش من طريق الأصبهاني» (٤) لشهاب الدين أحمد بن بدر الدين أحمد العتبي (ت ٩٧٩هـ).
- ٤ - «المقرر النافع الحادي لقراءة نافع» (٥) لجمال الدين ناصر بن عبد الحفيظ بن عبد الله اليمني (ت ١٠٨١هـ).
- ٥ - «مختصر قراءة قالون عن نافع» (٦) لأبي محمد عبد الله بن أحمد ابن أسعد.
- ٦ - «مقرأ نافع بن عبد الرحمن المدني» (٧) لأبي عبد الله محمد بن

(١) إيضاح المكنون ٦٠٠/١.

وابن عزوز هو محمد مكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز الحسني الإدريسي المالكي التونسي، قاض فقيه باحث (١٢٧٠-١٣٣٤هـ). الأعلام ١٠٩/٧.

(٢) مخطوط . يقع في أربعين لوحة . ناقص ، منه صورة في جامعة الإمام محمد بن سعود تحت رقم ٥٩٥٩/ف . فهرس جامعة الإمام ٥٥/١.

وأبو الأصبع الهاشمي يعرف بابن المرابط نزيل بلنسية مقري بارع (ت ٤٠٣هـ) غاية النهاية ٦١٤/١.

(٣) كشف الظنون ص ١٣٣٧ وأنظر شروحا فيه ص ١٣٤٤.

والحصري أستاذ ماهر أديب حاذق صاحب القصيدة المشهورة :

يا ليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده

رقد السمار فأرقه أسف للبين يردده

غاية النهاية ٥٥٠/١.

(٤) إيضاح المكنون ص ١٥٩.

(٥) ماسبق ٥٤٥/٢.

(٦) مخطوط في ١٩ ورقة، منه صورة على شريط مصغر بمركز البحث العلمي تحت رقم ١١٥٤ . فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢/٢٩٣.

(٧) مخطوط يقع في ثمانين ورقة، منه صورة على شريط مصغر بمركز البحث العلمي تحت رقم ٦٩٨ . فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢/٣٠٧.

أحمد بن يوسف بن موسى .

٧ - «رسالة ورش» (١) لمحمد بن أحمد الشهير بـ«المتولي»

(ت١٣٣١هـ) وهي منظومة، يقول في أولها:

بدأت ببسم الله والحمد سائلا صلاة وتسليما على أشرف الملا
محمد الهادي الأمين وآله وأصحابه والتابعين ومن تلا
وبعد فهذا النظم فيه ذكرت ما يخالف ورش فيه حفصا فحصل
وذلك مما كان في «الحرز» واردا وأسأل ربي أن يوفقني علا

٨ - «النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام

نافع» (٢) شرح إبراهيم المارغني (ت١٣٤٩هـ) لمنظومة أبي الحسن سيدي علي
الرباطي.

٩ - «المطلوب في بيان الكلمات المختلف فيها عن أبي

يعقوب» (٣) لعلي بن محمد الضباع.

يقول في مقدمتها: «طلب مني كثير من الإخوان أصلح الله لي ولهم
الحال والشان أن أكتب ملخصاً أبين فيه ماصح في الكلمات المختلف فيها
عن أبي يعقوب الأزرق مما رواه عن ورش المصري على مامن طرق «الطبية»
تحرر وتحقق؛ لكثرة القارئین بطرائقه في بلادنا المصرية، وللإعتياد عليها بين
الناس في الأقطار المغربية والسودانية، ولما وقع فيها لأكثر القارئین بها
في هذا الزمان من التلفيق والالتباس؛ لجهلهم بما أخذها و مذاهب مؤلفيها،
وعدم إعتمادهم عند الأخذ على متين الأساس.

فاستخرت الله تعالى وطرقت أبواب «النشر» الكبير، وما حضرني من
أصوله و ما كتبه عليه الأئمة النحارير، ولخصت من أقوالهم الشريفة ما هو
في الآتي آت، وسلكت في التعبير طريقهم رجاء أن أدرج في سلكهم

(١) مطبوعة بمراجعة وتصحيح عامر السيد عثمان، بمكتبة ومطبعة: محمد علي صبيح
وأولاده بمصر.

(٢) مطبوع . بالمكتبة العتيقة تونس ١٣٥٤هـ.

(٣) مطبوع . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، وأتم تأليفه ليلة الأربعاء ١٦
رجب ١٣٤٨هـ صرح بذلك في ختامه .

والضباع هو علي بن محمد بن حسن بن إبراهيم الملقب بالضباع مصري علامة كبير
وإمام مقدم في علم التجويد والقراءات والرسم العثماني وضبط المصحف الشريف وعد
الآي وغيرها ولي مشيخة عموم المقاريء و الإقراء بالديار المصرية
(ت١٣٧٦هـ). ملحق الأعلام في كتاب «هداية القاري» ص٦٨٩.

المشمول بالبركات.

وسميته :

«المطلوب في بيان الكلمات المختلف فيها عن أبي يعقوب»

ورتبته على مقدمة ومقصد وخاتمة.

فالمقدمة في بيان طريقي الأزرق المختارتين في «النشر» ومآخذهما.

والمقصد في بيان الكلمات المختلف فيها عنه.

والخاتمة في التعريف بهذه المآخذ.

واقترنت في مباحث مواضع الخلاف على الأوجه التي وصلت إلينا

بالأسانيد الصحيحة وتركت ما سواها مما ذكره في «النشر» ولم يكن من

الطرق التي اختارها، وبينها في مقدمته الصريحة» اهـ (١).

١٠ - «نظم ما خالف فيه قالون ورشا» (٢) لعلي بن محمد الضباع

(ت ١٣٧٦هـ).

اقتصر فيه على طريق الشاطبية، وقال في ختامه: «من أراد إتمام

القراءة بقراءة إمام المدينة نافع ؛ فليرجع إلى كتابي «الأصديق فيما خالف

فيه الأصبهاني الأزرق» أو كتابي «النور الساطع في قراءة الإمام نافع». اهـ

١١ - «شرح رسالة قالون» (٣) لعلي الضباع (ت ١٣٧٦هـ).

قال في مقدمتها: «وبعد فهذا شرح مختصر على رسالة الأستاذ الفاضل

الشيخ: محمد بن سعودي المقرئ التي نظمها فيما خالف فيه الإمام

أبوموسى عيسى الملقب بقالون الإمام أباسعيد عثمان الملقب بورش من

طريق الشاطبية، وأسأل الله تعالى أن ينفع به كما نفع بأصله إنه جواد

كريم» اهـ

قلت : ومقدمة النظم هي :

يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةَ الْوَدُودِ	فَقِيرُهُ	مُحَمَّدٌ	سَعُودِي
الْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ	عَلَى	مُحَمَّدٍ	وَمَنْ
وَبَعْدُ فَخَذُ نَظْمًا لِقَالُونِهِمْ	مُخَالِفًا	مَا جَاءَ عَنْ	وَرَشِهِمْ
وَذَا مِنْ الَّذِي بَحْرُ الشَّاطِبِي	وَاللَّهُ	اسْتَعِينِ	وَهُوَ مُطَّلِبِي

(١) المطلوب في بيان المختلف فيها عن أبي يعقوب ص ٢، وقال في ختامه : «من أراد الزيادة

فعليه بـ «أسرار المطلوب» اهـ

(٢) مطبوع . ملحق بـ «المطلوب في بيان الكلمات المختلف فيها عن أبي يعقوب» ، وذكر في

ختامه أنه أتمه يوم الأحد ٨ ربيع الأول ١٣٤٩هـ .

(٣) مطبوع : بمكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر بدون تاريخ .

١٢ - «الطريق المأمون إلى أصول رواية قالون» (١) من طريق الشاطبية لعبد الفتاح السيد عجمي المرصفي حفظه الله تعالى.

قال في مقدمته : «لما كان طلاب المدارس القرآنية بالجمهورية الليبية وحفظه القرآن الكريم بها يحفظون القرآن العظيم ويقرءونه برواية قالون عن الإمام نافع المدني رضي الله عنهما؛ رأيت الحاجة ماسة إلى كتابة رسالة في أصول رواية قالون؛ ليتمكن الطلاب وحفظه القرآن من معرفة أحكام التلاوة وليكونوا بعيدين عن الخطأ والتحريف.

وقد توخيت في كتابتها سهولة الأسلوب ووضوح المعنى وتقريب البعيد وتجنب التعقيد بكل ما أمكن، وقد ذكرت فيها من القواعد والتحريرات مايساعد على الأداء الصحيح - إن شاء الله - وبينت فيها ما يجوز من الأوجه، وما يمتنع حتى لا يقرأ بالمنوع على أنه من الجائز، ونبهت فيها على الوجه المقدم في أحد الوجهين أو الوجوه عن قالون حسبما تلقيته عن مشايخي الأجلاء بالجامع الأزهر الشريف.

وقد ضمنتها الكثير من مسائل رسالتي في فن التجويد وخاصة فيما اتفق عليه الأئمة العشرة وذلك لاندراج قلوبهم فيهم.

وأما ما انفرد به قالون وحده أو شاركه بعض القراء في أصل من الأصول المطردة أو غير المطردة فاقصر على ما ذهب إليه الإمام قالون فقط؛ إذ هو المقصود بالذكر.

وقد التزمت في كتابة هذه الرسالة طريقة الشاطبية .

وقد رتبها على مقدمة وسبعة عشر مبحثاً (٢) وخاتمة، نسأل الله تعالى حسنها، فجاءت بحمد الله وافية بالمقصود جامعة للفوائد المنشودة» اهـ

ثالثاً : مما صنف في قراءة أبي عمرو :

١ - «قراءة أبي عمرو» (٣) لأبي زيد سعيد بن أوس الخزرجي (ت ٢١٥هـ) .

(١) مطبوع . مطبعة عيس البابي الحلبي وشركاه . الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ . راجعه عبد الفتاح قاضي .

(٢) المقدمة في التعريف بقالون وشيخه واسناد المؤلف .
أما المباحث فكمايلي : الأول : في الإستعاذة . الثاني : في البسملة . الثالث : في ميم الجمع وأحكامها . الرابع : في هاء الكناية وأحكامها وحالاتها . الخامس : في المد والقصر . السادس : في الهمزتين من كلمة . السابع : في الهمزتين من كلمتين ... وهكذا إلى المبحث السابع عشر : في ياءات الزوائد .

(٣) إيضاح المكنون ٢/ ٢٢١ .

- ٢ - «إفراد قراءة الإمام أبي عمرو بن العلاء» (١) لأبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري (ت ٤٧٨هـ).
- ٣ - «قراءة أبي عمرو» (٢) قصيدة لشهاب الدين أحمد بن وهبان (ت ٥٨٥هـ).
- ٤ - «رسالة في حرف أبي عمرو بن العلاء» (٣) لسعد الدين أبي سعد أسعد بن البصير (كان حيا في القرن السادس الهجري).
- ٥ - «أفراد قراءة أبي عمرو بن العلاء» (٤) لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي القاسم البجائي المغربي المالكي (ت ٨٦٥هـ).
- ٦ - «مختصر في مذهب أبي عمرو بن العلاء البصري» (٥) لمحمد بن سليمان المقرئ.
- ٧ - «القطر المصري في قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري» (٦) لسراج الدين أبي حفص محمد بن قاسم بن شمس الدين محمد الأنصاري .
- ٨ - «علم النصر في تحقيق قراءة إمام البصرة» (٧) لعبد الرحمن بن محمد الشهير بالقاضي.

-
- (١) مخطوط . يقع في ٢٦ لوحة، منه صورة بجامعة الإمام محمد بن سعود تحت رقم ٣٩٢٥ . فهرس جامعة الإمام ٣٨/١ .
- (٢) كشف الظنون ص ١٣٢٣، ١٣٤٣ .
- (٣) مخطوط . يقع في ١٧ ورقة، منه صورة بجامعة أم القرى - مركز البحث العلمي تحت رقم ٨٠ مجاميع قراءات . فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢٣٤/١ .
- (٤) مخطوط . يقع في ٦٣ ورقة، منه صورة بجامعة أم القرى - مركز البحث العلمي تحت رقم ٨٠٠ / علوم قرآن . فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢٤/٢ .
- (٥) مخطوط . يقع في ١٦ ورقة ، منه صورة بجامعة أم القرى - مركز البحث العلمي تحت رقم ١٤٨/قراءات . فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢٥٧/١ .
- (٦) مخطوط . يقع في ٣٩ ورقة، منه صورة بجامعة أم القرى مركز البحث العلمي تحت رقم ١٢٩/قراءات . فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢٥١/١ .
- (٧) مخطوط . يقع في ٨٠ ورقة، ومنه صورة بجامعة أم القرى - مركز البحث العلمي تحت رقم ١١٨/قراءات . فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢٤٨/١ .

رابعاً : مما صنف في قراءة حمزة :

- ١ - «قراءة حمزة الكبير» (١) لأبي طاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد ابن أبي هاشم البزار البغدادي (ت ٣٤٩هـ).
- ٢ - «قراءة حمزة» (٢) لأبي محمد عبد العزيز بن محمد بن الواثق البغدادي (ت ٣٥٠هـ).
- ٣ - «قراءة حمزة» (٣) لأبي عيسى بكار بن أحمد بن بكار البغدادي (ت ٣٥٢هـ).

- ٤ - «إتحاف الأعزة بتميم قراءة حمزة» (٤) لمحمد بن عبد الرحمن الخليجي (كان حيا سنة ١٣٦٨هـ) وهي أرجوزة أتم نظمها سنة ١٣٤٧هـ.
- ٥ - «رسالة حمزة» (٥) لمحمد بن أحمد الشهير بـ «المتولي»

(ت ١٣٣١هـ) وهي منظومة سماها «فتح المجيد» يقول في مطلعها :
 لَكَ الْحَمْدُ يَا مَنْ لِلْكِتَابِ قَدْ أَنْزَلَ
 عَلَى الْمُصْطَفَى مَنْ بِالْهَدَايَةِ أُرْسِلَا
 عَلَيْهِ صَلَاةَ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
 كَذَا الْآلِ وَالْأَصْحَابِ
 وَبَعْدَ فَخْذٍ يَأْصَحُ نَظْمِي قِرَاءَةً
 لِحَمْزَةٍ مِنْ حِرْزِ الْأَمَانِي مَفْصَلَا
 رَوَى الذِّكْرَ بِالِاتِّقَانِ عَنْهُ سَلِيمُهُمْ
 وَقُلْ : خَلْفَ عَنْهُ وَخِلَادٌ قَدْ تَلَا
 سَأُذَكِّرُ مَا قَدْ خَالَفُوا فِيهِ حَفْصُهُمْ
 وَمَا لَا فَلَا فَاحْفَظْ وَكُنْ مُتَأَمِّلَا
 وَسَمِيَّتُهُ «فَتْحُ الْمَجِيدِ» مُؤَمِّلَا
 بِهِ نَفْعٌ إِخْوَانِي وَدَعْوَةٌ مَنْ تَلَا
 وَبِاللَّهِ تَوْفِيقِي وَعَوْنِي وَنُصْرَتِي
 وَإِنِّي عَلَيْهِ لَمْ أَزَلْ مُتَوَكِّلَا
 ه - «الطريقة البهية في تحرير مازاده حمزة من الطيبة علي الشاطبية» (٦) لأحمد بن عبد الحميد شعبان.

يقول في مقدمتها: «هذه كلمات يسيرة جمعت فيها طريقة عزيزة الفتها شرحا على منظومة الإمام المحقق المحرر الضابط المتقن الراجي من الله حسن الأمانى الشيخ محمد بن إسماعيل الهمداني، مدرس بمعهد

(١) إيضاح المكنون ٢/٢٢١.

(٢) ماسبق .

(٣) إيضاح المكنون ٢/٢٢١.

(٤) مخطوط . في سبع ورقات بجامعة الامام محمد بن سعود تحت رقم ١٥٤٤ . فهرس جامعة الإمام ١/٣٣.

(٥) مطبوع . بمراجعة علي محمد الضباع . الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م - مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده - مصر .

(٦) مطبوع بمراجعة محمد إسماعيل الهمداني نشر المكتبة المحمودية التجارية - مصر .

القراءات الديني وشيخ مقرئة الجامع الأزهر.
تلك الرسالة تحتوي على قراءة حمزة بالسكت العام من طريق كتاب
«الكامل» الذي هو أصل من أصول الطيبة» اهـ

قلت : ومقدمة النظم :

بَدَأْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ رَبِّي أَوَّلًا وَصَلَّيْتُ تَعْظِيمًا عَلَى أَشْرَفِ الْمَلَا
مُحَمَّدَ الْهَادِي الْأَمِينِ وَصَحْبِهِ وَآلِهِ وَالتَّابِعِينَ وَ مَنْ وَلَا
وَبَعْدُ : فَخُذْ مَا زَادَ «نَشْرُ» لِحَمْزَةٍ لَدَى «كَامِلٍ» مِنْ أَصْلِ «طَيْبَةٍ» عَلَا

خامسا : مما صنف في قراءة ابن كثير :

١ - «الأثير في قراءة ابن كثير» (١) لأبي حيان محمد بن يوسف
الأندلسي (ت ٧٤٥هـ).

٢ - «الدر النثير في قراءة ابن كثير» (٢) لجلال الدين السيوطي
(ت ٩١١هـ).

٣ - «تسهيل العسير في قراءة ابن كثير» (٣) لأحمد بن محمد بن
عثمان البوزدي.

٤ - «النفح المسكي في قراءة ابن كثير المكي» (٤) لأبي عزوز محمد
مكي التونسي.

٥ - «البدر المنير في قراءة ابن كثير» (٥) لعلي بن محمد الضباع
(ت ١٣٧٦هـ).

سادسا : مما صنف في قراءة الكسائي :

١ - «قراءة الكسائي» (٦) لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي
(ت ١٨٩هـ).

(١) إيضاح المكنون ٢٤/١.

(٢) كشف الظنون ص ٧٣٥.

(٣) مخطوط . يقع في ٣٢ ورقة، منه صورة في جامعة أم القرى - مركز البحث العلمي تحت
رقم ٥٨٥ . فهرس التفسير وعلوم القرآن ٧٣/٢.

(٤) إيضاح المكنون ٦٦٨/٢.

(٥) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ص ٦٩٢.

(٦) مخطوط . يقع في ٢٢ ورقة، منه صورة بجامعة أم القرى - مركز البحث العلمي تحت
رقم ٨٢٩ . فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢١٨/٢.

- ٢ - «قراءة الكسائي» (١) لأبي طاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم البزار البغدادي (ت ٣٤٩هـ).
- ٣ - «قراءة الكسائي» (٢) لأبي عيسى بكار بن أحمد بن بكار البغدادي (ت ٣٥٢هـ).
- ٤ - «تقريب النائي في قراءة الكسائي» (٣) لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ).

سابعاً : مما صنف في قراءة يعقوب :

- ١ - «مفردة يعقوب» (٤) لأبي عمرو عثمان الداني (ت ٤٤٤هـ).
يقول في مقدمته : «سألتني - أيدك الله بتوفيقه - أن أرسم لك في هذا الكتاب قراءة أبي محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري، فيما خالف فيه نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني رحمة الله عليهما، من رواية عيسى بن مينا قالون عنه دون ما اتفقا عليه...» اهـ
وذكر قراءة يعقوب من روايتي روح ورويس عنه.
- ٢ - «مفردة يعقوب» (٥) لعبد الرحمن بن عتيق بن خلف بن الفحام (ت ٥١٦هـ).
- ٣ - «مفردة يعقوب» (٦) لأبي محمد عبد الباري بن عبد الرحمن الصعيدي (ت ٦٥٠هـ).
- ٤ - «غاية المطلوب في قراءة يعقوب» (٧) لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ).
- ٥ - «منظومة في قراءة يعقوب» (٨) لمحمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي (ت ٨٢٣هـ).

-
- (١) إيضاح المكنون ٢٢١/٢.
- (٢) ماسبق .
- (٣) ماسبق ٣١٤/١.
- (٤) مخطوط . منه نسخة في نور عثمانية - تركيا - تحت رقم ٤٥ ونسخة أخرى تحت رقم ٦٢. الإمام أبو عمرو الداني وكتابه «جامع البيان» ص ٥٧.
- (٥) كشف الظنون ص ١٧٧٣.
- (٦) ماسبق .
- (٧) ماسبق ص ١١٩٤.
- (٨) كشف الظنون ص ١٨٦٧.

ثامنا : مما صنف في قراءة إمام بعينه غير ما تقدم :

- ١ - «قراءة الأعمش» (١) لأبي ظاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم البزار البغدادي (ت ٣٤٩هـ).
- ٢ - «قراءة الأعمش» (٢) لأبي علي حسن بن داود النقاد الأموي الكوفي (ت ٣٥٢هـ).
- ٣ - «النير الجلي في قراءة زيد بن علي» (٣) لأبي علي الأهوازي (ت ٤٤٦هـ).
- ٤ - «قراءة ابن محيصن» (٤) لأبي علي الحسن بن محمد الأهوازي (ت ٤٤٦هـ).
- ٥ - «رواية ابن عامر في القراءات» (٥) لأحمد بن جعفر بن أحمد الغافقي المشهور بابن الأبرازي (ت ٥٦٩هـ).
- ٦ - «التذكار في قراءات أبان بن يزيد العطار» (٦) لمحمد بن محمد ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ).
- ٧ - «قراءة أبي عمر حفص بن عمر الدوري» (٧) لعبد الله بن محمد المدني المصري المعروف بالتركراوي .

-
- (١) إيضاح المكنون ٢/٢٢١.
 - (٢) ماسبق .
 - (٣) كشف الظنون ص ١٩٩٤.
 - (٤) ماسبق ص ١٣٢٢-١٣٢٣.
 - (٥) مخطوط . يقع في ٨٠ ورقة، منه صورة بجامعة أم القرى - مركز البحث العلمي تحت رقم ٨١٠. فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢/١٦٨.
 - (٦) مخطوط . يقع في خمس ورقات ، منه صورة بجامعة أم القرى - مركز البحث العلمي تحت رقم ٤١ مجاميع قراءات. فهرس التفسير وعلوم القرآن ١/٢٢١.
 - (٧) مخطوط . يقع في ٨٠ ورقة منه صورة بجامعة أم القرى - مركز البحث العلمي تحت رقم ٨١٦. فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢/٢١٧.

ولعل من أهم الملاحظات التي تسجل عن مجال التصنيف المفرد لقراءة
إمام بعينه الأمور التالية :

(١) أن القراء السبعة هم أكثر حظوة من غيرهم في أفراد قراءة
كل واحد منهم بمصنف.

(٢) أن الغالب على المصنفات المفردة لقراءة إمام بعينه المصنفة
بعد القرن السابع الغالب عليها الاقتصار على طريق الشاطبية.

(٣) أن القراءات الشاذة أفردت أيضا، بمصنفات، كما في قراءة
«ابن محيصن» وغيره.

(٤) اقتصار بعض المصنفات المفردة لقراءة إمام بعينه على طرق
وروايات بعينها عن الإمام صاحب القراءة، وعلى عكس ذلك مصنفات نقلت كل
ما يتعلق بقراءة الإمام دون قيد.

(٥) أن هذا النهج من التصنيف كان معروفا من بداية التصنيف
في القراءات واستمر إلى هذا العصر.

المبحث الثاني : كتب القراءات الموسعة .

سلك المصنفون في القراءات مناهج شتى ؛ فمنهم من أفرد قراءة إمام بالتصنيف، ومنهم من صنف في القراءات العشر والثمان والسبع والخمس وغير ذلك، ومؤلفو هذه المصنفات على قسمين:

القسم الأول : اشترط الأشهر واختار ما قطع به عنده؛ فتلقى الناس كتابه بالقبول، واجمعوا عليه في غير معارض.

القسم الثاني : ذكر ما وصل إليه من القراءات دون قيد (١) وإنما تساهلوا في الشروط والروايات.

وبناء على هذا الواقع اشتمل هذا المبحث على مطلبين :

المطلب الأول : كتب القراءات المحررة .

المطلب الثاني : كتب القراءات المرسلة .

المطلب الأول : كتب القراءات المحررة .

الكتب المحررة في القراءات التي يعتمد أصحابها على الأشهر المتلقى بالقبول عند الناس كثيرة، منها :

١- كتاب «السبعة» لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت٣٢٤هـ) وهو أول من سبغ السبعة وجرى من بعده على منواله، إلا النزر منهم (٢).

٢ - كتاب «الغاية في القراءات العشر» (٣) لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري المقرئ المصري (ت٣٨١هـ).

٣ - كتاب «التبصرة في القراءات السبع» لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ).

٤ - كتاب «التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ).

٥ - كتاب «الموجز في القراءات» (٤) لأبي علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي (ت٤٤٦هـ).

(١) المنجد ص ١٨-١٩.

(٢) أبوبكر ابن مجاهد ومكانته في الدراسات القرآنية واللغوية ص ٦٣-٩٢.

(٣) غاية النهاية ٤٩/١-٥٠ كشف الظنون ص ١١٨٩.

وقد طبع كتاب «الغاية» بتحقيق: محمد غياث الجنباز الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

(٤) المنجد ص ١٩ كشف الظنون ص ١٨٩٩.

- ٦ - كتاب «الكافي في القراءات السبع» (١) لأبي عبد الله محمد بن شريح بن أحمد الرعيني الاشبيلي (ت ٤٧٦هـ).
- ٧ - كتاب «التلخيص في القراءات» (٢) لأبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري (ت ٤٧٨هـ).
- ٨ - كتاب «إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات» (٣) لأبي العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسي الواسطي (ت ٥٢١هـ).
- ٩ - كتاب «غاية الاختصار في القراءات العشر لأئمة الامصار» (٤) لأبي العلاء حسن بن أحمد العطار الهمذاني (ت ٥٦٩هـ).
- ١٠ - كتاب «الإعلان في القراءات» (٥) لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد المجيد الصفراوي (ت ٦٣٦هـ).
- وغيرها من الكتب .

ومن هذه الكتب ما كان أصلا بنى عليه بعض المصنفين بعده كتباً محررة مثله ومن ذلك :

- ١١ - كتاب «الإقناع في القراءات السبع» لأبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن البازش (ت ٥٤٠هـ) حيث اعتمد هذا الكتاب على كتاب «التبصرة» لمكي بن أبي طالب وكتاب «التيسير» لأبي عمرو الداني.
- قال ابن البازش في مقدمة «الإقناع»: «وإني تأملت كتابي الشيخين الإمامين أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي وأبي عمرو عثمان بن سعيد القرشي رضي الله عنهما «التبصرة» و «التيسير» فالفيت معناهما للإسمية موافقا، وباطنهما للعنوان مرافقا؛ لأنهما قرباهما للمبتديء الصغير، وقصدا قصد التبصير والتيسير و طولاً مدى الكلام القصير و لأدرك عليهما بل لهما الدرك والسبق الذي لا يداني ولا يدرك، لكن في كتابيهما مجال للتهذيب ومكان للترتيب، فكم هناك من منفرد حيل بينه وبين أخيه، ونازح عن أمه وأبيه، ومنفصل عن فصيلته التي تؤويه.
- ولما طالت بهما الغصة ولاحت لي فيهما الفرصة، ورجوت أن أفوز

-
- (١) المنجد ص ١٩ كشف الظنون ص ١٣٧٩ وهو مطبوع في هامش كتاب «المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر» للنشار - الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
- (٢) المنجد ص ١٩ كشف الظنون ص ٤٧٩.
- (٣) المنجد ص ١٩ كشف الظنون ص ٦٦.
- (٤) ماسبق، وقال في كشف الظنون عنه: «اقتصر فيه على الأشهر من الطرق والروايات بشروط الأحرف السبعة، وجرده عن الشان مطلقا وقدم أبا جعفر على الكل، وقدم يعقوب على الكوفيين» هـ.
- (٥) المنجد ص ١٩ كشف الظنون ص ١٢٨.

باهتبالها، وأحرز ما يبقى من صيتهما وجمالها، استخرت الله تعالى في ضم الشكل الى شكله وجمع ما تشئت من شمله ورد النازح إلى أهله، في كتاب يسري في الآفاق نجما، ويكون كأحدهما حجما» اهـ (١).

١٢ - منظومة «حرز الأمانى ووجه التهاني» في القراءات السبع للقاسم بن فيرّه بن خلف بن أحمد الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) الذي نظم كتاب «التيسير» للدّاني (ت ٤٤٤هـ) وفي ذلك يقول الشاطبي :

وفي يسرها التيسير رمت اختصاره فأجنت - بعون الله - منه مؤملا (٢)
واشتهرت باسم الشاطبية وهي منظومة محررة في القراءات السبع تبعا لأصلها اشتغل بها علماء القراءات ووضع لها القبول بين الناس فكم من شارح لها (٣) وكم من مختصر لها (٤) وكم من زائد عليها فوائد وإشارات

(١) الإقناع في القراءات السبع ٤٨/١-٤٩.

(٢) حرز الأمانى ووجه التهاني ص ٦.

(٣) للشاطبية شروح كثيرة منها :

- «المهند القاضبي شرح قصيدة الشاطبي» لأبي العباس أحمد بن علي الأندلسي (ت ٦٤٠هـ تقريباً). كشف الظنون ص ٦٤٧.

- «فتح الوصيد في شرح القصيد» لعلم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣هـ). كشف الظنون ص ٦٤٧.

- «كنز المعاني شرح حرز الأمانى» لأبي عبدالله محمد بن أحمد المعروف بـ«شعلة» الموصلي (ت ٦٥٠هـ). كشف الظنون ص ١٠٦٥.

- «الفريدة البارزية في حل القصيدة الشاطبية» لأبي عبدالله المغربي محمد بن الحسن بن محمد الفاسي (ت ٦٥٦هـ). كشف الظنون ص ٦٤٨-٦٤٩.

- «المفيد في شرح القصيد» لعلم الدين قاسم بن أحمد اللورقي الأندلسي (ت ٦٦١هـ). كشف الظنون ص ٦٤٨.

- «كشف الرموز» شرح الشاطبية لتقي الدين يعقوب بن بدران الدمشقي الجرايدي (ت ٦٨٨هـ). كشف الظنون ص ٦٤٧.

- «كنز المعاني شرح حرز الأمانى» لبرهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت ٧٣٢هـ). كشف الظنون ص ٦٤٦.

- «العقد النضيد في شرح القصيد» لشهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بـ«السمين» الحلبي (ت ٧٥٦هـ). كشف الظنون ص ٦٤٨.

- «إبراز المعاني من حرز الأمانى» لأبي شامة عبدالرحمن بن إسماعيل الدمشقي (ت ٦٦٥هـ). كشف الظنون ص ٦٤٧.

- «سراج القاري» لعلاء الدين علي بن عثمان بن محمد المعروف بابن القاصح العذري البغدادي (ت ٨٠١هـ). كشف الظنون ص ٦٤٧.

(٤) للشاطبية مختصرات كثيرة منها :

- «حوز المعاني في إختصار حرز الأمانى» لجمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك النحوي (ت ٦٧٢هـ). كشف الظنون ص ٦٤٩.

- «مختصر الشاطبية» لعبدالصمد بن التبريزي (ت ٧٦٥هـ). كشف الظنون

وطرق وقراءات (١).

١٢ - «الكنز في القراءات العشر» (٢) لأبي محمد عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه الواسطي (ت ٧٤٠هـ) جمع فيه بين «الإرشاد» للقلانسي و «التيسير» للداني، وزاده فوائد.

ص ٦٤٩.

- «نظم در الجلا في قراءة السبعة الملا» مختصر الشاطبية لأمين الدين عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي (ت ٧٦٨هـ). كشف الظنون ص ٦٤٩.
- «مختصر الشاطبية» لبلال الرومي (ت (٢)). كشف الظنون ص ٦٤٩.
- (١) للشاطبية تتمات وزوائد عليها منها :
- «التكملة المفيدة لحافظ القصيدة» لأبي الحسن علي بن إبراهيم الكناني (ت ٧٢٠هـ). كشف الظنون ص ٦٤٩.
- «النظيرة» تكملة الشاطبية لأحمد بن علي بن أحمد ، ألهمداني (ت ٧٥٥هـ). كشف الظنون ص ٦٤٩.
- «تكملة الشاطبية في القراءات الثلاث» لشهاب الدين أحمد بن محمد بن سعيد اليميني الشرعبي (ت ٨٣٩هـ). كشف الظنون ص ٦٤٩.
- «الدر النضيد في زوائد القصيد» لمحمد بن يعقوب بن إسماعيل الأسدي المقدسي الشافعي (ت ٧٤٩هـ). كشف الظنون ص ٦٤٩، ٧٣٥.
- (٢) كشف الظنون ص ١٥١٩.

المنهج العلمي في الكتب المحررة :

وسأعمل هنا -إن شاء الله - على إبراز أهم معالم النهج الذي سار عليه بعض مصنفي هذه الكتب المحررة في القراءات وقد اخترت الكتب التالية لأهميتها ومزيتها في التحرير والتحقيق :

- (١) كتاب «السبعة» في القراءات لابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ).
- (٢) كتاب «الغاية» في القراءات العشر لابن مهران (ت ٣٨١هـ).
- (٣) كتاب «التبصرة» في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ).

- (٤) كتاب «التيسير» لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ).
 - (٥) كتاب «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ).
- وأقول وبالله التوفيق :

الكتاب الأول «السبعة» في القراءات .

لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت ٣٢٤هـ).

مكانة هذا الكتاب بإيجاز :

في تاريخ القراءات عدة معالم بارزة منها :

- (أ) جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
- (ب) نسخ المصحف على حرف في عهد عثمان رضي الله عنه .
- (ج) النقط والشكل ونحوها مما أدخل على رسم المصحف .
- (د) إتجاه العلماء الى جمع القراءات وافرادها بالتصنيف.
- (هـ) تسييع القراءات السبع على يد ابن مجاهد رحمه الله إذ يعتبر ابن مجاهد أول من جمع قراءات هؤلاء السبعة واقتصر عليهم فقط، وذلك في كتابه «السبعة» (١).

والواقع أن إمامة ابن مجاهد وتمكنه من علم القراءات كانا من الاسباب الرئيسة وراء هذا القبول الذي حظي به كتابه هذا بعد توفيق الله له.

وكان تأليف ابن مجاهد لكتاب «السبعة» على رأس المئة الرابعة وفي

(١) النشر ١/٢٤، ٣٤.

ذلك يقول علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ): «فلما كان العصر الرابع سنة ثلاثمئة وما قاربها كان أبوبكر بن مجاهد رحمه الله قد أنتهت إليه الرئاسة في علم القراءة وتقدم في ذلك على أهل ذلك العصر اختار من القراءات ما وافق خط المصحف ومن القراء بها ما اشتهرت عدالته وفاقت معرفته وتقدم أهل زمانه في الدين والأمانة والمعرفة والصيانة واختاره أهل عصره في هذا الشأن واطبقوا على قراءته، وقصد من سائر الأقطار وطالت ممارسته للقراءة والاقراء، وخص في ذلك بطول البقاء.

ورأى أن يكونوا سبعة تأنسا بهذه المصاحف الأئمة، ويقول النبي ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف من سبعة أبواب» (١) فأختار هؤلاء القراء السبعة وصنف كتابه في قراءاتهم واتبعه الناس على ذلك، ولم يسبقه أحد إلى تصنيف قراءة هؤلاء السبعة» اهـ (٢).

أهم مزايا هذا الكتاب :

لعل أهم مزايا هذا الكتاب هي مايلي :

(أ) ضبطه للروايات التي أوردها في كتابه .

(ب) تحريره لأوجه الخلاف .

(ج) تمييزه بين الطرق .

(د) وضوح عبارته وسلاسة أسلوبه .

(هـ) التلخيص والتقريب .

كما أن ابن مجاهد مهد للتأليف في الاحتجاج للقراءات بل فتح الباب فعلا؛ إذ أن ابن مجاهد احتج للقراءات في سورة الفاتحة من كتابه «السبعة» ثم وجد أن الكتاب سيطول فترك الاحتجاج، حيث يقول رحمه الله بعد ذكر اختلاف القراء في سورة الفاتحة، وتعليقه للقراءات: «استطلت ذكر العلل بعد هذه السورة وكرهت أن يثقل الكتاب، فأمسكت عن ذلك، وأخبرت بالقراءة مجردة» اهـ (٣).

محتويات الكتاب :

استفتح ابن مجاهد كتابه بمقدمة تحدث فيها عن حملة القرآن وتفاضلهم في ذلك، ومراتبهم في ضبطه وأرائه، مدعما كلامه في ذلك بآثار عن السلف

(١) حديث حسن . سبق تخريجه ص ١٣٩ .

(٢) جمال القراء ٤٣٢/٢ .

(٣) السبعة ص ١١٢ .

يرويه بأسانيده إليهم.

وأكد في هذه المقدمة على أصل أصيل في القراءات وهو التلقي والسماع والرواية عن رسول الله ﷺ (١).

ثم ترجم لأئمة القراء وأنسابهم وأساتذتهم وتلاميذهم وختم كلامه عن أحوال القراء السبعة بالتأكيد على أن القراءة سنة متبعة فقال عليه الرحمة والرضوان: «فهؤلاء سبعة نفر من أهل الحجاز والعراق والشام، خلفوا في القراءة التابعين واجمعت على قراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار التي سميت وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار إلا أن يستحسن رجل لنفسه حرفا شاذا فيقرأ به، من الحروف التي رويت عن بعض الأوائل منفردة، فذلك غير داخل في قراءة العوام، ولا ينبغي لذي لب أن يتجاوز ما مضت عليه الأئمة والسلف بوجه يراه جائزا في العربية، أو مما قرأ به قارئ غير مجمع عليه» اهـ (٢).

ثم بعد ذلك ذكر الأسانيد التي نقلت إليه القراءة عن أئمة أهل كل مصر من الأمصار التالية:

المدينة، مكة، الكوفة، البصرة، الشام (٣).

ثم ذكر بعد ذلك فرش الحروف واختلاف القراء في سور القرآن سورة سورة حتى ختم القرآن العظيم (٤).

روايات القراءات في كتاب «السبعة»:

حشد ابن مجاهد رحمه الله أسانيده في القراءات السبعة قراءة قراءة والملاحظة العامة التي أسجلها هنا أن ابن مجاهد لم يقتصر على رواية أو روايتين عن كل قارئ كما صنع أبو عمرو الداني رحمه الله في «التيسير»؛ ولكنه يذكر روايات وطرقا كثيرة، فمثلا:

ذكر لقراءة نافع خمس وعشرين رواية من خمسة عشر طريقا (٥).

وذكر لقراءة ابن كثير عشرة أسانيد مدارها على ثلاث روايات (٦).

وذكر لقراءة عاصم أحد عشر إسنادا غير أسانيد أخرى أشار إليها

(١) استغرقت هذه المقدمة من كتاب «السبعة» من ص ٤٥-٥٢.

(٢) السبعة ص ٨٧.

(٣) استغرق ذلك من كتاب «السبعة» ص ٨٨-١٠١.

(٤) وذلك من ص ١٠٤ إلى آخر الكتاب.

(٥) السبعة ص ٨٨-٩٢.

(٦) ماسبق ص ٩٢-٩٤.

ومدار الأسانيد الأحد عشر على أربع روايات (١).
وذكر لقراءة حمزة ستة أسانيد مدارها على خمس روايات (٢).

الكتاب الثاني «الغاية في القراءات العشر» :
لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري (ت ٣٨١هـ).
مكانة كتاب «الغاية» باختصار :

هذا الكتاب من أهم كتب ابن مهران ، وقد عده ابن الجزري من الكتب
المحررة في القراءات (٣) وهو من الكتب الجامعة لولا إيجاز وإختصار
شديد في الفاظه وعباراته .
محتويات الكتاب :

قدم ابن مهران لكتابه بقوله : «سألت أسعدك الله أن أجمع لك
القراءات التي قرأت بها لفظا بجميع الروايات التي وجدتها نقلا، مع ذكر
الأسانيد وأن اختصرها بالفاظ لطيفة وتراجم موجزة خفيفة، لتقرب على
متحفظها وتسهل؛ فلا تطول وتكثر فتثقل، فأجبتك مستعينا بالله...» اهـ (٤).
وبعد هذه المقدمة الموجزة ذكر أسانيده في القراءات التالية (٥) وهي :

- قراءة أبي جعفر .
- قراءة نافع .
- قراءة عبد الله بن كثير .
- قراءة أبي عمرو بن العلاء .
- قراءة عبد الله بن عامر .
- قراءة عاصم .
- قراءة حمزة .
- قراءة الكسائي .
- قراءة يعقوب .
- قراءة أبي حاتم السجستاني .
- قراءة خلف .

(١) السبعة ص ٩٤-٩٧ .

(٢) ما سبق ص ٩٧-٩٨ .

(٣) المنجد ص ١٩ .

(٤) الغاية في القراءات العشر ص ٢٣ .

(٥) استغرق ذلك من كتاب «الغاية» من ص ٢٣-٧٣ .

ثم ذكر اختلاف القراء في الفاتحة ثم البقرة، فالإدغام ثم ذكر الإمالة، وذكر بعدها كل سور القرآن الكريم حتى آخره وختم كتابه بذكر اختلاف القراء في حذف الياء وإثباتها.

روايات القراءات في كتاب «الغاية» :

حشد ابن مهران الأسانيد في مقدمة كتابه التي نقل بها القراءات التي أوردها في كتابه، والأمر معه كالأمر مع ابن مجاهد؛ إذ لم يكتف في القراءات التي أوردها على روايتين فقط بل زاد على ذلك في بعض القراءات، فمثلاً :

قراءة ابن كثير أورد سنده إلى رواية قنبل عنه وسنده إلى رواية البزي عنه، وسنده إلى رواية ابن فليح عنه(١).

وقراءة أبي عمرو بن العلاء أورد سنده إلى رواية اليزيدي عنه، ثم ساق عدة طرق لرواية اليزيدي عن أبي عمرو؛ فأورد سنده إلى رواية أبي عمرو الدوري عن اليزيدي عنه، ورواية أبي شعيب السوسي عن اليزيدي عنه، ورواية عامر بن عمر الملقب بـ «أوقيه» عن اليزيدي عنه، ورواية إبراهيم صاحب السجادة عن اليزيدي عنه ورواية أبي أيوب الخياط عن اليزيدي عنه، ثم ساق سنده إلى رواية أخرى من غير طريق اليزيدي وهي رواية شجاع عن أبي عمرو، ورواية العباس عن أبي عمرو(٢).

الكتاب الثالث «التبصرة» في القراءات السبع :

لأبي بمحمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي (ت ٤٣٧هـ).

أهمية الكتاب باختصار :

يعد من أهم الكتب المصنفة في هذا العلم؛ حيث جمع فيه ما تفرق في الكتب الأخرى، مع تحري الصحة، والضبط لما ينقل من القراءات، وقد عده ابن الجزري من الكتب المحررة في هذا العلم(٣).

محتويات الكتاب :

تحدث مكي في مقدمة كتابه عن الباعث لتصنيفه، وعن منهجه فيه فقال عليه

(١) الغاية ص ٣٣-٣٦.

(٢) الغاية في القراءات العشر ص ٣٧-٤٣.

(٣) المنجد ص ١٩.

من الله الرحمة والرضوان: «أما بعد : فإن أفضل ما تمسك به المتمسكون وتدبره المتدبرون واثم به المهتدون، ولجأ اليه المعتبرون كتاب الله العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (١) وقد رغب إلي راغبون في جمع كتاب في أصول القراءات وذكر ما اختلف فيه المشهورون من القراء ؛ فبادرت إلى ذلك لما رجوت من ثواب الله العظيم في انتفاع دارسيه من أهل القرآن؛ فخرجت في هذا الكتاب أربع عشرة رواية عن السبعة المشهورين،... .. ، فجمعت في هذا الكتاب من الأصول ما فرق في الكتب، وقربت البعيد فهمه على الطالب، واعتمدت على حذف التطويل، والاتيان بتمام المعاني مع الاختصار ليكون تبصرة للطالب وتذكرة للعالم، وسميته : «كتاب التبصرة».

وأخليت هذا الكتاب من كثرة العلل، جعلته مجردا من الحجة وربما أشرت إلى اليسير من ذلك لعله توجبه وضرورة تدعو اليه .

وقللت فيه الروايات الشاذة، وأضربت عن التكرار ليقرب حفظه على من أراد ذلك ولولا ما فرق في الكتب مما نحن جامعوه، وما عدم فيه القول مما نحن قائلوه وما صعب مأخذه على الطالب مما نحن مقربوه وما طول فيه الكلام لغير فائدة مما نحن موجزوه ومبينوه؛ لكان لنا عما قصدنا إليه شغل، وبما قد ألفه من تقدمنا من السلف الصالح رضي الله عنهم كفاية ومقنع، ونحن معترفون لهم بالفضل والتقدم لهم في العلم رحمة الله عليهم أجمعين» اهـ (٢). وبعد تقديمه هذا ذكر أسماء القراء السبعة ومن روى عنهم ممن سيذكره (٣) ثم ذكر أسانيده المتصلة بهؤلاء الأئمة السبعة (٤) ثم ذكر إتصال قراءة من ذكر من القراء بالنبي ﷺ (٥) ثم ذكر الاستعاذة والاختلاف في البسملة (٦) ثم ذكر اختلافهم في الفاتحة وسائر سور القرآن العظيم.

روايات القراءات في كتاب «التبصرة» :

صرح مكي رحمه الله في مقدمة كتابه بأنه خرج في هذا الكتاب أربع عشرة رواية عن السبعة المشهورين، واقتصر عند ذكره لأسانيده المتصلة

(١) اقتباس من سورة فصلت آية: ٤٢.

(٢) التبصرة ص ١-٤ باختصار.

(٣) ماسبق ص ٥-٢٥.

(٤) ماسبق ص ٢٦-٤٤.

(٥) ماسبق ص ٤٤-٧٤.

(٦) ماسبق ٧٥-٨٠.

إلى هؤلاء القراء على أقرب الطرق مما قرأ بأكثره ورواه، وترك ما عدا ذلك مما يتكرر الإسناد فيه لغير فائدة، ومما رواه ولم يقرأ به (١).

الكتاب الرابع «التيسير» في القراءات السبع :

لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني القرشي القرطبي (ت ٤٤٤هـ) .

أهمية الكتاب بإيجاز :

من أهم الكتب المصنفة في القراءات السبع ويتميز :

بالضبط في الرواية .

وتحرير أوجه الخلاف .

والتمييز بين الروايات .

ويسر أسلوبه وتقريبه لمسائل هذا العلم .

ويكفي للدلالة على أهمية الكتاب أنه الأصل الذي اعتمد عليه الشاطبي

في منظومته في القراءات «حرز الأمان» التي اشتهرت بين العلماء حتى

صار اسمها علما على علم القراءات.

محتويات الكتاب :

تحدث الداني رحمه الله في مقدمة كتابه عن الباعث له على تصنيفه وعن

منهجه فيه فقال عليه الرحمة والرضوان: «إنكم سألتُموني - أحسن الله

إرشادكم - أن أصنف لكم كتابا مختصرا في مذاهب القراء السبعة

بالأمصار - رحمهم الله - يقرب إليكم تناوله ويسهل عليكم حفظه ويخف عليكم

درسه ويتضمن من الروايات والطرق ما اشتهر وانتشر عند التالين، وصح

وثبت عند المتصدرين من الأئمة المتقدمين ، فأجبتكم إلى ما سألتُموه وأعملت

نفسي في تصنيف ما رغبتُموه على النحو الذي أردتُموه، وأعتمدت في ذلك

على الإيجاز والاختصار، وترك التطويل والتكرار، وقربت الألفاظ، وهذبت

التراجم ونهت على الشيء بما يؤدي عن حقيقته من غير استغراق لكي

يوصل إلى ذلك في يسر ويتحفظ في قرب، وذكرت عن كل واحد من القراء

روايتين...» اهـ (١).

وتقسيمه للكتاب يشابه ترتيب مكي بن أبي طالب في «التبصرة».

روايات القراءات في «التيسير» :

الداني جرى على نهج مكي في «التبصرة» فاكتفى في القراءات السبع بأربع عشرة رواية عن كل قارئ راويان (٢) فذكر عن :

- نافع رواية قالون وورش .

- وابن كثير رواية قنبل والبيزي عن أصحابهما عنه .

- وأبي عمرو رواية أبي عمر وأبي شعيب عن اليزيدي عنه .

- وابن عامر رواية زكوان وهشام عن أصحابهما عنه .

- وعن عاصم رواية أبي بكر وحفص .

- وحمزة رواية خلف وخلاد عن سليم عنه .

- والكسائي رواية أبي عمر وأبي الحارث.

وذكر بعض أسانيده التي نقلت إليه هذه القراءات والروايات (٣).

الكتاب الخامس «النشر في القراءات العشر» :

لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري
(ت ٨٣٣هـ) .

أهمية الكتاب بإيجاز :

كتاب «النشر» من أجمع الكتب المصنفة في القراءات مع التحرير والتدقيق ، وجمع الفوائد والفرائد حتى قال القسطلاني (ت ٩٢٠هـ) في وصف هذا الكتاب بأنه: «الذي لم يسبق إلى مثله» (٤).

والواقع أن كل مصنف في القراءات بعده عالة عليه .

محتويات الكتاب :

ذكر رحمه الله الباعث على تصنيف هذا الكتاب في قوله: «وإني لما رأيت الهمم قد قصرت، ومعالم هذا العلم الشريف قد دثرت، وخلت من أئمة الآفاق، وأقوت من موفق يوقف على صحيح الاختلاف والاتفاق، وترك لذلك

(١) التيسير ص ٢-٣ .

(٢) التيسير ص ٣ .

(٣) التيسير ص ١٠-١٦ .

(٤) اللطائف ٩١/١ .

أكثر القراءات المشهورة ونسي غالب الروايات الصحيحة المذكورة حتى كاد الناس لم يثبتوا قرآنا إلا ما في «الشاطبية» و «التيسير» ولم يعلموا قراءات سوى ما فيهما من النذر اليسير وكان من الواجب عليّ التعريف بصحيح القراءات والتوقيف على المقبول من منقول مشهور الروايات» اهـ (١).

ثم ذكر أنه عمد إلى القراءات والروايات والطرق وجمعها في كتاب يرجع إليه وسفر يعتمد عليه .

قال : «لم أدع عن هؤلاء الثقات الأثبات حرفا إلا ذكرته و لاخلافا إلا أثبته ولا إشكالا إلا بينته وأوضحته ولا بعيدا إلا قرّبته، ولا مفرقا إلا جمعته ورتبته منبها على ما صح عنهم وشذ وما انفرد به منفرد وفذ، ملتزما للتحرير والتصحيح والتضعيف والترجيح معتبرا للمتابعات والشواهد، رافعا إبهام التركيب بالعزو المحقق إلى كل واحد جمع طرق بين الشرق والغرب فروى الوارد والصادر بالغرب، وانفرد بالاتقان والتحرير واشتمل جزء منه على كل ما في «الشاطبية» و «التيسير»؛ لأن الذي فيهما عن السبعة أربعة عشر طريقا، وأنت ترى كتابنا هذا حوى ثمانين طريقا تحقيقا غير ما فيه من فوائد لا تحصى ولا تحصر، وفوائد دخرت له فلم تكن في غيره تذكر، فهو في الحقيقة نشر العشر.

ومن زعم أن هذا العلم قد مات.

قيل له : حييَّ بـ «النشر». اهـ (٢).

وقد قسم كتابه إلى مقدمة طويلة تكلم فيها عن تاريخ القراءات والمصنفات فيها وأهم المسائل المتعلقة بها (٣) ثم عقد بابا ذكر فيه أسانيده إلى الكتب التي روى عنها القراءات العشر (٤) ثم ذكر أسانيد القراءات والطرق في هذه الكتب (٥)، ثم ذكر فوائد تتعلق بمخارج الحروف وصفاتها وكيف ينبغي أن يقرأ القرآن من التحقيق والحدر والترتيل والتصحيح والتجويد والوقف والابتداء ملخصا (٦) ثم عقد بابا في

(١) النشر ١/٥٤.

(٢) النشر ١/٥٦-٥٧.

(٣) النشر ١/٢-٥٣.

(٤) ماسبق ١/٥٦-٩٨.

(٥) ماسبق ١/٩٨-١٩٠.

(٦) ماسبق ١/١٩٨-٢٤٣.

الاستعانة (١) ثم بابا في البسمة (٢) ثم ذكر اختلافهم في سورة الفاتحة (٣)
 ثم بابا في اختلافهم في الإدغام الكبير (٤) ثم بابا في هاء الكناية (٥) ثم بابا
 في المد والقصر (٦) ثم بابا في الهمزتين المجتمعتين من كلمة (٧) ثم بابا في
 الهمزتين من كلمتين (٨) ثم بابا في الهمز المفرد (٩) ثم بابا في نقل الهمز
 إلى الساكن قبلها (١٠) ثم بابا في السكت على الساكن قبل الهمز وغيره (١١)
 ثم بابا في وقف حمزة وهشام على الهمز (١٢).

وعقد بابا في الإدغام الكبير (١٣) وبابا في حروف قربت مخارجها (١٤)
 وبابا في أحكام النون الساكنة والتنوين (١٥) وبابا في مذاهبهم في الفتح
 و الإمالة وبين اللفظين (١٦) وبابا في إمالة هاء التأنيث و ما قبلها في
 الوقف (١٧) وبابا في ذكر تغليظ اللامات (١٨) وبابا في الوقف على أواخر
 الكلم (١٩) وبابا في الوقف على مرسوم الخط (٢٠) وبابا في مذاهبهم في
 ياءات الإضافة (٢١) وبابا في مذاهبهم في ياءات الزوائد (٢٢) و بابا في

(١) النشر ٢٤٣/١-٢٥٩.

(٢) ماسبق ٢٥٩/١-٢٧٠.

(٣) ماسبق ٢٧١/١.

(٤) ماسبق ٢٧٤/١.

(٥) ماسبق ٣٠٤/١.

(٦) ماسبق ٣١٢/١.

(٧) ماسبق ٣٥٧/١.

(٨) ماسبق ٣٦٨/١.

(٩) ماسبق ٣٩٠/١.

(١٠) ماسبق ٤٠٤/١.

(١١) ماسبق ٤١٩/١.

(١٢) ماسبق ٤٢٨/١.

(١٣) النشر ٢/٢.

(١٤) ماسبق ٨/٢.

(١٥) ماسبق ٢٢/٢.

(١٦) ماسبق ٢٩/٢.

(١٧) ماسبق ٨٢/٢.

(١٨) ماسبق ١١١/٢.

(١٩) ماسبق ١٢٠/٢.

(٢٠) ماسبق ١٢٨/٢.

(٢١) ماسبق ١٦١/٢.

(٢٢) ماسبق ١٧٩/٢.

بيان أفراد القراءات وجمعها (١) وبابا في فرش الحروف في سور القرآن سورة سورة حتى آخره (٢) ثم عقد بابا في التكبير وما يتعلق به (٣) ثم ختم الكتاب بالأمور المتعلقة بختم القرآن العظيم والدعاء وآدابه (٤).

الطرق والروايات في كتاب «النشر» :

حشد ابن الجزري رحمه الله الأسانيد في نقل القراءات على خطة دقيقة بديعة يقول في ذلك: «فعمدت إلى أثبت ما وصل إلي من قراءاتهم وأوثق ما صح لدي من رواياتهم من الأئمة العشرة قراء الأمصار، والمقتدى بهم في سالف الأعصار واقتصر عن كل إمام براويين وعن كل راو بطريقين وعن كل طريق بطريقين مغربية ومشرقية، مصرية وعراقية، مع ما يتصل إليهم من الطرق ويتشعب عنهم من الفرق» اهـ (٥).

وقال بعد أن ساق أسانيد القراءات: «واستقرت جملة الطرق عن الأئمة العشرة على تسعمئة طريق وثمانين طريقا حسبما فصل فيما تقدم عن كل راو راو من رواياتهم، وذلك بحسب تشعب الطرق من أصحاب الكتب» (٦).

ثم قال: «فهذا ما تيسر من أسانيدنا بالقراءات العشر من الطرق المذكورة التي أشرنا إليها، وجملة ما تحرر عنهم من الطرق بالتقريب نحو ألف طريق وهي أصح ما يوجد اليوم في الدنيا وأعلاه، لم نذكر فيها إلا من ثبت عندنا أو عند من تقدمنا من أثمتنا عدالته وتحقق لقيه لمن أخذ عنه وصحت معاصرته وهذا التزام لم يقع لغيرنا ممن ألف في هذا العلم» اهـ (٧).

(١) النشر ١٩٤/٢.

(٢) ماسبق ٢٠٦/٢-٤٠٤.

(٣) ماسبق ٤٠٥/٢.

(٤) ماسبق ٤٤٠/٢-٤٦٧.

(٥) ماسبق ٥٤/١.

(٦) ماسبق ١٩٠/١.

(٧) ماسبق ١٩٢/١-١٩٣.

بعد هذه الجولة الموجزة مع خمسة من كتب القراءات المحررة ، أسجل الملاحظات التالية :

- (١) أن جميع الكتب السابقة اعتمد أصحابها على الروايات والطرق الصحيحة المعتمدة عند أهل العلم.
- (٢) أن المصنفين جميعهم فيما سبق يؤكدون على أصل التلقي والرواية والسماع في القراءات ؛ وذلك من خلال ما يوردونه من أسانيدهم في القراءات في مقدمات كتبهم فيها.
- (٣) أن المصنفين في القراءات منهم من اقتصر على روايتين لكل قراءة ومنهم من لم يقتصر على ذلك كما رأينا مع ابن مجاهد وابن مهران عليهما الرحمة والرضوان.
- (٤) أبرزت هذه الجولة السريعة المختصرة تميز كتاب ابن مجاهد «السبعة» وكتاب ابن مهران «الغاية» وكتاب ابن الجزري «النشر» عن غيرها من الكتب المصنفة في القراءات.
- (٥) أن الكتب المحررة في القراءات لم تخرج عن القراءات العشر ؛ وذلك لما سبق تقريره من ^{أن} القراءات العشر متواترة متلقة بالقبول عند أهل العلم والله أعلم.

وإذا كان هذا هو الحال في الكتب المحررة في القراءات فما الحال في الكتب غير المحررة في القراءات ؟ .
جواب هذا السؤال في المطلب التالي .

المطلب الثاني : كتب القراءات المرسلة .

المقصود هنا الكتب المصنفة في القراءات المشتملة على أكثر من قراءة واكتفى أصحابها بمجرد النقل لما وصل إليهم دون قيد أو شرط.

من السبل التي سلكها المصنفون في القراءات سبيل الرواية المجردة، حيث يكتفي المصنف بإيراد ما وقع في روايته من القراءات دون اشتراط الصحة والشهرة أو أي قيد آخر مخالف أو مشابه، وهذه المصنفات مهمة جدا لا في القراءات فقط بل في التفسير واللغة أيضا؛ لأنها تنقل إلينا جملة كبيرة من النصوص التي اصطلح أئمة القراءات على تسميتها بالقراءات الشاذة كما أنها توقف الباحث على أسانيد هذه القراءات وتمكنه من النظر فيها ودراستها للحكم عليها.

ومما تجدر ملاحظته أن هذه الكتب اشتملت على جملة من القراءات الصحيحة أيضا مع اشتمالها على جملة من القراءات الشاذة، والباطلة أحيانا.

و سأذكر هنا بعض هذه الكتب مع ما تيسر لي الوقوف عليه من معلومات حولها، فمن ذلك :

١ - كتاب «القراءات» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) صنف كتابا في القراءات جمع فيه قراءة خمس وعشرين قارئاً مع القراء السبعة (١).

وأبو عبيد لا يسقط القراءة الشاذة - التي صح سندها وخالفت رسم المصحف - بل يرى أن القصد من إيرادها ونقلها هو تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها، وذلك على أدنى الأحوال (٢).

٢ - جزء فيه «قراءات النبي ﷺ» لأبي عمر حفص بن عمر الدوري (ت ٢٤٦هـ) ساق فيه الروايات على ترتيب سور القرآن سورة سورة.

(١) النشر ٣٤/١ كشف الظنون ص ١٤٤٩ وانظر ماسبق ص ١٦٨-١٧٠.

(٢) نقلت عبارته سابقا ص ١٢١-١٢٢ وانظرها في البرهان في علوم القرآن ٣٣٦/١-٣٣٨ الإتيان (أبو الفضل) ٢٢٨/١.

ويلاحظ ما يلي :

(١) أن ما أورده المصنف في هذا الجزء من قراءات لم يقصد بها القراءة التي يجب أن تقرأ لكونها أسندت إلى النبي ﷺ أو أنها اختيارات للمصنف، لكنه يسوق روايات وصلته عن جمع من شيوخه إلى النبي ﷺ منها صحيحة ومنها غير ذلك وربما صح بعضها إلى النبي ﷺ مع مخالفته لرسم المصحف (١).

(٢) في هذا الجزء قراءات سبعية متواترة رويت من طرق غير الطرق المشهورة التي قرأ بها أصحابها (٢) وهذا ظاهر من خلال تصفح روايات الجزء.

(٣) حينما نقارن عدد الروايات التي في هذا الجزء مع عدد الروايات في الكتب التي بوب أصحابها لقراءات النبي ﷺ نجد أن هذا الجزء يفوقها من حيث العدد، فمثلاً :

اشتمل كتاب «الحروف والقراءات» من سنن أبي داود على أربعين حديثاً.

اشتمل كتاب «القراءات» من سنن الترمذي على ثلاثة وعشرين حديثاً.

اشتمل كتاب «قراءات النبي ﷺ» من مستدرک الحاكم على عشر ومئة حديثاً.

بينما اشتمل هذا الجزء على ثلاثين ومئة رواية .

(٤) هذا الجزء هو الكتاب الوحيد المطبوع من المصنفات التي صنفت بعنوان : «قراءات النبي ﷺ» (٣).

٣ - كتاب «القراءات» لأبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد السجستاني (ت ٢٤٨هـ) (٤).

قال مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ): «قد ترك جماعة من العلماء في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة وأطرحهم قد ترك أبوحاتم وغيره ذكر حمزة والكسائي وابن عامر، وزاد نحو عشرين رجلاً من الأئمة ممن هو فوق

(١) مقدمة المحقق لهذا الجزء ص ٩.

(٢) ماسبق ص ٧.

(٣) من الكتب المصنفة في ذلك كتاب : «قراءة النبي ﷺ» لابن مجاهد. أنظر فهرست ابن النديم ص ٤٧ فهرست ابن خير الاشبيلي ص ٢٣.

(٤) غاية النهاية ١/ ٣٢٠ كشف الظنون ص ١٤٤٩.

هؤلاء السبعة» اهـ (١).

٤ - كتاب «القراءات» لإسماعيل بن إسحاق (ت ٢٨٢هـ) (٢).

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) عن إسماعيل بن إسحاق: «ألف كتابا في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماما منهم هؤلاء السبعة» اهـ (٣).

٥ - كتاب «القراءات» للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) (٤).

قال ابن الجزري متحدثا عن الطبري: «جمع كتابا حافلا سماه «الجامع» فيه نيف وعشرون قراءة» اهـ (٥).

قال مكي القيسي (ت ٤٣٧هـ): «زاد الطبري في كتاب «القراءات» له على هؤلاء السبعة نحو خمسة عشر رجلا (٦) من الصحابة والتابعين ومن دونهم» (٧).

قال الطبري في كتابه «القراءات»: «كل ما صح عندنا من القراءات أنه علمه رسول الله ﷺ لأمته من الأحرف السبعة التي أذن الله له ولهم أن يقرأوا بها القرآن؛ فليس لنا أن نخطيء من قرأ به إذا كان ذلك موافقا لخط المصحف، فإن كان مخالفا لخط المصحف لم نقرأ به، ووقفنا عنه وعن الكلام فيه» اهـ (٨).

٦ - كتاب «المنتهى في القراءات الخمسة عشر» للإمام محمد بن جعفر بن عبد الكريم أبو الفضل الخزاعي الجرجاني (ت ٤٠٨هـ) (٩).
يشتمل هذا الكتاب على مئتين وخمسين رواية (١٠).

(١) الإبانة ص ٣٩-٤٠.

(٢) غاية النهاية ١٦٢/١ كشف الظنون ص ١٤٤٩.

(٣) النشر ٣٤/١.

(٤) كشف الظنون ص ٥٧٦.

(٥) النشر ٣٤/١.

(٦) الإبانة ص ٤٠.

(٧) ماسبق ص ٥٩-٦٠.

(٨) انظر «الإبانة» ص ٦٠.

(٩) كشف الظنون ص ١٨٥٨.

(١٠) غاية النهاية ١٠٩/٢.

قال ابن الجزري عنه : «جمع فيه ما لم يجمع قبله» اهـ (١).

٧ - كتاب «الايضاح» (٢) و كتاب «جامع المشهور والشاذ» كلاهما لأبي علي حسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي (ت٤٤٦هـ).
قال ابن الجزري عن الأهوازي : «مؤلف «الوجيز» و «الايجاز» و «الايضاح» و «الاتضاح» و «جامع المشهور والشاذ» ومن لم يلحقه أحد في هذا الشأن» اهـ (٣).

٨ - كتاب «الكامل» في القراءات الخمسين لأبي القاسم يوسف بن علي الهذلي المغربي (ت٤٦٥هـ) (٤).
مكانة كتاب «الكامل» في القراءات بإيجاز :
تتلخص مكانة هذا الكتاب في أمرين إثنين هما :
جمعه لهذا العدد من القراءات .
تضمنه إختيار الهذلي من القراءة .
قال الهذلي : «وسئلت أن اختار إختيارا يوافق العربية والأثر والمعاني والأحكام فأجبتهم إلى ذلك» اهـ (٥).
محتويات الكتاب :

استفتح الهذلي كتابه بالكلام عن فضائل القرآن العظيم (٦) ثم عقد فصلا في فضل القاريء والمقريء وحامل القرآن (٧) ثم عقد فصلا آخر في أدب القاريء والمقريء (٨) ثم فصلا آخر في معنى القاريء والمقريء (٩) ثم فصلا في فضل المقرئين السبعة ومن تبعهم (١٠) ثم فصلا في ذكر قراء أهل

(١) النشر ٣٤/١ .

(٢) كشف الظنون ص ٢١١ .

(٣) النشر ٣٥/١ ، وانظر ترجمته في «غاية النهاية» ٢٢٠-٢٢٢ .

(٤) كشف الظنون ص ١٣٨١ .

(٥) الكامل (مخطوط) لوحة ٥٣/ب .

(٦) ماسبق لوحة ١ - ٤ .

(٧) ماسبق لوحة ٥/أ .

(٨) ماسبق لوحة ٦/ب .

(٩) ماسبق لوحة ٧/ب .

(١٠) ماسبق لوحة ٨/ب .

مكة (١) ثم فصلا في فضائل أهل الكوفة (٢) ثم فصلا في الأخبار الواردة أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ومعنى السبعة واختلاف الناس فيها على الاختصار (٣) ثم عقد عدة كتب كالتالي :

كتاب التجويد (٤) كتاب العدد (٥) كتاب الوقف (٦) كتاب الأسانيد (٧) كتاب الإمالات (٨) كتاب الإدغام وما يتعلق به (٩) كتاب الهمزة (١٠) كتاب المد والوقف لحمزة (١١) كتاب الياءات (١٢) كتاب الهاءات وميمات الجمع (١٣) كتاب التعوز والتسمية والتهليل والتكبير (١٤) كتاب الفرش (١٥).

وضمن كل كتاب مما سبق فصولا تبحث في مسأله .

روايات القراءات في كتاب «الكامل» :

جمع الهذلي في كتابه خمسين قراءة عن الأئمة والفا وأربعمئة وتسعة وخمسين رواية وطريقا (١٦).

قال الهذلي : «جملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمئة وخمسة وستون شيئا من آخر المغرب إلى باب «قَرْغَانة» يمينا وشمالا و جبلا وبحرا .

ولو علمت أحدا تقدم علي في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته»

وقال أيضا رحمه الله : «ألفت هذا الكتاب «الكامل» فجعلته جامعا للطرق

المتلوة والقراءات المعروفة ونسخت به مصنفاتي : «الوجيز»

(١) الكامل في القراءات (مخطوط) لوحة ٩/ب.

(٢) ماسبق لوحة ١٣/ب.

(٣) ماسبق لوحة ١٧/أ.

(٤) ماسبق لوحة ١٩/ب.

(٥) ماسبق لوحة ٢٤/أ.

(٦) ماسبق لوحة ٣٣/أ.

(٧) ماسبق لوحة ٣٨/ب.

(٨) ماسبق لوحة ٨٠/ب.

(٩) ماسبق لوحة ٩٥/ب.

(١٠) ماسبق لوحة ١١١/أ.

(١١) ماسبق لوحة ١٣٥/أ.

(١٢) ماسبق لوحة ١٤٠/ب.

(١٣) ماسبق لوحة ١٥١/أ.

(١٤) ماسبق لوحة ١٥٥/أ.

(١٥) ماسبق لوحة ١٥٧/أ.

(١٦) النشر ٣٥/١.

و«الهادي» اهـ (١).

٩ - كتاب «سوق العروس في القراءات» لأبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري نزيل مكة (ت ٤٧٨هـ) (٢).
أورد فيه خمسين وخمسمئة ألفا من الروايات والطرق (٣).

١٠ - كتاب «المبهبج في القراءات الثماني وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي» لعبد الله بن علي بن أحمد المعروف بسبط الخياط (ت ٤١١هـ) (٤).

١١ - كتاب «الجامع الأكبر والبحر الأزخر» لأبي القاسم عيسى بن عبد العزيز الاسكندري (ت ٦٢٩هـ) (٥).
يحتوي على سبعة آلاف رواية وطريق (٦).
قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) : «وفي الجملة فكتابه (يعني : الاسكندري) الذي جمعه وسماه «الجامع الأكبر» لم يجمع مثله في هذا الفن فانه لم يترك من القراءات شيئا قل ولا جل إلا نادرا من رآه رأى العجب» اهـ (٧).

أما بعد :

فهذه جملة من الكتب المصنفة في القراءات التي اكتفى أصحابها برواية ما وقع لهم من القراءات مجردا عن شرط أو قيد، فمن أراد التمييز بين الصحيح منها والشاذ فعليه بالرجوع إلى كتاب مقيد أو مقريء مقلد مجود (٨) والله أعلم .

(١) انظر غاية النهاية ٣٩٨/٢.

(٢) كشف الظنون ص ١٠٠٩.

(٣) النشر ٣٥/١.

(٤) كشف الظنون ص ١٥٨٢.

(٥) غاية النهاية ٦٠٩/١.

(٦) النشر ٣٥/١.

(٧) غاية النهاية ٦١١/١.

(٨) المنجد ص ١٩.

المبحث الثالث : كتب توجيه القراءات .

المقصود هنا الكتب المصنفة في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عن عللها وحججها .

من المسالك التي سلكها المصنفون في القراءات مسلك الاحتجاج لها ولعل الداعي إلى سلوك هذا النهج هو بيان وجه اختيار القارئ للقراءة بهذا الوجه و هو يساعد أيضا على دفع الشبه في نحور الملحدين كما يساعد على إثراء معاني القرآن العظيم أو ترجيح بعضها على بعض، ونحو ذلك (١) .

وقد قيل لابن المبارك (٢) : إن الكسائي قد وضع كتابا في إعراب القرآن مثل: « الحمد لله » (بضم الدال) و « الحمد لله » (بنصب الدال) و « الحمد لله » (بخفض الدال) فمن رفع حجته كذا ومن نصب حجته كذا ومن خفض حجته كذا .

فكيف ترى في ذلك؟ .

فقال ابن المبارك : إن كانت هذه القراءة قرأ بها قوم من السلف من القراء فالتمس الكسائي المخرج لقراءتهم فلا بأس به وإن كانت قراءة لم يقرأ بها أحد من السلف من القراء فاحتملها على الخروج على النحو؛ فأكرهه .

قال السائل لابن المبارك : ثم قَدِمْتُ بعد ذلك بغداد والكسائي حي، لقيت بها رجلا من أهل نيسابور يقال له: «مت» أخو حفص بن عبد الرحمن وكان من

(١) وقد سبق ملاحظة أن كتب «معاني القرآن» اهتمت بصورة واضحة بتوجيه القراءات ومعانيها، كما تجد ذلك في كتاب الفراء والأخفش .

وهذا التعليل أوجه - عندي - من القول: «إن التصنيف في ذلك إنما كان باعته إثبات حجية القراءة بالنحو»

وذلك لأن هذا القول عكس للواقع، إذ الواقع أن القراءات يحتج بها لا لها على قواعد العربية، وما ثبت بها أصل يرجع ويرد إليه ولا يرجع هو إلى غيره .

أنظر التمهيد الذي كتبه الشيخ سعيد الأفغاني في مقدمة تحقيقه لكتاب «حجة القراءات» لابن زنجلة ص ١٨-١٩ و ما كتبه د / عبدالفتاح شلبي في بحثه «الإحتجاج للقراءات بواعثه وتطوره وأصوله وثماره» ص ٧١ .

(٢) عبدالله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير توفي سنة ١٨١هـ . التقريب ص ٣٢٠ .

أعلم الناس بالنحو والعربية فأخبرته بقول ابن المبارك؛ فقال: أحسن أبو عبد الرحمن وأعجبه قوله.

وقال : ولكن أخبرك أن الكسائي يقول: إن هذه الوجوه كلها قراءة القراء من السلف» اهـ (١).

وهذا الخبر فيه بيان الخطوة الأولى في الاحتجاج للقراءات مع بيان الأصل الذي ينتبه إليه وهو كون القراءات توقيفية، فلا يصح أن يأتي أحد بأوجه من القراءة تحتلها العربية دون أن يكون له سند من الرواية والتلقي عن القراء من السلف.

ويمكن تلخيص المعالم الكبرى لتطور الاحتجاج للقراءات على النحو التالي (٢) :

الخطوة الأولى : في التخريجات الفردية التي قام بها بعض أهل العلم حينما احتجوا لبعض القراءات ووجهوها، وكشفوا عن عللها .
الخطوة الثانية : تتمثل في جمع القراءات المختلفة والبحث عن إسنادها حيث يعد البحث عن الإسناد ضرب من الاحتجاج .
الخطوة الثالثة : تتمثل في احتجاج المشاركة والمغاربة لسبعة ابن مجاهد أو الاقتصار على الانتصار لقاريء من السبعة، أو لأصل من أصول القراءات.
وهذا المبحث معقود لذكر الكتب التي تمثل الخطوة الثالثة في تطور الاحتجاج للقراءات حسب التسلسل الزمني فمن ذلك :

١ - كتاب «احتجاج القراء في القراءة» لشمس الدين محمد بن السري المعروف بابن السراج النحوي المصري (ت ٣١٦هـ).
مات قبل أن يتم كتابه (٣).

٢ - كتاب «احتجاج القراء في القراءة» (٤) لمحمد بن حسن بن يعقوب بن مقسم البغدادى النحوي (ت ٣٥٤هـ).

-
- (١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١٩٧/٢ .
(٢) الاحتجاج للقراءات بواعثه ... ص ٨٧ بتصرف، وهو قد بسط الكلام عن هذه الخطوات.
(٣) فهرست ابن النديم ص ٩٣ كشف الظنون ص ١٥ .
(٤) فهرست ابن النديم ص ٤٩ كشف الظنون ص ١٥ وذكر له ابن النديم الكتب التالية: «كتاب السبعة بعلمها» الكبير «كتاب السبعة» الأوسط، «كتاب الأصغر» ويعرف بـ «شفاء الصدور».

٣ - كتاب «الحجة في علل القراءات السبع» (١) لأبي علي حسن بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ) قام فيه بتوجيه القراءات السبع التي أوردها ابن مجاهد في كتابه (٢).

طريقته في كتابه بإيجاز :

كان الفارسي يبدأ بنص أبي بكر ابن مجاهد في كتابه «السبعة» في القراءات؛ فيذكر اختلاف القراء في الحرف الذي يريد بيان وجهه، مرتباً ذلك على ترتيب آي القرآن الكريم في الحروف التي وقع فيها الاختلاف، ثم يورد كلام أبي بكر بن السراج (ابن السري) ثم ينهي الحكاية عنه ثم يصدر إحتجاجة بكلمة: «قال أبو علي».

واهتم أبو علي بإيراد كلام ابن السري في كتابه «احتجاج القراء» حتى انتهى القدر الذي تركه وذلك عند قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ٢، وبعد هذه الآية يستقل أبو علي بالاحتجاج فلا يرد ذكر ابن السري.

ولا يعتمد أبو علي إلى اللفظ القرآني الذي وقع فيه الاختلاف بين القراء فيتحدث عنه مبيناً وجهه؛ بل يتناول الآية التي وقع فيها ذلك الحرف فيتحدث عن التفسير اللغوي لكلماتها، مستقصياً المعاني التي تحتملها هذه الكلمات، مورداً لكل معنى سنده من القرآن الكريم مستدلاً بأقوال أئمة اللغة السابقين ومستشهداً بما روي من الشعر جاهلياً وإسلامياً، وهكذا يمضي في الشرح اللغوي، ثم يتبعه بتصريف الكلمة - إن كانت تحتمل التصريف - ذاكرة الآراء المحتملة مستدلاً على كل رأي بما لديه من نصوص قرآنية وشعر وأقوال، ويذكر الرأي الذي يختار ويستدل عليه.

ثم يخلص من ذلك إلى الحديث فيما يتصل بذلك من مسائل النحو فيذكر آراء أئمة النحاة من أمثال الخليل (ت ١٧٥هـ) وسيبويه (ت ١٨٠هـ)

(١) طبع الجزء الأول منه بتحقيق علي النجدي ناصف وعبدالحليم النجار وعبدالفتاح شلبي - الهيئة المصرية - القاهرة ١٣٨٥هـ ثم توقف طبع الكتاب.

ثم بدأ في السنتين الأخيرتين طبعه بجهود محققين فاضلين من الشام يسر الله إتمامه وأعانهما عليه.

(٢) حتى أن محقق كتاب «السبعة» لابن مجاهد اعتبر أن في ثنايا كتاب «الحجة» للفارسي نسخة من كتاب ابن مجاهد، تنقص مقدمات الكتاب عن القراء السبعة وأسائدتهم وتلاميذهم وأسائيد ابن مجاهد إليهم. مقدمة تحقيق «السبعة» ص ٣٩.

والكسائي (ت ١٨٢هـ) والفراء (ت ٢٠٧هـ) والأخفش (ت ٢١٥هـ) والمازني (١) والمبرد (ت ٢٨٥هـ) وثعلب (٢) وينتصر لفريق دون فريق، ويرى الرأي ويعززه بالأدلة والشواهد من النقل والقياس وفي غضون كل بحث من هذه البحوث يستطرد بذكر قضايا ويستدل عليها حتى ينتهي من الفاظ الآية على هذا النحو لغة ونحوا وصرفا وتفسيرا واحتجاجا وتديلا، وقد يخلط ذلك كله بمسائل تتصل بالفقه والعقيدة والبلاغة، ثم يعود إلى إعراب الآية، وقد يذكر شيئا من الأصول النحوية التي بنى عليها توجيهه الاعرابي.

وبعد هذه الجولة الواسعة المتقسية المستطردة يعود إلى بيان وجه قراءة كل قارئ راجعا إلى أصل من أصول العربية (٣).

ولعل هذا التطويل الذي سلكه الفارسي في كتابه كان سببا في انصراف بعض الناس عن كتابه، وفي هذا يقول ابن جني (ت ٣٩٢هـ) تلميذ الفارسي: «إن أبا علي - رحمه الله - عمل كتاب «الحجة في القراءات» فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجفوه عنه كثير من العلماء» اهـ (٤).

٤ - كتاب «المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» (٥) لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ).

قال ابن جني رحمه الله : «اعلم أن جميع ما شذ عن قراءة القراء

(١) بكر بن محمد بن حبيب بن بقية أبو عثمان المازني إمام في العربية قوي في المناظرة من أهل البصرة توفي سنة ٢٤٩هـ وقيل غير ذلك . بغية الوعاة ص ٢٠٢ الأعلام ٦٩/٢.

(٢) أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولاهم البغدادي أبو العباس ثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة (٢٠٠-٢٩١هـ) . بغية الوعاة ص ١٧٢.

(٣) استفدت في عرض كتاب الفارسي وبيان منهجه في كتابه «الحجة» من كتاب «أبوعلي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير والعربية وآثاره في القراءات والنحو» ص ١٧٨-١٧٩.

(٤) المحتسب ٣٤/١ وقال أيضا ٢٣٦/١ : «وقد كان شيخنا أبوعلي عمل كتاب «الحجة» في قراءة السبعة فأغمضه وأطاله حتى منع كثيرا ممن يدعي العربية فضلا على القراءة منه، وأجفاهم عنه» اهـ.

ومن أجل هذا تمنى الشيخ سعيد الأفغاني لو أن أحدا عرض مادة كتاب «الحجة» - عرضا منسقا يفي بحاجة أهل العلم وطلابهم ويجنبهم في الوقت نفسه مكارهه - في جزء لطيف مقتصر فيه على ما يتعلق بتوجيه القراءات. مقدمة تحقيق «حجة القراءات» لابن زنجلة ص ٢٢.

(٥) مطبوع بتحقيق على النجدي ناصف وعبدالحليم النجار وعبدالفتاح شلبي ، وقدم لطبعته الثانية محمد بشير الادلبي - دار سزكين للطباعة والنشر - ١٤٠٦هـ.

السبعة - وشهرتهم مغنية عن تسميتهم - ضربان :

ضرب شذ عن القراءة عاريا من الصنعة، ليس فيه إلا ما يتناوله الظاهر مما هذه سبيله فلا وجه للتشاغل به، وذلك لأن كتابنا هذا ليس موضوعا على جميع كافة القراءات الشاذة عن قراءة السبعة، وإنما الغرض منه إبانة ما لطفت صفته، وأغربت طريقته.

وضرب ثان وهو هذا الذي نحن على سمته، أعني: ما شذ عن السبعة، وغمض عن ظاهر الصنعة، وهو المعتمد المعول عليه، المولى جهة الاشتغال به.

ونحن نورد ذلك على ما رويناه ثم على ماصح عندنا من طريق رواية غيرنا له، لا نألوأ فيه ما تقتضيه حال مثله من تأدية أمانته وتحري الصحة في روايته، وعلى أننا ننحي فيه على كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد رحمه الله الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءة، إذ كان مرسوما به محنو الأرجاء عليه وإذ هو أثبت في النفس من كثير من الشواذ المحكية عمن ليست له روايته، ولا توفيقه ولا هدايته» اهـ(١).

قلت : يلاحظ مايلي :

(١) أن القراءات الشاذة عند ابن جني هي ما وراء السبعة، فكتابه «المحتسب» مشتمل على جملة كبيرة من القراءات الثلاث المتممة للعشر، التي صحح أهل العلم تواترها مع السبعة في الجملة من طرقها المشهورة.

وبناء على هذا فإن كتابه يحتوي على توجيه جملة كبيرة من القراءات الثلاث المتممة للعشر.

(٢) أن عمدة ابن جني في القراءات الشاذة هو مصنف ابن مجاهد الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءة.

وعليه فإن كتاب «المحتسب» يحمل بين ثناياه نسخة من كتاب «شواذ القراءة» لابن مجاهد بدون المقدمة.

ومنهج «المحتسب» قريب من منهج «الحجة» لأبي علي الفارسي رحمه

(١) المحتسب ٣٥/١.

الله (١) لا يكاد يخالفه إلا بمقدار ما تقتضيه طبيعة الاحتجاج لقراءة الجماعة والقراءة الشاذة؛ فأبو الفتح يعرض القراءة ويذكر من قرأ بها، ثم يرجع في أمرها إلى اللغة، يلتبس لها شاهدا فيرويه، أو نظيرا فيقيسها عليه، أو لهجة فيردها إليها ويؤنسها بها، أو تأويلا أو توجيها فيعرضه في قصد و إجمال، أو تفصيل وافتنان على حسب ما يقتضيه المقام، ويتطلبه الكشف عن وجه الرأي في القراءة، وهو في الجملة أخذ بها واطمئنان إليها.

وربما وقع في نفسك من كثرة ما عدد من خصائصها واستخرج من لطائفها أنه يؤثرها ويحكم لها على قراءة الجماعة، كما تراه في إحتجاجة لقراءة الحسن «اهدنا صراطا مستقيما» الفاتحة: ٦ (٢).

وإن هو لم يجد للقراءة وجها يسكن إليه إما لشذوذه في اللغة، واما حاجته في الاحتجاج إلى ضرب من التكلف والاعتساف لم يتخرج أن يردها أو يضعف القراءة بها، لا يكاد يأخذها هي نفسها بهذا أو ذاك، ولكن يأخذ به الوجه الذي يتجه بها إليه فهو أخذ غير مباشر ولا صريح.

فقال مثلا في الاحتجاج لقراءة ابن محيصن : «ثم أطره إلى عذاب النار» البقرة: ١٢٦ بإدغام الضاد في الطاء، قال ابن جني رحمه الله: «هذه لغة مرذولة» اهـ (٣).

وقال في الاحتجاج لقراءة أبي جعفر يزيد : ﴿لِّلْمَلَائِكَةِ سُجْدًا﴾ (٤) البقرة: ٣٤ بضم التاء : «هذا ضعيف عندنا جدا» اهـ (٥).
وليس عجيبا ولا منكورا أن يتشابه كتاب «الحجة» وكتاب «المحتسب» في

(١) تجد فصلا كاملا في تأثر ابن جني في «المحتسب» بأبي علي ضمن كتاب «أبوعلي الفارسي حياته ومكانته...» ص ٢٢٧-٣٨٤.

(٢) المحتسب ٤١/١-٤٣.

(٣) المحتسب ١٠٦/١.

(٤) قرأ أبو جعفر من رواية ابن جمار ومن غير طريق هبة الله وغيره عن ابن وردان بضم التاء حالة الوصل، ووجه ذلك أنهم استثقلوا الانتقال من الكسرة الى الضمة اجراء للكسرة اللازمة مجرى العارضة، وذلك لغة «أزد شنوءة»، وعللها أبو البقاء: بأنه نوى الوقف على التاء فسكنها ثم حركها بالضم اتباعا لضم الجيم ولم يعتد بالساكن فاصلا، وهذا من اجراء الوصل مجرى الوقف، وروى هبة الله وغيره عن ابن وردان اشمام كسرتها الضم، ووجه الاشمام أنه أشار الى الضم تنبيها على أن الهمزة المحذوفة التي هي همزة الوصل مضمومة حال الابتداء، وصحح في النشر الوجهين عن ابن وردان، وقرأ باقي العشرة بالكسرة الخالصة على الجر بالحروف. انظر «النشر» ٢١٠/٢.

«الاتحاف» ص ١٣٤.

(٥) المحتسب ٧١/١.

المنهج على هذا النحو؛ فموضوعهما واحد، وصاحب «الحجة» أستاذ لصاحب «المحتسب» ووحدة الموضوع تستدعي تشابها في علاج مسأله، وللاستاذ في تلميذه تأثير، وللتلميذ في أستاذه قدوة.

على أن ابن جني كان يأخذ على كتاب «الحجة» إغماض أسلوبه، وطول الاحتجاج فيه حتى عي به القراء، وجفا عنه كثير من العلماء (١) فلم يشأ أن يكون في «المحتسب» كما كان شيخه من قبله في «الحجة» لهذا لا تراه يكثر مثله من الشواهد ولا يمعن إمعانه في الإسطراد، ولا يغمض إغماضه في الإحتجاج، وهو يذكر هذا وينبه عليه في مواطن شتى من الكتاب (٢).

هـ - كتاب «حجة القراءات» (٣) لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة من علماء القرن الرابع الهجري (٤).

في الاحتجاج للقراءات السبع .

انتهج ابن زنجلة في كلامه على القراءات الترتيب المعروف للسور من فاتحة الكتاب إلى خاتمة؛ فهو يذكر عنوان السورة، ثم يشرع في الكلام على الآيات التي فيها أوجه للقراءات على ترتيبها في السورة، فينسب كل قراءة إلى قارئها من السبعة ثم يذكر الحجة في قراءته، وينتقل إلى الوجه الآخر ذاكرًا الحجة فيه أيضا، وهو إذا وجد الحجة من القرآن نفسه بدأ بها، وإذا كانت الحجة في الحديث ذكره، كما يورد في ذلك الشعر والنثر من كلام العرب، ويورد كلام اللغويين والنحويين، حتى إذا فرغ انتقل إلى آية بعدها مما فيه وجوه مختلفة متجاوزا الآيات التي لا خلاف في قراءتها بين السبعة. ويمتاز كلامه وشرحه بالوضوح والإيجاز مكتفيا بأقل ما يقنع من الحجج، وإذا كان له اختيار ذكره بعد فراغه من عرض الوجوه المختلفة للقراءات الصحيحة (٥).

-
- (١) سبق نقل بعض نصوصه في ذلك أثناء الحديث عن كتاب «الحجة» لأبي علي الفارسي.
 - (٢) استفدت في بيان منهج ابن جني من مقدمة تحقيق «المحتسب» ١١/١-١٩.
 - (٣) مطبوع بتحقيق سعيد الأفغاني - مؤسسة الرسالة - الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ.
 - (٤) مقدمة تحقيق الحجة لابن زنجلة ص ٢٦.
 - (٥) استفدت في إيضاح منهج ابن زنجلة في كتابه مما كتبه محققه في مقدمته ص ٣٠-٣٦.
- وقد لاحظت أثناء مراجعاتي لهذا الكتاب أنه يكاد أن يكون تلخيصا لكتاب ابن خالوية (ت ٣٧٠هـ) «إعراب قراءات أهل الأمصار» والله أعلم بحقيقة الحال.
- وقد أبدت هذه الملاحظة لمحقق كتاب ابن خالوية الدكتور/ عبد الرحمن ابن عثيمين

٦ - كتاب «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» (١)

لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ).

يتحدث مكي في مقدمة كتابه هذا فيقول : «كنت قد ألفت بالمشرق كتابا مختصرا في القراءات السبع في سنة إحدى وتسعين وثلاثمئة وسميته «كتاب التبصرة» وهو فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورون، وأضربت فيه عن الحجج والعلل ومقاييس النحو في القراءات واللغات طلبا للتسهيل، وحرصا على التخفيف ووعدت في صدره أنني سأؤلف كتابا في علل القراءات التي ذكرت في ذلك الكتاب «التبصرة» (٢)، أذكر فيه حجج القراءات ووجوهها وأسميته: «كتاب الكشف عن وجوه القراءات» ثم تطاولت الأيام وترادفت الأشغال عن تأليفه وتبيينه ونظمه الى سنة أربع وعشرين وأربعمئة..... وهأنذا حين أبدأ بذلك - أذكر علل ما في أبواب الأصول، دون أن أعيد ذكر ما في كل باب من الاختلاف؛ إذ ذاك منصوص في الكتاب الذي هذا شرحه، وأرتب الكلام في علل الأصول على السؤال والجواب.

- ثم إذا صرنا إلى فرش الحروف ذكرنا كل حرف ومن قرأ به وعلته حجة كل فريق.

- ثم أذكر اختياري في كل حرف، وأنبه على علة إختياري لذلك كما فعل من تقدمنا من أئمة المقرئين» اهـ (٣).

٧ - كتاب «الجمع والتوجيه لما انفرد به الإمام يعقوب» (٤) لشريح

بن محمد الرعيني (ت ٥٣٩هـ).

٨ - كتاب «الكشف في نكت المعاني والإعراب وعلل القراءات

المروية عن الأئمة السبعة» (٥) لنور الدين علي بن الحسين بن علي الباقرلي (ت ٥٤٣هـ).

= فأقرني عليها وأفاد أنه لا حظ ذلك أيضا .

(١) طبع بتحقيق د/ محي الدين رمضان - مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

(٢) تقدم الحديث عنه ضمن الكتب المحررة في القراءات ص ٢٢٢.

(٣) الكشف ٣/١ - باختصار.

(٤) تاريخ التراث العربي ٢٣/١.

(٥) كشف الظنون ص ١٤٩٣.

٩ - كتاب «تلخيص علل القرآن» (١) لأبي الفضل حبيش بن براهيم التفليسي (ت ٦٢٩هـ).

١٠ - كتاب «تحفة الأقران فيما قريء بالتثليث من حروف القرآن» (٢) لأحمد بن يوسف الرعيني (ت ٧٧٧هـ).
موضوع هذا الكتاب :

ما قريء بالحركات الثلاث في القرآن الكريم، سواء أكان التثليث بنية، أو إعراباً، وسواء أكانت القراءة متواترة أم آحاداً.
طريقة المؤلف (٣):

يعرض الآية مصدراً إياها بقوله : «ومن ذلك قوله تعالى في سورة.. قريء بفتح.. وضمها وكسرهما»، ثم يشرع في الحديث عن كل واحدة بذكر من قرأ بها من القراء أو بعضهم، ثم ما فيها من توجيهات وتعليقات.
وقد يستطرد فيذكر بعض الأمور التي تتعلق بالآية، ويعنون لها بـ «تتميم».
عرض المصنف في كتابه ثمانيا وثمانين لفظة مثلثة، رتبها على حروف المعجم مراعي الحرف المثلث، فـ «شركاءكم» بتثليث الهمزة وضعها في حرف الهمزة و «رب» بتثليث الباء وضعها في حرف الباء، و «جذوة» بتثليث الجيم وضعها في حرف الميم .
والتزم داخل الحرف الواحد ترتيب الآيات على ورودها في القرآن الكريم ؛ فقدم ما ورد من الفاظ مثلثة في الفاتحة على البقرة وهكذا .

١١ - كتاب «القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب» (٤) لعبد الفتاح القاضي (ت ١٤٠٣هـ).

قال الشيخ عبد الفتاح القاضي رحمه الله في مقدمة كتابه هذا : «وبعد فهذه مذكرة ذكرت فيها القراءات التي انفرد بنقلها القراء الأربعة ابن محيصة. يحيى اليزيدي. الحسن البصري. سليمان الأعمش. أو أحدهم، أو راو من رواتهم فإن وافقت قراءة واحد منهم إحدى القراءات المتواترة

-
- (١) كشف الظنون ص ٤٧٩ المستدرك على معجم المؤلفين ص ١٨٧.
 - (٢) مطبوع بتحقيق دعلي حسين البواب - دار المنارة - جدة الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
 - (٣) استفدت من مقدمة المحقق في بيان منهج الرعيني ص ١١-١٣.
 - (٤) طبع مع كتاب «البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة» للمصنف نفسه رحمه الله تعالى - نشر الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

أو وجهها من وجوها تركت الكلام عليها.
وقد ذكرت لكل قراءة من تلك القراءات وجهها من اللغة والإعراب
مؤثرا في ذلك أحسن الأوجه وأشهر الأعراب سالكا سبيل القصد
والاعتدال.

وقدمت بين يدي المقصود بحثين شرحت في الأول منهما أركان القراءة
المقبولة، وما تتميز به عن القراءة الشاذة المردودة، وبينت حكم القراءة
بكل منهما وحكم تعلم القراءة الشاذة وتعليمها وتدوينها في الكتب، وذكرت
في الثاني كلمة موجزة في تاريخ القراء الأربعة ورواتهم وطرقهم اهـ (١).

١٢ - كتاب «المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة» (٢)
لمحمد سالم محيسن حفظه الله.

قال عن منهجه الذي أتبعه في تصنيف كتابه هذا :
«أولا : جعلت بين يدي الكتاب عدة مباحث هامة لها صلة وثيقة بموضوع
الكتاب.

ثانيا : القراءات التي سأقوم بتوجيهها هي «القراءات العشر»
المتضمنة في كتاب «النشر في القراءات العشر».
ثالثا : أكتب الكلمة القرآنية التي فيها أكثر من قراءة والمطلوب
توجيهها ثم أتبعها بجزء من الآية القرآنية التي وردت الكلمة فيها، وبعد ذلك
أذكر سورتها ورقم آيتها.

رابعا : أسند كل قراءة إلى قارئها .
خامسا : رجعت في كل قراءة الى أهم المصادر ، وفي مقدمة ذلك :
- متن «طيبة النشر في القراءات العشر» لابن الجزري.
- كتاب «النشر في القراءات العشر».

سادسا : راعيت في تصنيف الكتاب ترتيب الكلمات القرآنية حسب
ورودها في سورها اهـ (٣).

(١) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ص ٥.
(٢) مطبوع - دار الجيل - بيروت - مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة - الطبعة الثانية
١٤٠٨هـ.
(٣) المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ٨/١.

خلاصة نتائج المبحث :

بعد هذا الغرض الموجز السريع لأهم الكتب المصنفة في توجيه القراءات تلاحظ الأمور التالية :

(١) بطلان زعم من قال : «كان أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) أول من احتج للقراءات السبع فألف فيها كتابه «الحجة في علل القراءات السبع» (١) إذ تبين أنه سبقه إلى الاحتجاج للقراءات السبع ابن السري (ت٣١٦هـ) وابن مقسم البغدادي (ت٣٥٤هـ).

(٢) أن الاحتجاج للقراءات لم يقتصر على السبع فقط، إذ صنفت كتب في الاحتجاج للقراءات العشر، كما صنفت كتب في الاحتجاج لما وراء القراءات السبع مما يشمل العشر وغيرها.

(٣) أن القراءات السبع حظيت باهتمام أكبر من المصنفين في الاحتجاج للقراءات.

(٤) أن الاهتمام بالاحتجاج للقراءات لم ينقطع حتى عصرنا هذا .

(٥) المقصود في كتب الاحتجاج إنما هو بيان وجه القراءة من جهة الإعراب أو المعنى الذي من أجله اختار القارئ الذي يحتج لقراءته هذه القراءة، ولا يقصد منه أن القراءة تعتمد في صحتها على ما يذكر في كتب الاحتجاج .

فكُتب الاحتجاج إنما تبين حجة القارئ في اختياره للقراءة بكذا دون كذا، وليست لذكر الحجة التي بها تصير القراءة صحيحة، لأن هذا عكس للواقع وهو أن اللغة إنما تثبت بالقراءة وليس العكس وبالله التوفيق.

(١) القراءات القرآنية في بلاد الشام ص ٧٥.

الباب الثالث رد الشبهات التي تثار حول القراءات

ويشتمل على تمهيد وفصلين :

التمهيد : شبهه الملحدين حول القراءات القرآنية.

الفصل الأول : الشبه في اختلاف القراءات وردّها .

الفصل الثاني : الشبه في رسم المصحف وردّها .

لما أتممت ما يتعلق بالقراءات بتعريفها وأقسامها وتدوينها أتبع ذلك بإيراد الشبه التي تثار حول القراءات والرد عليها وجعلتها في باب مستقل، تابع للأبواب السابقة، على صورة الوصف العارض ليناسب حال موضوعه.

وقسمت الرد على تمهيد و فصلين :

الفصل الأول : الشبه في اختلاف القراءات وردها .

الفصل الثاني : الشبه في رسم المصحف وردها .

رددت فيهما على خمس شبه وأفتراءات لأعداء الله في ذلك .

التمهيد : شبه الملحدين حول القراءات القرآنية .

ما برح أعداء الاسلام يكيدون له، يحاولون اطفاء نوره وتشويه صورته ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١).

يشككون في صحة رسالة المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه؛ فيقولون: كاهن، وتارة يقولون: مجنون، وتارة يقولون: ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ (٢). وهم في تخبطهم كاذبون.

ويبقى القرآن العظيم آية بينة ومعجزة خالدة، تبطل ما يافكون، من شبه وكيد وطعون.

ونبتت بَعْدُ نَابِتَةٌ سَوْءُ فحَاكَتْ بخيط العنكبوت بيوتا من الشبه والظنون؛ فجاءت شيئا إِذَا، لم يأت به الكافرون في زمن رسول رب العالمين ﷺ.

ويصور هذا ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في قوله: «وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا، و اتبعوا ﴿مَا تَشَابَهَ مِنْهُ أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ (٣) بأفهام كليله، وأبصار عليله، ونظر مدخول، فحرفوا الكلام عن مواضعه وعدلوه عن سبله.

ثم قضوا عليه بالتناقض والإستحالة، واللحن، وفساد النظم والاختلاف. وأدلوأ في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر،

(١) اقتباس من سورة التوبة: ٣٢.

(٢) اقتباس من سورة الطور: ٣٠.

(٣) اقتباس من سورة آل عمران: ٧.

وأعترضت بالشبه في القلوب قدحت بالشكوك في الصدور.
ولو كان مانحوا إليه على تقريرهم و تأولهم؛ لسبق إلى الطعن به من لم
يزل رسول الله ﷺ يحتج عليه بالقرآن، ويجعله العلم لنبوته، والدليل على
صدقه، ويتحداه في موطن بعد موطن على أن يأتي بسورة من مثله؛ وهم
الفصحاء والبلغاء والخطباء والشعراء والمخصصون من بين جميع الأنام
بالأسنة الحداد واللد في الخصام مع اللب والنهى و أصالة الرأي.
وقد وصفهم الله بذلك في غير موضع من الكتاب، وكانوا مرة يقولون: هو
سحر (١) ومرة يقولون: هو قول الكهنة (٢) ومرة أساطير الأولين (٣).

ولم يحك الله تعالى عنهم ولا بلغنا في شيء من الروايات أنهم جذبوه من
الجهة التي جذبها منها الطاعنون اهـ (٤).

قلت : ولست أبعد عن الحقيقة إن قلت: إن هذه الشبه التي تثار حول
القرآن العظيم جانب كبير منها جاء من اليهود والنصارى، ويظهر هذا من
خلال المناظرات والمحاورات التي كانت تجري بين علماء الاسلام وأهل
الكتاب وهي قديمة جدا؛ حيث كان أهل الكتاب يحاولون عكس الأدلة
الدامغة التي يواجههم بها المسلمون في أن ما بين أيديهم من الكتب
محرّف مبدل.

ولا جرم أن تعاد هذه الشبه وتطور بصيغ أخرى متنوعة في كتابات
المستشرقين حول القرآن العظيم، حيث يدسونها في دراساتهم التي
يسمونها بالبحث العلمي وبالبحث الموضوعي ويُلحّثون بها في كل مناسبة.
ولعل القراءات القرآنية في النص القرآني من أكثر المجالات التي
لجوا فيها بزيْفهم وضلالهم؛ فاهتم علماء الاسلام بالرد عليهم، وصنفوا في
ذلك المصنفات.

وأذكر هنا بعضا من مصنفات وبحوث المتأخرين خاصة الذين اشتغلوا
بالرد على المستشرقين وبالذات على المستشرق المجري اليهودي جولد
تسيهر (ت ١٣٤٠هـ - ١٩٢١م) الذي عقد بابا في كتابه «مذاهب التفسير

(١) ورد ذلك في مواضع من القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ
قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ : هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ الأحقاف: ٧.

(٢) قال تبارك وتعالى عن القرآن: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ الحاقة: ٤٢.

(٣) قال تبارك وتعالى عن الكافرين: ﴿وَقَالُوا : أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الفرقان: ٥.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص ٢٢-٢٣.

الإسلامي» حول المرحلة الأولى للتفسير، لا يكاد يترك شبهة حول القرآن من جهة القراءات إلا أشار إليها.

فمن هذه المصنفات والبحوث في الرد على جولد تسيهر:

١ - ما كتبه الدكتور/ عبد الوهاب حموده في كتابه «القراءات واللهجات» (١) في الفصل العاشر منه.

٢ - وما كتبه محمد طاهر الكردي في كتابه «تاريخ القرآن» في الرد على الافرنج القائلين باستنباط القراءات عن الرسم.

٣ - وما كتبه الشيخ: عبد الفتاح القاضي في كتابه «القراءات في نظر المستشرقين والملحدين» وهو رد علمي قوي متين جزاه الله خيرا عن الإسلام والمسلمين.

٤ - وما كتبه الدكتور/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي في كتابه «رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها».

٥ - وما كتبه الدكتور: عبد الرحمن السيد في بحثه «جولد تسيهر والقراءات» (٢).

٦ - وما كتبه الدكتور: إبراهيم عبد الرحمن خليفة في كتابه «دراسات في مناهج المفسرين» حيث عقد فصلا طويلا (٣).
في الرد على جولد تسيهر ويمكن أن يفرد في كتاب.

(١) طبع مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٤٨هـ.

(٢) منشور بمجلة المربد - إصدار جامعة البصرة - السنة الأولى العدد الأول. بواسطة

القراءات القرآنية تاريخ وتغريف ص ١١١.

(٣) واستغرق هذا الرد من ص ٦٩-٢١٢.

الفصل الأول : الشبه في اختلاف القراءات وردّها.

أخبر الرسول ﷺ أن القرآن الكريم : « أنزل على سبعة أحرف » (١) فكان هذا الخبر أصل في اختلاف القراءات القرآنية .
وبين علماء الاسلام أن الاختلاف نوعان :

النوع الأول : نوع محمود، موجود في نصوص الكتاب والسنة، وهو اختلاف التنوع.

النوع الثاني : و نوع مذموم، لا وجود له - ولله الحمد - في القرآن العظيم ولا في السنة المشرفة، وهو اختلاف التضاد.

أما اختلاف التنوع فهو الواقع بين القراءات، فلا تضاد بينها ولله الحمد.

وبناء على ما تقدم قرر العلماء رحمهم الله الحقائق التالية (٢) :

(١) أن اختلاف القراءات سببه ومصدره التوقيف التلقي عن رسول الله ﷺ.

(٢) أن اختلاف القراءات لا تضاد فيه ولا تناقض، وأنه من اختلاف التنوع، فكل قراءة تصدق الأخرى، والواجب علينا الإيمان والقبول بذلك كله.

(٣) حرص الصحابة على نقل الدين وتبليغه إلى من بعدهم بضبط و حفظ تامين.

هذه الحقائق حاول بعض الملحدين نقضها والتشكيك فيها؛ فجاء بشبه وأباطيل، سأذكرها هنا مع ردّها ودفعها.

(١) حديث متواتر. أنظر نظم المتناثر ص ١١١.

(٢) سبق ولله الحمد والمنة تقرير هذه الحقائق وبسط القول فيها في الباب الأول من هذا القسم.

ويشتمل هذا الفصل على رد الشبه التالية :

الشبهة الأولى : اختلاف القراءات اضطراب في نص القرآن الكريم .
الشبهة الثانية : سبب اختلاف القراءات خلو رسم المصحف من الشكل والحركات.

الشبهة الثالثة : عدم كتابة بعض الصحابة لبعض القرآن ، وكتابة بعضهم في مصاحفهم ما ليس بقرآن.

وإليك البيان :

الشبهة الأولى : إختلاف القراءات اضطراب في نص القرآن.
يقول المستشرق جولد تسيهر (١) : «لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الإضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن» اهـ (٢).
قلت : قبل الخوض في رد هذه الشبهة أشير هنا إلى أن جولد تسيهر في طعنه هذا إنما طور طعنا قديما جاء به الملحدون ورده عليهم أهل العلم.
قال ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) : «الحكاية عن الطاعنين وكان مما بلغنا عنهم أنهم يحتجون بقوله عز وجل : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إختِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء : ٨٢ وبقوله : ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فصلت : ٤٢ وقالوا : وجدنا الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم يختلفون في الحرف والقراء يختلفون فهذا يرفع ما ينصبه ذاك ، وذاك يخفض ما يرفعه هذا ، وأنتم تزعمون أن هذا كله كلام رب العالمين ، فأبي شيء بعد هذا الاختلاف تريدون؟ وأي باطل بعد الخطأ واللحن

(١) مستشرق مجري له العديد من المصنفات رحل إلى سورية وفلسطين ومصر ، وعين استاذا في جامعة بودابست (عاصمة المجر) وتوفي بها (١٢٦٦-١٣٤٠هـ). الأعلام ٨٤/١.

(٢) مذاهب التفسير الاسلامي ص٤؛ وهو يقصد هنا إختلاف القراءات كما صرح في كلامه بعد ذلك.

تبتغون؟» اهـ(١).

قلت : لعلك ترى كيف أن هذه الشبهة التي جاء بها المستشرق تسيهر
شبهة قديمة مستهلكة ، وهي كما ترى ذات شقين :

الأول : اختلاف القراءات اضطراب في نص القرآن الكريم.

الثاني : اختلاف القراءات يخالف ما أخبر الله عزوجل به عن

كتابه من أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولو كان من عند غير
الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا .

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٢٤-٢٥ .

الرد على الشبهة الأولى :

كسرت الرد على قسمين :

القسم الأول : لرد الفرع الأول من الشبهة ، والمتمثل هنا في كلام

جولد تسيهر .

القسم الثاني : لرد الفرع الثاني من الشبهة والمتمثل هنا فيما

حكاه ابن قتيبة رحمه الله عن الطاعنين في القرآن العظيم.

رد الفرع الأول من الشبهة :

زعم جولد تسيهر أنه لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل أو موحى به يقدم مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما يوجد في نص القرآن العظيم.

وهذا زعم باطل يصدق فيه قولهم في الأمثال : «رمتني بدائها وانسلت» (١)

ويظهر بطلانه بالأمر التالية :

- لم ير جولد تسيهر كتب الشرائع السابقة في نصوصها الأصلية،

فكيف يحكم بأنها ليست كالقرآن في تعدد القراءات والوجوه ؟.

على أنه يناقض نفسه فيقرر في الباب نفسه الذي أورد فيه كلامه

السابق أن التلمود يقول بنزول التوراة بلغات كثيرة في وقت واحد (٢).

أليس هذا شبيها بنزول القرآن على سبعة أحرف ؟.

أما النصوص الباقية من الكتب السابقة فهي مختلفة إختلافا كبيرا بل

متضاربه أيضا ، وهذا يقرره جولد تسيهر نفسه كذلك حيث يتساءل في موضع

من كتابه الذي أورد فيه كلامه المتقدم ويقول : «أي نسخة من التوراة كان

يستخدمها (يعني : أبا الجلد) في دراسته ؟» اهـ (٣).

قلت : ففي هذا اعتراف منه بوجود نسخ مختلفة من التوراة (٤).

- وقد قرر علماء الإسلام (٥) اضطراب ما هو موجود في أيدي

(١) كتاب الأمثال لأبي عبيد ص ٧٣ المستقصى في أمثال العرب ١٠٣/٢ .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي ص ٥٣ .

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي ص ٨٦ .

(٤) مستفاد مما كتبه د/ عبدالحليم النجار في هامش ترجمته لكتاب تسيهر السابق ص ٤

بتصرف .

(٥) انظر «المختار في الرد على النصارى» للجاحظ ص ٩٦-١٠٠ و «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم ١١٦/١ وما بعدها و شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل»

اليهود والنصارى مما يسمونه «التوراة» و «الإنجيل»، حتى قال القرافي (ت٦٨٤هـ) متحدثا عن التوراة وتعدد نسخها : «لاتكار نسخة توافق الأخرى» اهـ (١).

وقال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): «والتوراة هي أصح الكتب وأشهرها عند اليهود والنصارى، ومع هذا فنسخة السامرة مخالفة لنسخة اليهود والنصارى حتى في نفس الكلمات العشر؛ ذكر في نسخة السامرة (٢) منها من أمر استقبال الطور مالميس في نسخة اليهود والنصارى، وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذا الكتب، فإن عند السامرة نسخا متعددة، وكذلك رأينا في الزبور نسخا متعددة تخالف بعضها بعضا مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني يقطع من رآها أن كثيرا منها كذب على زبور داود عليه السلام .

وأما الأناجيل فالاضطراب فيها أعظم منه في التوراة» اهـ (٣).
وقال ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) : «وقولهم : «نسخ التوراة متفقة في شرق الأرض وغربها»؛ كذب ظاهر، فهذه التوراة التي بأيدي النصارى تخالف التوراة التي بأيدي اليهود، و التي بأيدي السامرة تخالف هذه وهذه. وهذه نسخ الإنجيل يخالف بعضها بعضا ويناقضه، فدعواهم : أن نسخ التوراة والإنجيل متفقة شرقا وغربا من البهت والكذب الذي يروجونه على أشباه الأنعام؛ حتى أن هذه التوراة التي بأيدي اليهود فيها من الزيادة والتحريف والنقصان ما لا يخفى على الراسخين في العلم، وهم يعلمون قطعا أن ذلك ليس في التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ولا في الإنجيل الذي أنزله على المسيح عليه السلام.

وكيف يكون في الإنجيل الذي أنزل على المسيح قصة صلبه وما جرى له، وأنه أصابه كذا وكذا، و صلب يوم كذا وكذا، وأنه قام من القبر بعد ثلاث وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى، وغايته أن يكون من كلام الحواريين خلطوه بالإنجيل وسموا الجميع أنجيلا؛ وكذلك كانت الأناجيل

ص٣٢-٥٨ و «إظهار الحق» ص٢٠٥ و ما بعدها، وص ٤٤١ وما بعدها .

(١) الأجوبة الفاخرة ص٨٥.

(٢) السامرة من فرق اليهود قوم يسكنون جبال بيت المقدس وقرايا من أعمال مصر، أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام وأنكروا نبوة من بعدهم. الملل والنحل للشهرستاني ٢١٨/١ دائرة المعارف الإسلامية ١١/٨٨-١٣٨.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣٨٠/١ وأنظر منه ٢/٢٠ وما بعدها .

عندهم أربعة يخالف بعضها بعضاً» اهـ (١).
قلت : وإذا تقرر ما سبق ؛ ظهر تناقض جولد زيهر من كلامه نفسه وخطؤه في واقع الأمر.
على أن قوله عن اختلاف القراءات : «اضطراب وعدم ثبات» ليس إلا باطلاً من القول وزوراً لما يلي :
- معنى الاضطراب وعدم الثبات في النص هو وروده على صور مختلفة أو متضاربة لا يعرف الصحيح الثابت منها، أما ورود النص على صور كلها صحيح بالنسبة إلى مصدره متواتر الرواية عنه فليس في ذلك شيء من الاضطراب وعدم الثبات (٢).
وقراءات القرآن العظيم المعتمدة مهما اختلفت في النص الواحد كلها مقطوع بصحة نسبتها إلى المصدر الأصلي وهو الرسول عليه أفضل السلام وأزكى التسليم؛ فقد أخبر ﷺ: «أن القرآن أنزل على سبعة أحرف» (٣) وأذن صلوات ربي وسلامه عليه بقراءة ما تيسر من ذلك.
قال أبو محمد علي بن حزم (ت ٤٥٦هـ) : «أما قولهم : «إننا مختلفون في قراءة كتابنا فبعضنا يزيد حروفاً وبعضنا يسقطها».
فليس هذا اختلافاً، بل هو إتفاق منا صحيح؛ لأن تلك الحروف وتلك القراءات كلها مبلغ بنقل الكواف إلى رسول الله ﷺ أنها نزلت كلها عليه؛ فأى تلك القراءات قرأنا فهي صحيحة وهي محصورة كلها مضبوطة معلومة لا زيادة فيها ولا نقص؛ فبطل التعلق بهذا الفصل ولله الحمد» اهـ (٤).
قلت : وكلام ابن حزم رحمه الله إنما كان جواباً على زعم النصارى أن اختلاف نسخ الانجيل كاختلاف قراءات القرآن العظيم (٥) وقد رد هذا

-
- (١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٤٨.
(٢) مستفاد من كلام د/ عبدالحليم النجار في تعليقاته على كتاب «مذاهب التفسير الإسلامي» ص ٤-٥.
(٣) حديث متواتر. أنظر نظم المتناثر ص ١١١.
(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٧٦/٢.
(٥) ومنه تعلم أن شبهة الطعن في القرآن باختلاف القراءات شبهة ساقطة لدى النصارى، وهي شبهة قديمة لدى الملحدين في كتاب الله، وجاء جولد تسيهر في آخر الركب وغير في صياغتها ثم أعاد رميها، فعادت عليه كسيرة ولله الحمد.

الزعم عليهم القرافي (١) أيضا فقال : «الجواب ما قال الشاعر (٢) :
أكل امرئ تحسبين امرءا ونار توقد بالليل نارا
هيهات ما كل سوداء ثمرة، ولا كل بيضاء شحمة، أنزل الله سبحانه
وتعالى كتابه العزيز على خير رسله بلغة قريش.

وقبائل العرب العرب مختلفة اللغات في الإمالة والتفخيم، والمد
والقصر والجهر والاختفاء وإعمال العوامل الناصبة والرافعة والجارة،
فلو كلفوا كلهم الحل على لغة واحدة لشق عليهم ذلك، فسأل عليه السلام ربه
أن يجعله على سبعة لغات لتتسع الغرب ويذهب الحرج، وكان بالمؤمنين
رؤوفا رحيماء؛ فانزلت القراءات لذلك، وكلها مروية عنه عليه السلام متواترة
فنحن على ثقة في جميعها، وأنها عن الله تعالى وبإذنه متلقاة عن خير رسله
فذهب اللبس وحصل اليقين...» اهـ (٣).

(١) أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن أبو العباس شهاب الدين الصنهاجي القرافي، من علماء
المالكية فقيه أصولي محقق متكلم نحوي توفي سنة ٦٨٤هـ. الأعلام ٩٥/١.
(٢) هو أبو دؤاد الإيادي وقد ذكر هذا البيت ابن قتيبة في ترجمته في كتابه «الشعر
والشعراء» ٢٣٩/١ وذكر أنه مما يتمثل به من شعره.

(٣) وتام كلام القرافي: «وأما أنتم فليس في أناجيلكم رواية العدل عن العدل إلى مؤلفي
أناجيلكم، ولا صرح مؤلفو أناجيلكم بكلمة واحدة يقول «متى» فيها، أو غيره قال لي
المسيح: أن الله أنزل عليه كذا، بل غاية ما في بعضه قال اليسوع المسيح : كذا.
أما أن ذلك القول من الكتاب المنزل من عند الله أو هو من قبل عيسى عليه السلام
على ما اقتضاه رأيه أو أنزل عليه لا على سبيل أنه من الانجيل هذا لم يتعرض له
انجيل من الأناجيل.

وهلموا إلى أناجيلكم تحكم بيننا وبينكم إن كنتم صادقين، فقد وقفنا عليها، ولم نجد
فيها شيئا من ذلك؛ بل تواريخ وحكايات وأخبار، وبينها أقوال يسيرة معزية للمسيح
عليه السلام لم يصرح فيها بأنها من الإنجيل ولا من غيره وليس لكم أن تقولوا: متى
نقل للتلميذ شيئا، فالمسيح قاله لهم؛ لأننا نقول: هم خلفاؤه على زعمكم، وكانوا فضلاء
نجباء ومثل هؤلاء يكون لهم آراء واجتهادات وأقيسة وفراسات يتحدثون باعتبارها،
فليس لكم أن تقولوا كل ما يقولونه فهو من قبل المسيح عليه السلام أو من قوله.

ولو سلمنا أنه من قوله عليه السلام فيحتمل أن يكون من كلام الانجيل ومن غيره، فلا
يوثق بحرف واحد عندكم أنه من الإنجيل المنزل، بل نقطع بأن أكثره ليس منزلا، وهو
تلك التواريخ وكلام الكهنة وملوك الكفرة التي حشرونها في الانجيل وتزعمون أن
الانجيل الكتاب المنزل، وهذا عندكم أشد وأصعب من التوراة؛ فان التوراة كتبت في
الألواح وتميزت وتعينت، ثم طرأ عليها ما طرأ عليها، وأما الإنجيل فلم يتميز قط، ولم
يعرف له صورة، ولا سمع منه كلمة، غايته أن التلاميذ أملوا هذه الأناجيل بعد رفع
المسيح عليه السلام بمدة طويلة، ولم يصرحوا بأن هذا منزل ولا غير منزل، فسقطت

فالحاصل : أن اختلاف القراءات ليس من قبيل الاضطراب وعدم الثبات، بل جميع ذلك حق ويقين أعلمنا به الرسول الأمين ﷺ. فإن قيل : إختلاف القراءات في القرآن الكريم ألا يخالف ما أخبر الله عزوجل في كتابه بأن القرآن العظيم لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا؟.

فالجواب : هذا هو الفرع الثاني من الشبهة، ورده هو التالي :

الثقة من الجميع حتى يتعين المنزل. ولهذه القواعد لم يجز المسلمون أن يجعلوا شيئا من الأحاديث النبوية مع صحتها من الكتاب المنزل، و لا قول أحد من الصحابة، بل متى قال الصحابي قولاً نسب له فقط، و لا يجوز أن يقال هذا من قول النبي عليه السلام فضلا عن كونه من القرآن، وأنتم جعلتم الجميع من الكتاب المنزل، وسميتموه كتاب الله، فوقعتم في الضلال وقول المحال، فلا تشبهوا أنفسكم بنا، فوالله ما اجتمعنا في شيء من هذا، بل أنتم في غاية الإهمال، ونحن في غاية الإحتفال» اهـ الأجوبة الفاخرة ص ٩٧-٩٩.

رد الفرع الثاني من الشبهة :

اختلاف القراءات ليس من قبيل الاختلاف الذي نفى الله عزوجل وجوده في القرآن العظيم، فإن الله عزوجل نفى عن القرآن اختلاف التضاد، ولست واجده - بحمد الله - في إخباره ولا في أمره ونهيه إلا ما كان من قبيل الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد (١).

وقد رد هذه الشبهة ابن قتيبة فقال: «أما ما اعتلوا به في وجوه القراءات من الاختلاف فانا نحتج عليهم فيه بقول النبي ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شاف كاف، فاقراءوا كيف شئتم» (٢) وتأويل ذلك على سبعة أوجه من اللغات متفرقة في القرآن فإن قال قائل : هذا جائز في الألفاظ المختلفة إذا كان المعنى واحدا فهل يجوز أيضا إذا اختلفت المعاني؟.

قيل له : الاختلاف نوعان : اختلاف تغاير، واختلاف تضاد. فاختلف التضاد لايجوز، ولست واجده بحمد الله في شيء من القرآن إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ. واختلاف التغاير جائز...» اهـ (٣).

ثم ضرب لهذا النوع - اختلاف التغاير - أمثلة من الآيات ، وبرهن على جوازه بأن كلا من المعنيين صحيح وأن كل قراءة بمنزلة آية مستقلة، لا جرم أن يكون هذا الاختلاف فنا من فنون الإيجاز الذي يسلكه القرآن في إرشاده وتعليمه (٤).

والاختلاف بين القراءات إنما هو من قبيل اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد ، واختلاف القراءات لا يخرج عن حال من ثلاثة (٥) :

أما أن يختلف اللفظ ويتحد المعنى.

أو يختلف اللفظ ويختلف المعنى، مع جواز اجتماعهما في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه .

أو يختلف اللفظ ويختلف المعنى، مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد ولكن يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

(١) تقدم بسط هذا ص ١٣٣ .

(٢) حديث متواتر . أنظر نظم المتناثر ص ١١١ .

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٣٣ باختصار .

(٤) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين ص ١٧-١٨ .

(٥) مضى - ولله الحمد والمنة - بسط أحوال الاختلاف بين القراءات ص ١٣٥ .

قال ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) : «ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده، بل قد يكون معناها متفقا أو متقاربا، كما قال عبد الله بن مسعود : «إنما هو كقول أحدكم: أقبل، وهلم وتعال» (١).

وقد يكون معنى أحدهما ليس هو معنى الآخر، لكن كلا المعنيين حق، وهذا اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض، وهذا كما جاء في الحديث المرفوع عن النبي ﷺ الحديث : «أنزل القرآن على سبعة أحرف إن قلت: غفورا رحيمًا، أو قلت عزيزا حكيما فالله كذلك، ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة» (٢).

(١) أثر صحيح .

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٥٠/١ وابن مجاهد في «السبعة» ص ٤٧ وانظر ما سبق ص ٧٣.

(٢) حديث صحيح .

وهو ملفق من روايتين عن أبي هريرة بنحوه.
الرواية الأولى لفظها : «أنزل القرآن على سبعة أحرف عليم حكيم، غفور رحيم»
أخرجها أحمد في المسند (شاكر) ١٦٧/١٦ تحت رقم (٧٣٧٢) ٢٠٢/١٨ تحت رقم (٩٦٧٦) وأخرجها الطبري في تفسيره (شاكر) ٢٢/١ تحت رقم (٨) وابن حبان في صحيحه (موارد) ص ٤٤٠ تحت رقم (١٧٧٩) وصححه أحمد شاكر.
الرواية الثانية لفظها : «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأقرأوا ولا حرج ولكن لا تخطموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة»
أخرجها الطبري في تفسيره (شاكر) ٤٥/١-٤٦ وصححها الشيخ أحمد شاكر على شرط الشيخين، وصححها الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٧٩/٣ تحت رقم (١٢٨٧) وعزاها لأبي الفضل الرازي في كتابه «معاني أنزل القرآن على سبعة أحرف» ق ٢/٦٨.

وهذه الرواية الثانية جاءت بنحوها عن أبي بكرة أخرجها أحمد في المسند ١٥٠١٤/٥ والطبري في تفسيره (شاكر) ٥٠، ٣٤/١ والداني في المكتفَى ص ١٣٠-١٣١ ومدارها على «علي بن زيد بن جدعان» وهو ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب ص ٤٠١ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥١/٧ : «رواه أحمد والطبراني بنحوه وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو سيء الحفظ، وقد توبع وبقيّة رجال أحمد رجال الصحيح» هـ.
فائدة : إن ختم الآيات لا يخضع للتشهي، ولكن لا بد من التوقيف فيه، وليس لأحد مهما كانت منزلته أن يبدل حرفا من كتاب الله بحرف آخر. والظاهر في معنى الحديث كما قال أبو عمرو الداني في المكتفَى في الوقف والابتداء ص ١٣٢ : «أنه ينبغي أن يقطع على الآية التي فيها ذكر النار والعقاب وتفصل مما بعدها إذا كان بعدها ذكر الجنة والثواب، وكذلك يلزم أن يقطع على الآية التي فيها ذكر الجنة والثواب وتفصل مما بعدها أيضا إذا كان بعدها ذكر النار والعقاب...» هـ.

وهذا كما في القراءات المشهورة: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ﴾ و ﴿بَاعِدْ﴾ (١) [سبأ: ١٩].
﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَ إِلَّا يُقِيمَا﴾ و ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَ إِلَّا يُقِيمَا﴾ (٢) [البقرة: ٢٢٩].
﴿وإن كان مكرهم لَنَزُولُ﴾ و ﴿لَنَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (٣) [إبراهيم: ٤٦].
﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ و ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ (٤) [الصافات: ١٢]، و نحو ذلك.

(١) تنوعت القراءات في قوله: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ﴾ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بنصب: ﴿رَبَّنَا﴾ على النداء، و ﴿بَعِدْ﴾ بكسر العين المشددة بلا ألف، ومعناها طلب المباعدة بين أسفارهم على سبيل الجراءة والبطر، ووافقهم ابن محيصن واليزيدي. وقرأ يعقوب: ﴿رَبَّنَا﴾ بضم الباء على الإيتداء، و ﴿بَاعِدْ﴾ بالألف وفتح العين والدال، ومعناها خبر عن بعد سفرهم إفراطاً منهم في الترفه وعدم الاعتداد بما أنعم الله به عليهم وهذا الخبر على سبيل الشكوى من ذلك.

وقرأ الباقون: ﴿رَبَّنَا﴾ بالنصب ﴿بَاعِدْ﴾ بالألف وكسر العين وسكون الدال، ومعناها كالأولى طلب المباعدة بين أسفارهم. انظر التيسير ص ١٨١ النشر ٣٥٠/٢ الإتحاف ص ٣٥٩.

(٢) تنوعت القراءات في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَ﴾ فقرأ أبو جعفر وحزمة ويعقوب والأعمش: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَ﴾ بضم الياء على البناء للمفعول؛ فحذف الفاعل وناب عنه ضمير الزوجين، و ﴿إِلَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ بدل اشتمال من ضمير الزوجين، والتقدير: إلا أن يخافا عدم إقامتهما حدود الله.

وقرأ الباقون: ﴿يَخَافَا﴾ بفتح الياء على البناء للفاعل، وإسناد الفعل إلى ضمير الزوجين المفهوم من السياق، و ﴿أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ مفعول به. انظر الغاية ص ١١٤ الإتحاف ص ١٥٨ المغني ٢٤٩/١.

(٣) تنوعت القراءات في قوله: ﴿لَنَزُولُ﴾ فقرأ الكسائي وحده من العشرة ووافقه ابن محيصن: ﴿لَنَزُولُ﴾ بفتح اللام الأولى وضم الثانية، والمعنى: وإن كان مكرهم لَنَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ.

وقرأ الباقون: ﴿لَنَزُولَ﴾ بكسر اللام الأولى و نصب الثانية، والمعنى: انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الثابتة ثباتاً وتمكناً من آيات الله وشرائعه. انظر الغاية ص ١٨٤ الإتحاف ص ٢٧٣ القلائد ص ٦٦.

(٤) تنوعت القراءات في قوله: ﴿عَجِبْتَ﴾ فقرأ حمزة والكسائي وخلف ووافقهم الأعمش بضم التاء على أنها ضمير المتكلم، والمعنى: قل يا محمد بل عجبت أنا، أو أن الله تعالى رد التعجب إلى كل من بلغه إنكار المشركين للبعث من المقرين بالبعث وعلى ذلك جاء قوله تعالى: ﴿وإن تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ الرعد: ٥.

وقرأ الباقون: ﴿عَجِبْتَ﴾ بفتح التاء على أنها ضمير المخاطب، والمعنى: بل عجبت من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة، وهم يسخرون منك مما تريهم من آثار قدرة الله تعالى أو من انكارهم البعث مع إعترافهم بالخالق. انظر النشر ٣٥٦/٢ الإتحاف ص ٣٦٨ المغني ١٨٧/٣-١٨٨.

ومن القراءات ما يكون المعنى فيها متفقا من وجه متباينا من وجه
كقوله: ﴿يَخْدَعُونَ﴾ و ﴿يُخَادِعُونَ﴾ (١) [البقرة: ٩].
و ﴿يَكْذِبُونَ﴾ و ﴿يُكْذِبُونَ﴾ (٢) [البقرة: ١٠].
و ﴿لَمَسْتُمْ﴾ و ﴿لَامَسْتُمْ﴾ (٣) [النساء: ٤٣] [المائدة: ٦].
و ﴿حَتَّى يَظْهَرْنَ﴾ و ﴿يُظْهَرْنَ﴾ (٤) [البقرة: ٢٢٢] ونحو ذلك .
فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق .

وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان
بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملا ولا يجوز ترك موجب
إحداهما لأجل الأخرى ظنا أن ذلك تعارض، بل كما قال عبد الله بن مسعود

(١) تنوعت القراءات في قوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء
وفتح الخاء والفاء بعدها وكسر الدال: ﴿يُخَادِعُونَ﴾ ووافقهم اليزيدي، والمعنى: إنهم
يخادعون أنفسهم أي: يمتنونها الأباطيل، وأنفسهم تمنهم ذلك أيضا، ويجوز أن تكون
المفاعلة ليست على بابها فيكون المعنى كما في القراءة التالية:

وقرأ الباقر بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال: ﴿يَخْدَعُونَ﴾ مضارع خدع، على
أن الفعل من جانب واحد. أنظر الغاية ص ٩٧ الإتحاف ص ١٢٨ القلائد ص ١٣.

(٢) تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ فقرأ عاصم
وحمزة والكسائي وكذا خلف ووافقهم الحسن والأعمش بفتح الياء وسكون الكاف
وتخفيف الدال ﴿يَكْذِبُونَ﴾ والمعنى: أخبر سبحانه أن لهم عذابا أليما لأنهم اتصفوا
بالكذب.

وقرأ الباقر بضم الياء وفتح الكاف وكسر الدال المشددة: ﴿يُكْذِبُونَ﴾ والمعنى:
أخبر سبحانه أن لهم عذابا أليما لأنهم كذبوا الرسل عليهم الصلاة والسلام. أنظر
الغاية ص ٩٧-٩٨ الإتحاف ص ١٢٩ القلائد ص ١٣.

(٣) تنوعت القراءات في قوله: ﴿لَامَسْتُمْ﴾ في الموضعين (في النساء والمائدة) فقرأ حمزة
والكسائي وكذا خلف بغير ألف فيهما ﴿لَمَسْتُمْ﴾ ووافقهم الأعمش، والمعنى: الإفضاء
باليد إلى الجسد.

وقرأ الباقر: ﴿لَامَسْتُمْ﴾ بإثبات ألف بعد السين والمعنى: الجماع. أنظر
الغاية ص ١٣٥ الإتحاف ص ١٩١ القلائد ص ٣٦.

(٤) تنوعت القراءات في قوله: ﴿يُطْهَرْنَ﴾ فقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وكذا خلف بفتح
الطاء والهاء مشددتين، مضارع تطهر «يطهرن» ووافقهم ابن محيصن والأعمش،
والمعنى: حتى ينقطع الحيض ويغتسلن أو يتوضأن أو يغسلن المحل.

وقرأ الباقر بسكون الطاء وضم الهاء مخففة مضارع طهرت المرأة ﴿يُطْهَرْنَ﴾،
والمعنى: حتى ينقطع حيضهن ودخلن في وقت الطهر. أنظر الغاية ص ١١٤
الإتحاف ص ١٥٧ القلائد ص ٢٣.

رضي الله عنه: «من كفر بحرف منه فقد كفر به كله» (١).
وأما ما اتحد لفظه ومعناه، وإنما يتنوع صفة النطق به كالهمزات
والمدات، والامالات، ونقل الحركات، والإظهار والإدغام، والاختلاس،
وترقيق اللامات والراءات، أو تغليظها ونحو ذلك مما يسمي القراء عامته:
الأصول؛ فهذا أظهر وأبين في أنه ليس فيه تناقض ولا تضاد مما تنوع فيه
اللفظ أو المعنى إذ هذه الصفات المتنوعة في إراء اللفظ لا تخرجه عن أن
يكون لفظا واحدا، ولا يعد ذلك فيما اختلف لفظه واتحد معناه، أو اختلف
معناه من المترادف ونحوه، ولهذا كان دخول هذا النوع في حرف واحد من
الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها [من أولى ما] (٢) يتنوع فيه
اللفظ أو المعنى وإن وافق رسم المصحف وهو ما يختلف فيه النقط أو
الشكل اهـ (٣).

قلت : فالقراءات جميعها حق، وإختلافها حق، لا تضاد فيه ولا
تناقض، والإختلاف الذي نفاه الله عن القرآن الكريم هو إختلاف التضاد
والتناقض، وهذا لست واجده في الشرع بله القرآن العظيم ولله الحمد والمنة.

-
- (١) أثر حسن لغيره .
أخرجه الطبري في تفسيره (شاكراً) ٥٥/١ وفي السند مغيرة بن مقسم عن إبراهيم،
ومغيرة ثقة مدلس ولاسيما عن إبراهيم كما نص على ذلك الحافظ ابن حجر في التقريب
ص ٥٤٣، وقد عنعنه.
وفي السند أيضا محمد بن حميد الرازي شيخ الطبري ضعيف كما في التقريب
ص ٤٧٥.
لكن الحديث ورد في سياق طويل بإسناد آخر ضعيف أخرجه أحمد في المسند
(شاكراً) ٣٢٤/٥ تحت رقم (٣٨٤٥) ، فيقوي هذا الحديث ويرقيه إلى درجة الحسن لغيره.
والحديث ورد أيضا بإسناد ضعيف جدا عند الطبري في تفسيره (شاكراً) ٢٨/١ تحت
رقم (١٨).
(٢) كذا ولعل الصواب: «ولهذا كان دخول هذا النوع في حرف واحد ... أولى من ما يتنوع
فيه اللفظ أو المعنى...».
(٣) مجموع الفتاوى ٣٩١/١٣-٣٩٢.

الشبهة الثانية :

ذهب بعض الملحدين في القرآن العظيم إلى أن اختلاف القراءات يرجع لسببين :

الأول : تجرد المصاحف من نقط الحروف .

الثاني : تجردها من شكل الحروف، وفقد الحركات اللغوية والنحوية منها.

وفي ذلك يقول المستشرق جولد تسيهر: «وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة، تبعا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته وعدد تلك النقاط.

بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية يدعو اختلاف الحركات - الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده - إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وبهذا إلى اختلاف دلالتها.

وإذا فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة؛ كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطا أصلا أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه» اهـ (١).

وتلقف هذا الإفك المستشرقان الألمانيان أوتوبرتسل (٢) (ت ١٩٤١م) والآخر كارل بروكلمان (٣) (ت ١٩٥٦م).

(١) مذاهب التفسير الاسلامي ص ٨-٩.

(٢) مقدمة تحقيقه لكتاب «التيسير» للداني ص ي.

وأوتو برتسل من أبرز المستشرقين في الدراسات الخاصة بقراءات القرآن ولد في منشن (ميونخ) ١٨٩٣م من اساتذة جامعة منشن مات في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤١م. موسوعة المستشرقين ص ٥٣-٥٤.

(٣) تاريخ الأدب العربي ١/١٤٠.

وكارل بروكلمان مستشرق المانيكان عضوا في المجمع العلمي العربي (١) وعضوا في كثير من المجامع والجمعيات العلمية في المانيا وغيرها (١٨٦٨-١٩٥٦م). الأعلام ٢١١١/٥.

وانخدع به بعض الباحثين المسلمين^(١) إما جهلا منهم لشناعة هذه المقولة، وإما خطأ منهم في فهم المسألة، والله أعلم .

(١) منهم : علي بن عبدالواحد وافي، صرح بذلك في كتابه «فقه اللغة» حاشية ص ١١٩ الطبعة الأولى ثم رجع عن ذلك في الطبعات التالية للكتاب، والرجوع للحق فضيلة. انظر «رسم المصحف العثماني» ص ٢٠. ومنهم : د/ جواد علي، و د/ عبدالله خورشيد، ود/ صلاح الدين المنجد. انظر «رسم المصحف دراسة لغوية» ص ٧١٩. ومنهم : إبراهيم الإبياري صرح بذلك في كتابه «الموسوعة القرآنية». انظر «القراءات القرآنية تاريخ وتعريف» ص ٨٣-١١٠، ٨٦. ومن الواضح أنهم جميعا ممن لم يتخصصوا في العلوم الشرعية لأن العالم الشرعي لا يقول ذلك.

رد الشبهة الثانية :

هذا الرأي في سبب اختلاف القراءات مغالطة، وعكس للواقع إذ أن الواقع الثابت أن الرواية والتلقي والسمع هي الأصل الذي تثبت به القراءة ويثبت به رسمها ، وليس لأحد إجتهاد في ذلك ولا رأي.

ولم يكن للرسم العثماني أثر في تعدد وجوه القراءة وإنما كان الرسم وسيلة لحفظ القراءات الثابتة النقل، إذ أن تلك الوجوه المختلفة لم يكن لها إلا سبب واحد؛ هو التلقي عن رسول الله ﷺ .

وقد نبه علماء الأمة من عصر الصحابة رضوان الله عليهم إلى زمننا وإلى ما شاء الله؛ نبهوا إلى أن الأصل في القراءات إنما هو التلقي والسمع من الآخر للأول (١).

حتى في طور التدوين لعلم القراءات كانت الرواية والسمع هي الأصل، حيث نجد الكتب المصنفة في القراءات تتابع على ذكر أسانيد ما تنقله من القراءات (٢).

قال أبو عمرو الداني : «فإن سأل سائل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد في المصاحف ؟»

قلت : السبب في ذلك - عندنا - أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لما جمع القرآن في المصاحف ونسخها على صورة واحدة وآثر في رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصح ولا يثبت نظرا للأمة واحتياطا على أهل الملة وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله عز وجل كذلك منزلة، ومن رسول الله ﷺ مسموعة، وعلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن إلا بإعادة الكلمة مرتين، وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به ففرقها في المصاحف لذلك فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة في بعضها لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عز وجل وعلى ما سمعت من رسول الله ﷺ فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل

(١) تقدم بسط هذا الموضوع ص ٦٨.

(٢) تقدم تأكيد ذلك في الموضوع السابق، وبسطه في الباب الثاني من القسم الأول لهذه الدراسة.

الأمصار» اهـ (١).

قلت : وفي ذلك يقول ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) : « سبب تنوع القراءات فيما احتمله خط المصحف هو تجويز الشارع، وتسويغه ذلك لهم؛ إذ مرجع ذلك إلى السنة والاتباع لا إلى الرأي والابتداع » اهـ (٢).

ويؤكد هذا ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) في قوله : « ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم، إنما هو من حيث أنه كان اضبط له، وأكثر قراءة واقراء به، وملازمة له، وميلا إليه، لا غير ذلك.

وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم المراد بها أن ذلك القاريء وذلك الإمام إختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به فآثره على غيره، وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به، وقصد فيه وأخذ عنه؛ فلذلك أضيف إليه دونما غيره من القراء. وهذه الاضافة إضافة إختيار ولزوم، لا إضافة إختراع ورأي واجتهاد » اهـ (٣).

قلت : ويدلل على بطلان رأي هذا المجري أنه لو كان خلو المصاحف من الشكل والاعجام سببا في تنوع القراءات واختلافها لكانت كل قراءة يحتملها رسم المصحف صحيحة معتبرة قرآنا والواقع ليس كذلك (٤) فإن القراءات تنقسم من جهة قبولها إلى ثلاثة أقسام (٥) :

القسم الأول : القراءات المقبولة ، وهي :

(أ) القراءات المتواترة .

(ب) القراءات الصحيحة السند الموافقة لرسم المصحف المتلقاة بالقبول.

القسم الثاني : القراءات المردودة المنكرة الباطلة وهي :

(أ) القراءة التي لم يصح سندها، أو صح ولم تتلق بالقبول.

(ب) القراءة التي لاسند لها، سواء وافقت الرسم أم لم

توافقه.

(١) المقنع ص ١١٨-١١٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٤٠٢/١٣.

(٣) النشر ٥٢/١.

(٤) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين ص ٤٩.

(٥) تقدم - ولله الحمد - بسط القول في أقسام القراءات ص ١١٠.

القسم الثالث : القراءات المتوقف فيها، وهي :

القراءة التي صح سندها، وخالفت رسم المصحف، واصطلح على تسميتها بالقراءة الشاذة.

وهذا التقسيم يدل على أن أي قراءة لا يعتد بها ولا تعتبر قرآنا إلا إذا كانت ركيزتها الاسناد التلقي والسماع.

وتأتي هنا بحق كلمة ابن المبارك (ت ١٨١هـ): «الاسناد من الدين، لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء» اهـ (١).

ويؤكد اعتماد القراءات على النقل أن هناك الفاظا تقرأ بخلاف الرسم فمثلا: «الصلاة» رسمها في المصحف العثماني: «الصلوة» و «الزكاة» رسمها «الزكوة».

كما أن في القرآن الكريم كلمات تكررت في مواضع كثيرة و رسمت برسم واحد في جميع المواضع، ولكنها في بعض المواضع وردت فيها القراءات التي يحتملها رسمها فاختلف فيها القراء وتنوعت فيها قراءتهم، وفي بعض المواضع اتفق القراء على قراءتها بوجه واحد؛ لأن غيره لم يصح به النقل، ولم تثبت به الرواية مع أن الرسم يحتمله (٢).

ومن مغالطات المستشرق جولد تسيهر في قوله: «إن الشكل والنقط في الخط العربي هما سبب اختلاف القراءات»، من مغالطاته: أنه أقام هذا الرأي على توهم أن الأمة الإسلامية قد اعتمدت في أخذ كتابها على مثل ما اعتمد عليه غيرها من الأمم من النقل من الصحف المكتوبة والقراءة من الخط المرسوم فحسب؛ فلذلك - وبسبب تجرد الخط في أول الأمر من الشكل والنقط - وقعت في كثير من التحريف والتصحيف في القرآن، حيث قرأها كل بحسب ما اتفق له من الفهم، وما رآه من صحة المعنى وحسنه في

(١) مقدمة صحيح مسلم ١٥/١ الجرح والتعديل ١٦/٢ المجروحين من المحدثين ٢٦/١ معرفة علوم الحديث ص ٦.

(٢) أورد الأمثلة على ذلك صاحب كتاب «رسم المصحف العثماني» ص ٣٣-٤٧ وصاحب كتاب «القراءات في نظر المستشرقين والملحدون» ص ٥٢-٩٧ واستوعب السيوطي في الإتيان ١٥٦/٤-١٥٧ المواضع التي فيها قراءتان وكتبت على إحداها مما يؤكد الاعتماد على النقل كما استقصى الشيخ محمد سالم محيسن حفظه الله من أول المصحف إلى آخره في كتابه «المغني في توجيه القراءات» ٣/٣٨٠-٤٠٣ الكلمات القرآنية الفرشية التي ورد فيها أكثر من قراءة إلا أن هذه القراءات كانت خاصة بكلمات مخصوصة دون أن تشمل ذوات النظر.

نفسه، فوقعوا بسبب ذلك في الاختلاف على ما تقتضيه ضرورة تفاوت الأفهام وإختلاف الملاحظ إلى حد التباين في كثير من الأحيان(١).

ولكشف هذه المغالطة أنقل كلاما نفيسا لابن حزم (ت٤٥٦هـ) حيث يقول : «إن نقل المسلمين لكتابهم ودينهم ولما نقلوه عن أئمتهم ينقسم أقساما ستة : أولها : شيء ينقله أهل المشرق والمغرب عن أمثالهم جيلا جيلا لا يختلف فيه مؤمن و لا كافر منصف غير معاند للمشاهدة، وهو أن القرآن المكتوب في المصاحف في شرق الأرض وغربها لا يشكون و لا يختلفون في أن محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب أتى به وأخبر أن الله عزوجل أوحى به إليه، وأن من اتبعه أخذه عنه كذلك ثم أخذ عن أولئك حتى بلغ إلينا...

وليس عند اليهود والنصارى من هذا النقل شيء أصلا.... والثاني : شيء نقلته الكافة عن مثلها حتى يبلغ الأمر كذلك إلى رسول الله ﷺ ككثير من آياته ومعجزاته...

وليس عند اليهود والنصارى من هذا النقل شيء أصلا.... والثالث : ما نقله الثقة عن الثقة كذلك حتى يبلغ إلى النبي ﷺ يخبر كل واحد منهم باسم الذي أخبره ونسبه، وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان على أكثر ما جاء هذا المجيء فإنه منقول نقل الكواف، إما إلى رسول الله ﷺ من طرق جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وإما إلى صاحب، وإما إلى التابع، وإما إلى إمام أخذ عن التابع ، يعرف ذلك من كان من أهل المعرفة بهذا الشأن، والحمد لله رب العالمين. وهذا نقل خص الله تعالى به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها، وأبقاه عندهم غضا جديدا على قديم الدهور منذ أربعمئة عام وخمسين عاما(٢) في المشرق والمغرب والجنوب والشمال، يرحل في طلبه من لا يحصي عددهم إلا خالقهم إلى الآفاق البعيدة ويواظب على تقييده من كان الناقد قريبا منه قد تولى الله تعالى حفظه والحمد لله رب العالمين، فلا تفوتهم زلة في كلمة فما فوقها في شيء من النقل ان وقعت لأحدهم، ولا يمكن فاسقا أن يقحم فيه كلمة موضوعة والله تعالى الشكر.

وهذه الأقسام الثلاثة التي نأخذ ديننا منها ولا نتعدها إلى غيرها

(١) دراسات في مناهج المفسرين ١٠٠/١.

(٢) يعني إلى زمنه، وهو كذلك إلى زمننا هذا عام اثنين عشر وأربعمئة وألف والحمد لله.

والحمد لله رب العالمين...» اهـ (١).

ثم ذكر رحمه الله القسم الرابع والخامس والسادس.

وهذا الكلام من ابن حزم رحمة الله عليه يبين لك أن ما أقام عليه جولد تسيهر كلامه من أبعد ما يكون عن تلقي هذه الأمة الإسلامية لكتابها العظيم؛ إذ اعتمدت في نقله على أعلى درجات التوثق والضبط في كل طبقات السماع، فأئى يدخله التزيد ويخرمه النقص بالرأى والاجتهاد؟.

وكيف يكون الرسم هو معتمد في القراءات وسبب إختلافهم فيها، وهم ينهون عن أخذ القرآن عن المصحفيين، الذين أخذوا القرآن من الصحف ولم ينقلوه بالسماع والمشافهة (٢)؟.

سبحانك ربي هذا بهتان عظيم.

قال تبارك وتعالى : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ العنكبوت : ٤٩.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٨١/٢-٨٤ باختصار وتصرف يسير.

(٢) تقدم تقرير أن الأصل في القراءات هو التلقي والسماع انظر ص ٦٨.

الشبهة الثالثة :

عدم كتابة بعض الصحابة لبعض القرآن في المصحف و كتابة بعضهم لما ليس بقرآن في المصحف، وهذا إختلاف في القرآن وقراءاته بالزيادة والنقصان.

وهذه الشبهة حكاها ابن قتيبة عن الطاعنين في القرآن العظيم حيث قالوا عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه: «كان يحذف من مصحفه» أم الكتاب» (١) ويمحو «المعوذتين» ويقول: لِمَ تزيدون في كتاب الله ما ليس فيه؟...» (٢).

(١) أورد السيوطي في الدر المنثور ١٠/١ شيئا حول هذا وسيأتي - إن شاء الله - قريبا .
(٢) أثر صحيح .

أخرجه عبدالله بن أحمد في زيادات المسند ١٢٩/٥ والطبراني في المعجم الكبير ٢٦٨/٩ وصححه ابن حجر في فتح الباري ٧٤٣، ٧٤٢/٨ ووافقه السيوطي في الإتيان (أبوالفضل) ٢٢١/١ ولفظه: «عن عبدالرحمن بن يزيد قال: «كان عبدالله يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله تبارك وتعالى».

قال في «مجمع الزوائد» ١٤٩/٧: «رجال عبدالله رجال الصحيح ورجال الطبراني ثقات» هـ

وأخرجه بنحوه البزار ٨٦/٣ (كشف الأستار) والطبراني في المعجم الكبير ٢٦٩/٩ وقال في «مجمع الزوائد» ١٤٩/٧: «ورجالهما ثقات» هـ ولفظه: «عن علقمة عن عبدالله أنه كان يحك المعوذتين من المصحف، ويقول: إنما أمر رسول الله ﷺ أن يتعوذ بهما، وكان عبدالله لا يقرأ بهما»

قال البزار: «هذا لم يتابع عبدالله عليه أحد من الصحابة ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأ بهما في الصلاة وأثبتا في المصحف» هـ .

وصححه ابن حجر في فتح الباري ٧٤٣/٨ ووافقه السيوطي في الإتيان (أبوالفضل) ٢٢١/١ .

قلت : لكن قوله في هذه الرواية : «وكان عبدالله لا يقرأ بهما» شاذ بمرّة؛ لأن المتواتر عن عبدالله بن مسعود القراءة بهما وأنهما من القرآن .

وأخرج البخاري في كتاب التفسير سورة : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ حديث رقم (٤٩٧٧) عن زر قال : «سألت أبي بن كعب قلت: أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول: كذا و كذا . فقال أبي بن كعب: سألت رسول الله ﷺ فقال لي: «قيل لي فقلت» قال أبي ابن كعب: فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ .

وقوله: «كذا و كذا» أبهمه الراوي، وصرح به في رواية أحمد في المسند ١٢٩/٥ والطحاوي في مشكل الآثار ٣٤-٣٣/١ وابن الضريس في فضائل القرآن ص ١٩٩ عن زر بن حبیش قال: قلت لأبي بن كعب: «إن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه (وفي رواية الطحاوي في مشكل الآثار ٣٣/١) «إن أخاك ابن مسعود يحكما من المصحف» فقال: أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فقلتها . فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فقلتها، فنحن نقول ما قال النبي ﷺ .

وأبي بن كعب يزيد في مصحفه افتتاح «دعاء القنوت» إلى قول الداعي: «إن عذابك بالكافرين ملحق» ويعدّه سورتين من القرآن» (١). اهـ (٢).
وذكر ابن قتيبة في موضع آخر من كتبه أن هذه الشبهة من التهم

(١) أثر صحيح .

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣١٤/٢ والبيهقي في السنن الكبرى ٢١٠/٢ ولفظه عند ابن أبي شيبة عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير قال: «سمعت عمر يقنت في الفجر يقول بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انا نستعينك ونؤمن بك ونتوكل عليك الخير كله، و لا نكفر، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق، اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيلك»

قال الألباني في «إرواء الغليل» ١٧٠/٢ عن سند هذا الأثر: «وهذا سند رجاله كلهم ثقات، رجال الشيخين، ولولا عننة ابن جريج لكان حرياً بالصحة» اهـ

قلت : وجدت تصريح ابن جريج بالسماع عن عطاء في رواية هذا الحديث عند عبدالرزاق في المصنف ١١١/٣ وزاد في آخره: «قال وسمعت عبيد بن عمير يقول: القنوت قبل الركعة الآخرة من الصبح وذكر أنه بلغه أنهما سورتان من القرآن في مصحف ابن مسعود، وأنه يوتر بهما كل ليلة وذكر أنه يجهر بالقنوت في الصبح. قال ابن جريج لعطاء: فإنك تكره الإستغفار في المكتوبة فهذا عمر قد استغفر؟ قال: قد فرغ هو في الدعاء في آخرها»

والحديث أورده في كنز العمال ٧٥/٨ وعزاه إلى من سبق وزاد عزوه إلى الطحاوي ومحمد بن نصر.

قلت : الحديث عند الطحاوي في شرح معاني الآثار ٢٤٩/١ من طريق ابن أبي ليلى عن عطاء عن عبيد بن عمير قال: «صليت خلف عمر رضي الله عنه صلاة الغداة فقنت فيها بعد الركوع وقال...وساقه مختصراً.

ومن طريق ابن أبي ليلى أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣١٤/٢ أيضاً، وابن أبي ليلى هو محمد بن عبدالرحمن سيء الحفظ جداً كما في «التقريب» ص ٣١٤ لكنه لم يتفرد به فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه ٣١٤/٢ والبيهقي في سننه الكبرى ٢١١/٢ من طريق سعيد بن عبدالرحمن بن أبزي عن أبيه أنه صلى خلف عمر فصنع مثل ذلك».

قلت : وهذا إسناد صحيح صححه البيهقي والألباني في إرواء الغليل ١٧١/٢.

وعن أبي إسحاق قال : «أما أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد بخرسان فقراً بهاتين السورتين: إنا نستعينك ونستغفرك... وذكر الحديث.

قال في «مجمع الزوائد» ١٥٧/٧: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» اهـ

قلت : صحح سننه السيوطي في الإتيان (أبوالفضل) ١٨٥/١.

وأخرج الطبراني في كتاب الدعاء ١١٤٤/٢ حديث رقم (٧٥٠) عن عبدالله بن زبير قال: «قال لي عبدالملك بن مروان ما حملك على حب أبي تراب إلا أنك أعرابي جاف. فقلت: والله لقد قرأت القرآن قبل أن يجتمع أبواك، لقد علمني سورتي علمهما إياه رسول الله ﷺ ما علمتهما أنت ولا أبوك: «اللهم إنا نستعينك ونستغفرك... الحديث.

قلت : هذا حديث ضعيف منكر و ضعفه محقق كتاب «الدعاء».

وهناك روايات أخرى في الباب أوردها عبدالرزاق في المصنف ١٠٥/٣-١٢٣ وانظر الإتيان للسيوطي ١٨٤-١٨٥، «الدر المنثور» ٦٩٥-٦٩٨.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٤-٢٥ باختصار وتصرف.

الكثيرة التي وجهها إبراهيم بن سيار أبو اسحاق النظام المعتزلي (٢٣١هـ) إلى ابن مسعود أنه جحد من كتاب الله تعالى سورتين (١).

ولم تفت هذه الشبهة النصارى فاستغلوها في الطعن في القرآن العظيم، حتى جاء مُدْرَه القوم اليهودي المجري تسيهر ينفث سمومه الخبيثة من خلال حديثه عن أصحابين الجليلين عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب متخذا من الروايات المنقولة عنهما في زيادة قراءتهما على القراءات المستفيضة المتواترة حجة الحجج على الطعن في القرآن العظيم بالنقصان والزيادة.

يقول جولد تسيهر: «وقد رويت أمثال تلك الزيادات في النص عن إثنين من صحابة الرسول (ﷺ) بوجه خاص، تظهر في قراءتهما على وجه العموم أشد الاختلافات التي تمس حتى محصول السور، وكلاهما من أعظم المعلمين مقاما في أقدم طبقة إسلامية عبدالله بن مسعود و أبي بن كعب رضي الله عنهما وقد انتفع فعلا رجال الجدل المسيحيون بقراءات الأول فاتخذوها حجة للطعن في صحة القراءات .

وعلى الرغم مما نال النص القرآني في قراءتهما من تغييرات بعيدة المدى - ليس فقط من حيث الحروف والحركات والكلمات كما ذكرنا - فقد تمتعا بالإجلال على أنهما خير حجج النص القرآني... الخ» (٢).

هذا حاصل هذه الشبهة .

(١) تأويل مختلف الحديث ص ١٨ .

(٢) مذاهب التفسير الاسلامي ص ١٦-٢١ .

رد الشبهة الثالثة :

تنوعت و جهة أهل العلم أمام هذه الشبهة ، ويمكن حصرها في موقفين أو إتجاهين :

الاتجاه الأول : التسليم بصحة الروايات الواردة في ذلك مع الجمع بينها وبين ما تواتر عن عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهما في القراءات المتواترة.

ويمكن أن يسمى هذا الاتجاه بـ«مسلك الجمع والتوفيق بين الآثار الواردة في المسألة» حيث تتأول الآثار التي استدلت بها الطاعنون بأحد التأويلات.

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) مَرَجَّحاً لهذا المسلك : «الطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يُقبل، بل الرواية صحيحة والتأويل محتمل» اهـ (١).

قلت : والتأويلات التي يمكن أن تحمل عليها الروايات السابقة هي التالية :

١ - تأويل سفيان بن عيينة (٢):

عن سفيان عن عبدة (٣) وعاصم عن زر بن حبيش قال: قلت لأبي: «إن أخاك يحكمهما من المصحف فلم ينكر. قيل لسفيان: ابن مسعود؟. قال: نعم، وليس في مصحف ابن مسعود؛ كان يرى رسول الله ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين ولم يسمعه يقرؤهما في شيء من صلاته فظن أنهما عوذتان، وأصر على ظنه، وتحقق الباكون كونهما من القرآن فأودعهما إياه» (٤).

وقد اعتمد هذا التأويل ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) رحمه الله فيقول: «وأما نقصان «مصحف عبد الله» بحذفه «أم الكتاب» و «المعوذتين» وزيادة أبي بسورتي القنوت؛ فإنا لا نقول: إنَّ عبد الله وأبياً أصاباً وأخطأ المهاجرون والأنصار، ولكن عبد الله ذهب فيما يرى أهل النظر إلى أن المعوذتين كانتا

(١) فتح الباري ٧٤٣/٨.

(٢) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أن حفظه تغير بأخرة وكان ربما دلس عن الثقات مات في رجب سنة ١٩٨هـ. التقريب ص ٢٤٥.

(٣) عبدة بن أبي لبابة الأسدي مولاهم، ويقال: مولى قريش، أبو القاسم البزاز الكوفي، نزيل دمشق ثقة. التقريب ص ٣٦٩.

(٤) أثر صحيح .

أخرجه أحمد في المسند ١٣٠/٥ بسند صحيح.

كالعوذة والرقية وغيرها، وكان يرى رسول الله ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين وغيرهما، كما كان يعوذ بـ «أعوذ بكلمات الله التامة...» (١) وغير ذلك، فظن أنهما ليستا من القرآن وأقام على ظنه ومخالفة الصحابة جميعا...

....

وإلى نحو هذا ذهب أبي في دعاء القنوت؛ لأنه رأى رسول الله ﷺ يدعو به في الصلاة دعاء دائما فظن أنه من القرآن، وأقام على ظنه ومخالفة الصحابة.

وأما فاتحة الكتاب، فإني أشك فيما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من تركه إثباتها في مصحفه، فإن كان هذا محفوظا فليس يجوز لمسلم أن يظن به الجهل بأنها من القرآن وكيف يظن به ذلك وهو من إشد الصحابة عناية بالقرآن، وأحد الستة الذين انتهى اليهم العلم....

ولكنه ذهب فيما يظن أهل النظر إلى أن القرآن إنما كتبت وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان، والزيادة والنقصان ورأى ذلك لا يجوز على سورة الحمد لقصرها، ولأنها تتثنى في كل ركعة؛ ولأنه لا يجوز لأحد من المسلمين ترك تعلمها وحفظها، كما يجوز ترك تعلم غيرها وحفظه؛ إذ كانت لا صلاة إلا بها.

فلما أبن عليها العلة التي من أجلها كتب المصحف ترك كتابتها وهو يعلم أنها من القرآن.

ولو أن رجلا كتب في المصحف سورا وترك سورا لم يكتبها لم نر عليه في ذلك وكفاً (٢) إن شاء الله تعالى اهـ (٣).

قلت : وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن هذا التأويل قائم على أساس أن ابن مسعود رضي الله عنه لم يثبت عنده القطع بكون المعوذتين من القرآن، ثم حصل الاتفاق بعد ذلك.

وقد حكى ابن حجر عن ابن الصباغ قوله في مانعي الزكاة: «وإنما قاتلهم أبوبكر على منع الزكاة ولم يقل أنهم كفروا بذلك، وإنما لم يكفروا؛ لأن

(١) ثبت تعويذه ﷺ للحسن والحسين بـ «أعبدكما بكلمات الله التامة...» أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ والترمذي في كتاب الطب باب رقم (١٨) حديث رقم (٢٠٦١) وأبوداود في كتاب السنة باب في القرآن حديث رقم (٤٧٣٧).

(٢) الوكف : الإثم والعيب. لسان العرب ٣٦٣/٩.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٤٢-٤٩ باختصار.

الاجماع لم يكن استقر، قال: ونحن الآن نكفر من جردها، قال: وكذلك ما نقل عن ابن مسعود: في المعوذتين.
(قال ابن حجر:) يعني أنه لم يثبت عنده القطع بذلك ثم حصل الاتفاق بعد ذلك اهـ (١).

(٢) مما سبق يزول الإشكال الذي أورده الرازي حيث قال: «إن قلنا: إن النقل المتواتر كان حاصلًا في عصر الصحابة يكون سورة الفاتحة من القرآن؛ فحينئذ كان ابن مسعود عالماً بذلك، فإنكاره يوجب الكفر أو نقصان العقل.

وإن قلنا: إن النقل المتواتر في هذا المعنى ما كان حاصلًا في ذلك الزمان فهذا يقتضي أن يقال: إن القرآن ليس بمتواتر في الأصل وذلك يخرج عن كونه حجة يقينية (يعني: يلزم أن بعض القرآن لم يتواتر).
قال: «وهذا في غاية الصعوبة» اهـ (٢).

قلت: هذا اللازم الذي ذكره الرازي غير لازم، إذ يحتمل أن القرآن كان متواترًا في عصر ابن مسعود لكن لم يتواتر عنده جميعه (٣) إذ ليس من شرط التواتر أن يتواتر عند كل أحد والله أعلم.

(٣) يقدح في هذا التأويل - الذي ذكره سفيان بن عيينة واعتمده ابن قتيبة - أنه ثبت عن ابن مسعود و أبي بن كعب عدهما المعوذتين والفاتحة من القرآن، وعدم عدهما دعاء القنوت من القرآن، وذلك فيما تواتر عنهما من قراءة، وهذا يدل إما على رجوعهما عما نقل عنهما، وإما أن ذلك الفعل الذي صدر منهما له محمل غير إنكار قرآنية الفاتحة، وغير اعتبار ذلك الدعاء قرآنًا، لكن رجوعهما لم ينقل عنهما صريحًا بل يمكن أن يقال: إن عدم نقل ذلك عنهما يدل على أنهما أقاما على ذلك، فيبقى إذا أن يكون لذلك محمل عنهما غير ما تقدم.

وبهذا تعلم أن المخالفة لا زالت قائمة، وإذ لم تكن هذه الطريقة في التأويل كافية إنتقلنا إلى التأويل الثاني:

٢ - تأويل القاضي أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ):

يتركز تأويل القاضي أبي بكر في قضية عدم كتابة ابن مسعود رضي الله عنه للمعوذتين في مصحفه، إذ يرى أن ابن مسعود لم ينكر قرآنيتهما، لكنه كان يرى أن لا يكتب في المصحف إلا ما أمر الرسول بكتابته، ولم يثبت عنده ذلك

(١) فتح الباري ٧٤٣/٨.

(٢) التفسير الكبير للرازي ٢١٨/١ بتصرف يسير.

(٣) فتح الباري ٧٤٣/٨.

في المعوذتين فلم يكتبهما .

وفي ذلك يقول الباقلاني: «أما دعوى من ادعى أن ابن مسعود أنكر أن تكون المعوذتان قرآنا منزلا وجحد ذلك؛ فإنها دعوى تدل على جهل من ظن صحتها، وغباوته، وشدة بعده عن التحصيل وعلى بهت من عرف حال المعوذتين وحال عبد الله وسائر الصحابة.

لأن كل مسلم عاقل سليم الحس يعلم أن عبد الله لم يجحدهما و لا أنكرهما، ولا دفع أن يكون النبي تلاهما على الأمة وأخبر أنهما منزلتان من عند الله، وأنه أمر بأن يقولهما على ما قيل له في أولهما، وكيف يمكن ابن مسعود أو غيره من الصحابة جحد ذلك وانكاره، وذلك مما قد أعلنه الرسول وأظهره، وتلاه وكرره، وصلى به وجهر به في قراءته، وخبر أنه من أفضل ما أنزل عليه، وكشف عن ذلك وأبانه».

ثم قال الباقلاني رحمه الله : «إن عبد الله بن مسعود لا يجوز منه مع عقله وتمييزه وجريان التكليف عليه أن يحمل نفسه على جحد المعوذتين وانكار نزولهما ، وأن الله أوحى بهما إلى نبيه .

ومما يوضح ذلك ويبينه أنه لو كان قد جحد المعوذتين وأنكرهما مع ظهور أمرهما وإقرار جميع الصحابة بهما؛ لم يكن بد من أن يدعوه داع الى ذلك، وأن يكون هناك سبب بعثه عليه ولو كان هناك سبب حداه على ذلك وحركه للخلاف فيه؛ لوجب في موضع العادة أن يحتج به ويذكره ويعيد به ويبيديء، ويكثر إعتداده له، وتعويله عليه، وظهوره عنه وانتشاره وحصول العلم به؛ إذ كان خلافا في أمر عظيم وخطر جسيم

ولو كان منه هذا الخلاف مع الصحابة لوجب أن يعظم ردهم عليه، ويغلظ قولهم له، والحكم عيه بالكفر والردة، وأنه بمثابة من جحد جميع كتاب الله، وأن يطالبوا الامام باقامة حق الله عليه في ذلك .

وفي عدم ظهور ذلك كله وحدوثه أوضح دليل على أنه لم يكن منه - قط - جحد المعوذتين وإنكار لكونهما قرآنا منزلا «(١).

وقال الباقلاني : «لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرآن وإنما أنكر إثباتهما في المصحف فإنه كان يرى أن لا يكتب في المصحف شيئا إلا إن كان النبي ﷺ أذن في كتابته فيه ، وكأنه لم يبلغه الإذن في ذلك.

(١) نقل هذا عن الباقلاني : سيد صقر في هامش تأويل مشكل القرآن بتحقيقه ص ٤٣-٤٤ .

قال : فهذا تأويل منه ، وليس جدا لكونهما قرآنا» اهـ (١).

قلت : وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن الباقلاني رحمه الله في الوقت الذي قبل فيه الروايات عن ابن مسعود في إنكاره للمعوذتين، وتأولها ، في الوقت الذي رد فيه الروايات عن أبي بن كعب في كتابته لسورتي القنوت .

(٢) أن الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) استحسّن تأويل الباقلاني وقال : «هو تأويل حسن إلا أن الرواية الصحيحة الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك حيث جاء فيها : «ويقول : إنها ليستا من كتاب الله» نعم يمكن حمل لفظ كتاب الله على المصحف فيتمشى التأويل المذكور» اهـ (٢).

(٣) يمكن تأول ما ورد عن أبي بن كعب من كتابته لدعاء القنوت في مصحفه أنه لم يكتبه على أنه قرآن وإنما كان - رضي الله عنه - يكتبه على أنه دعاء سمعه من الرسول ﷺ، ويسهل تصور هذا إذا علمنا أن بعض الصحابة كان يكتب تفسير الآيات على هامش الصفحة التي فيها القرآن، أو بين الآيات نفسها، ويؤكد: أن الروايات المتواترة عنه في القرآن ليس فيها هذا الدعاء، وأنه لو كان يكتبه على أنه قرآن لما أقر اسقاطها من المصحف الذي جمعه عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين والله أعلم.

(١) انظر فتح الباري ٧٤٣/٨ .

(٢) ما سبق .

الاتجاه الثاني : الرد والتكذيب للروايات التي اعتمدت عليها هذه الشبهة، وحجتهم في هذا التكذيب أنه قد تواتر عن عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهما بعض القراءات المتواترة :
فأسند عاصم قراءته إلى علي بن أبي طالب وابن مسعود .
و أسند نافع وابن كثير و أبو عمرو قراءته إلى أبي بن كعب .
وأسند حمزة قراءته إلى علي بن أبي طالب وعثمان وابن مسعود وابن عباس .

وكذا الكسائي لأنه قرأ على حمزة (١).
وقد ثبتت الفاتحة والمعوذتان في هذه القراءات المتواترة عنهما، ولم ينقل فيها ما نسب إلى ابن مسعود وأبي بن كعب من سورة دعاء القنوت؛ فكان في هذا ما يدل على كذب ما نسب إليهما وبطلانه.
ونقل هذا عن الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) [في قضية أبي بن كعب خاصة] وابن حزم (ت ٥٦٤هـ) والرازي (ت ٦٠٦هـ) والنووي (ت ٦٧٦هـ) على ما نبينه :
١ - أما الباقلاني فقال : «ثم إذا صرنا إلى القول فيما روى عنه من اثبات هذا الدعاء في مصحفه؛ لم نجده ظاهرا منتشرا و لا مما يلزم قلوبنا العلم بصحته ، ويلزمنا الإقرار به والقطع على «أبي» بأنه كتب ذلك، بل إنما يروى ذلك من طرق يسيرة نزره، رواية الآحاد التي لا توجب العلم ولا تقطع العذر ولا ينبغي لمسلم - عرف فضل «أبي» وعقله وحسن هديه، وكثرة علمه و معرفته بنظم القرآن، وما هو منه، مما ليس من جملة - أن ينسب إليه أنه كتب دعاء القنوت في مصحفه أو اعتقد أنه قرآن فإن اعتقاد كونه قرآنا أبين وأفحش في الغلط من كتابته في المصحف... فإذا كان كذلك سقط التعلق بهذه الرواية سقوطا ظاهرا .

ومما يدل على وهاء هذا الخبر عن «أبي» علمنا بأن «عثمان» تشدد في قبض المصاحف المخالفة لمصحفه وفي المطالبة بها وتحريقها، وإذا كان ذلك كذلك؛ لكانت العادة توجب أن يكون «مصحف أبي» أول مقبوض ومأخوذ، وقد جاءت الرواية عن محمد والطفيل ابني أبي بن كعب أنهما قالا لو قد أصحاب عبد الله عليهما بطلب مصحف أبيهما : «إنَّ عثمان قد قبضه منه»
وإذا كان ذلك كذلك وجب أن يكون «مصحف أبي» الذي فيه إثبات هذا الدعاء - إن كان ذلك على ما روي - مما قد أخذ و قبض فكيف بقي حتى رآه

الناس ورووا أنه كان عند أنس بن مالك، ويقول بعضهم : هذا لا أصل له، وقد رأينا «مصحف أنس» الذي ذكر أنه «مصحف أبي» وكان موافقا لمصحف لجماعة بغير زيادة ولا نقصان ؟.

ولو صح وثبت أنه وجد مصحف ينسب إلى «أبي» فيه دعاء القنوت لوجب أن يعلم أنه مكذوب موضوع، قصد بوضعه إفساد الدين، وتفريق كلمة المسلمين والقدح في نقلهم والطعن في مصحفهم الذي هو إمامهم اهـ (١).

٢ - أما ابن حزم فقال : «كل ماروي عن ابن مسعود أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه ؛ فكذب موضوع لا يصح وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود وفيها أم القرآن والمعوذتان» اهـ (٢).

وقال أيضا : «أما قولهم : إن مصحف عبد الله بن مسعود خلاف مصحفنا ؛ فباطل وكذب وإفك ، مصحف عبد الله إنما فيه قراءته بلا شك ، وقراءته هي قراءة عاصم المشهورة عند جميع أهل الاسلام في شرق الدنيا وغربها ، نقرأ بها وبغيرها مما قد صح أنه كله منزل من عند الله تعالى» اهـ (٣).

٣ - أما الرازي فقال : «ثقل في الكتب القديمة أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة من القرآن، وكان ينكر كون المعوذتين من القرآن.

واعلم أن هذا في غاية الصعوبة؛ لأننا إن قلنا : إن النقل المتواتر كان حاصلًا في عصر الصحابة بكون سورة الفاتحة من القرآن فحينئذ كان ابن مسعود عالما بذلك، فإنكاره يوجب الكفر أو نقصان العقل.

وإن قلنا : إن النقل المتواتر في هذا المعنى ما كان حاصلًا في ذلك الزمان فهذا يقتضي أن يقال: إن نقل القرآن ليس بمتواتر في الأصل وذلك يخرج القرآن عن كونه حجة يقينية.

والأغلب على الظن أن نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل كاذب باطل، وبه يحصل الخلاص عن هذه العقدة» اهـ (٤).

(١) الإبتصار لوحة ٨٠/أ بواسطة نقل سيد صقر في هامش تأويل مشكل القرآن بتحقيقه ص ٤٧.

(٢) المحلى ١٣/١.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٧٧/٢ وقال ذلك في معرض رده على عتراض اليهود والنصارى به على المسلمين.

(٤) التفسير الكبير ٢١٨/١، وتقدم ص ٢٧٧ الجواب عن هذه العقدة التي يراها الرازي.

٤ - أما النووي فقال : «أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن، وأن من جحد منهما شيئاً كفر». وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح» اهـ (١). قلت : وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن العلماء الذين حكموا بكذب هذه الروايات و ردها لم يغفلوا - إن شاء الله - عن صحة أسانيد بعضها ، ولكنهم - رحمهم الله - رأوا أن هذه الروايات مع صحة سندها تتضمن علة قاذحة في المتن ، وهي مخالفتها لما تواتر عن ابن مسعود وأبي بن كعب ، ومعلوم أن العلة الخفية القاذحة يكون الظاهر السلامة منها ؛ لذلك حكموا بكذب هذه الروايات و ردها والله أعلم.

(٢) ما نسب إلى عبد الله بن مسعود من حذفه للفاتحة لم أقف على أسانيده لكن أورد السيوطي الأثرين التاليين :

أ - عن محمد بن سيرين : «أن أبي بن كعب كان يكتب فاتحة الكتاب والمعوذتين واللهم إنا نستعينك واللهم أياك نعبد ولم يكتب ابن مسعود شيئاً منهن، وكتب عثمان منهن فاتحة الكتاب والمعوذتين» (٢).

ب - عن إبراهيم : «كان عبد الله لا يكتب فاتحة الكتاب في المصحف وقال لو كتبتها لكتبت في أول كل شيء» (٣).

وهذان الأثران ليس فيهما أن ابن مسعود ينكر قرآنية الفاتحة ، بل في الأثر الثاني ما يثبت أنه يرى قرآنيته ويعلل عدم كتابتها بأنه يرى أن تكتب أول كل شيء، وهذا منه تعظيم للفاتحة، غايته - والله أعلم - حمل الناس على حفظها في الصدور لاحتياجهم إليها في صلواتهم والله أعلم .

(٣) أن الباقلاني يكذب ما نسب إلى أبي بن كعب من كتابته دعاء القنوت في مصحفه في الوقت الذي قبل فيه ما نسب إلى ابن مسعود من عدم كتابته للمعوذتين في مصحفه، وتأوله كما سبق في الاتجاه الأول.

(١) انظر فتح الباري ٧٤٣/٨ .

(٢) عزاه في الدر المنثور ١٠/١ إلى عبد بن حميد ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة وابن الأنباري في المصاحف .

وعزاه في الإتيان (أبوالفضل) ١٨٤/١ إلى أبي عبيد وقال في الإتيان (٢٢٢/١) أيضا : «أخرجه أبو عبيد بسند صحيح» اهـ

(٣) عزاه في الدر المنثور ١٠/١ إلى عبد بن حميد . ثم رأيت القرطبي في تفسيره ١١٤/١ يسوقها بإسناد ابن الأنباري عنه ، وإسناده صحيح والله أعلم .

الخلاصة :

أن الروايات عن ابن مسعود في عدم كتابته للمعوذتين وعن أبي بن كعب في كتابته دعاء القنوت في مصحفه يجاب عنها بأحد مسلكين :
المسلك الأول : إما بردها وتكذيبها وعدم قبولها لمخالفتها المتواتر عنهما، واللائق بهما.

المسلك الثاني : وإما بقبولها وتأولها كما يلي :
بالنسبة لعبد الله بن مسعود يقال : إنه لم ينكر قرآنية المعوذتين وإنما أنكر كتابتهما في المصحف، وكذا الفاتحة لأن الواجب على كل مسلم حفظها في صدره.

وبالنسبة لأبي بن كعب يقال : إنه لم يكتب دعاء القنوت في مصحفه على أنه قرآن ، وإنما لأنه سمعه من رسول الله ﷺ ورآه يحافظ عليه.
ويؤكد هذا أن المتواتر عنهما هو ما عليه الجماعة والله أعلم .
وبهذا تسقط هذه الشبهة - إن شاء الله تعالى - وبالله التوفيق .

الفصل الثاني : الشبه في رسم المصحف وردها .

يُعد رسم المصحف العثماني ركنا من أركان القراءة الصحيحة المقبولة ؛ لذا كان الطعن فيه ، تشكيكا في صحة القراءات . من أجل ذلك حرص الملحدون على استغلال بعض الروايات يطعنون بها في صحة رسم المصحف العثماني ، ليصلوا بذلك إلى إسقاط القراءات أو التشكيك فيها على أدنى الأحوال .

وفي هذا المجال قرر علماء القراءات الحقائق التالية :

(١) أن الصحابة كانوا من أحرص الناس على نقل القرآن إلى الأمة بأعلى درجات الضبط والإتقان .

(٢) أن المصحف العثماني موافق في رسمه للقراءة التي تلقاها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم عن رسول الله ﷺ على وفق الحرف الذي أراد عثمان رضي الله عنه جمع الناس عليه .

(٣) أن رسم المصحف العثماني منقول إلينا خلفا عن سلف كما كتبه الصحابة رضوان الله عليهم دون زيادة أو نقص ، غير الشكل والنقط .

(٤) أن شكل القرآن ونقطه يعتمد على القراءات المتلقاة عن رسول الله ﷺ .

هذه الحقائق أراد بعض الملحدين إبطالها فجاء بشبهه ، واستند إلى روايات بعضها باطل و بعضها صحيح وضعها الملحدون في غير موضعها فلم ينفع كيدهم شيئا - بحمد الله - إذ أن الله حفظ كتابه . وسأورد هذه الشبه مع ردها - إن شاء الله تعالى - .

ويشتمل هذا الفصل على رد الشبه التالية :

الشبهة الأولى : وقوع الخطأ في رسم المصحف واستمرار القراءة به .

الشبهة الثانية : الحجاج بن يوسف غير أحد عشر حرفا من المصحف العثماني .

وإليك البيان :

الشبهة الأولى : وقوع الخطأ في رسم المصحف، واستمرار القراءة على مقتضى ذلك الخطأ.

وتقوم هذه الشبهة على الآثار التالية :

١ - عن هشام بن عروة عن أبيه قال : «سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَٰنَ﴾ [طه:٦٣] وعن قوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [النساء:١٦٢] وعن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ [المائدة:٦٩].

فقلت : يابن أخي هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب» (١).

قلت : تقصد رضي الله عنها أن الأصل : «إن هذين» بالنصب «والمقيمون» بالرفع عطفًا على المرفوع قبلها، «والصابئين» عطفًا على المنصوب قبلها.

٢ - عن الزبير أبي خالد قال : قلت لأبان بن عثمان بن عفان: «ما شأنها كتبت ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ، وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [النساء:١٦٢] ما بين يديها وما خلفها رفع وهي نصب؟.

قال : إن الكاتب لما كتب : ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ...﴾ حتى إذا بلغ قال: ما أكتب؟.

قليل له : أكتب: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ فكتب ما قيل له. (٢).

(١) أثر صحيح.

أخرجه الفراء في «معاني القرآن» بسنده ١٨٣/٢، ١٠٦/١ وأبو عبيد في «فضائل القرآن» ص ٢٢٩ تحت رقم (٥٥٦) والطبري في تفسيره (شاكراً) ٣٩٥/٩ وابن أبي داود في «المصاحف» ص ٤٣ والداني في المقنع ص ١٢٢ من طريق أبي عبيد . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٤٤/٢ إلى سعيد بن منصور وابن أبي شيبه وابن المنذر وساقه في «الإتقان» ٢٦٩/٢ (أبو الفضل) بإسناد أبي عبيد وقال: «هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين» اهـ.

(٢) أثر ضعيف .

أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص ٢٣١ تحت رقم (٥٥٨) والطبري في تفسيره (شاكراً) ٣٩٤/٩-٣٩٥ وابن أبي داود في «المصاحف» ص ٤٢-٤٣.

قلت : مدار طرقه عندهم على: «الزبير أبي خالد» مجهول العين والحال، ترجم له

٣ - عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧] قال: «إنما هي خطأ من الكاتب «حتى تستأذنوا وتسلموا»» (١).

٤ - عن عكرمة عن ابن عباس : «أنه كان يقرأ قوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١] أنه كان يقرأها: «أفلم يتبين الذين آمنوا»
قال : كتب الكاتب الأخرى وهو ناعس» (٢).

٥ - عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر القرشي قال : «لما فرغ من المصحف أتني به عثمان فنظر فيه فقال : «قد أحسنتم وأجملتم أرى فيه شيئاً من لحن ستقيمه العرب بالسنتها»» (٣).

= البخاري في تاريخه الكبير ٤١٣/٣ وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٥٨١/٣ وابن حبان في الثقات ٣٣٣/٦ ولم يزيّدوا في ترجمته على سطر واحد نصه : «أبو خالد شيخ يروي عن أبان بن عثمان، روى عنه حماد بن سلمة» اهـ وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٧٤٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

وقـــــــــــــــــع في «فضائل القرآن» لأبي عبيد : «الزبير أبو عبد السلام» بدلا من «الزبير أبو خالد» ويغلب على ظني أنه تصحيف .

والزبير أبو عبد السلام له ترجمة في التاريخ الكبير ٣٧٨/٣ والجرح والتعديل ٥٨٤/٣ وتعجيل المنفعة ص ١٣ وهو مجهول الحال فالأثر ضعيف على أي حال والله أعلم .

(١) أثر صحيح .

أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص ٢٦٣ تحت رقم (٦٣٧) والطبري في تفسيره (دار الفكر) ١٠٩/١٨ بأسانيد صحيحة، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٣٩٦/٢ وصححه على شرط الشيخين .

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ١٧١/٦ إلى الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف والبيهقي في شعب الإيمان والضياء في المختارة .

(٢) أثر صحيح .

أخرجه الطبري في تفسيره (شاکر) ٤٥٢/١٦ وصححه الشيخ محمود شاكر .

(٣) أثر حسن لغيره .

أخرجه ابن أبي داود في كتاب «المصاحف» ص ٤١ وابن أشته في كتاب «المصاحف» وساقه بسنده السيوطي في «الإتقان» (أبو الفضل) ٢٧٢/٢ ولفظه : «عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر قال : «لما فرغ من المصحف أتني به عثمان فنظر فيه فقال : أحسنتم وأجملتم، أرى شيئاً ستقيمه بالسنتنا»

قلت : و«عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر» مقبول كما قال الحافظ في التقریب

= ص ٣٣١ ، وفي السند أيضا الحارث بن عبدالرحمن بن عبدالله الدوسي صدوق يهم
كما في «التقريب» ص ١٤٦ .

لكن يشهد له ويرقيه إلى مرتبة الحسن لغيره ما يلي :

(١) ما رواه ابن أبي داود في «المصاحف» ص ٤١ من طريق يونس بن حبيب عن بكر
بن بكار قال حدثنا أصحابنا عن أبي عمرو عن قتادة أن عثمان لما رفع اليه المصحف
قال : «إن فيه لحنا ستقيمه العرب بالسنتها»

قلت : هذا أثر ضعيف لما يلي :

قتادة لم يسمع من عثمان . «المراسيل» لابن أبي حاتم ص ١٣٩ .

جهالة أصحاب بكر بن بكار .

بكر بن بكار سيء الحفظ . «لسان الميزان» ٤٨/٢ .

(٢) وما رواه ابن أبي داود في «المصاحف» ص ٤١ من طريق يونس بن حبيب عن أبي
داود عن عمران بن دوار القطان عن قتادة عن نصر بن عاصم الليثي عن عبدالله بن
فطيمة عن يحيى بن يعمر قال : قال عثمان بن عفان رضي الله عنه : «في القرآن لحن
ستقيمه العرب بالسنتها»

ورواه من طريق إسحاق بن إبراهيم عن أبي داود به .

ورواه الداني في «المقنع» ص ١٢١ من طريق أحمد بن زهير عن عمرو بن مرزوق عن
عمران به .

قلت : هذا أثر ضعيف ، لما يلي :

قتادة مدلس وقد عنعن . تعريف أهل التقديس (دار الكتب العلمية) ص ١٠٢ .

عبدالله بن فطيمة مجهول الحال . التاريخ الكبير ١٧٠/٥ الثقات لابن حبان ٤١/٧ .

يحيى بن يعمر لم يسمع من عثمان . المقنع ص ١١١ .

وقد أشار البخاري في التاريخ الكبير ١٧٠/٥ إلى إنقطاع هذا الطريق فقال : «عبدالله
بن فطيمة عن يحيى بن يعمر ، روى قتادة عن نصر بن عاصم ، منقطع» هـ ولم يزد على
هذا في ترجمته ، وكذا ابن حبان في «الثقات» .

ويلاحظ ما يلي :

(أ) وقع في كتاب «المصاحف» لابن أبي داود ص ٤١ : «عمران بن داود» بالدال
المهمل ، وهو تصحيف ، والصواب : «عمران بن داود» بالراء المهمل ، كما نص عليه في
التقريب ص ٤٢٩ .

(ب) ووقع فيه أيضا وفي التاريخ الكبير للبخاري ١٧٠/٥ : «عبدالله بن فطيمة» ،
وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٣٧/٥ : «عبدالله بن أبي فطيمة» وكذا في «المقنع»
للداني ص ١٢١ وهما واحد .

(٣) وما رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص ٢٢٦ تحت رقم (٥٥٥) عن خجاج عن
هارون بن موسى عن الزبير بن الخريت عن عكرمة قال : لما كتبت المصاحف عرضت
على عثمان فوجد فيها حروفا من اللحن ، فقال : «دعوها فإن العرب ستغيرها» (أو قال :
ستعربها) بالسنتها ، ولو كان الكاتب من ثقيف و المملي من هذيل لم توجد هذه الحروف
قلت : وهو أثر منقطع عكرمة لم يسمع عثمان كما قال الداني في «المقنع» ص ١١٩ .
ومجموع هذه الأسانيد يقوي الأثر السابق ويرقيه إلى درجة الحسن لغيره والله أعلم .

٦ - عن عكرمة الطائي قال : «لما أتى عثمان رضي الله عنه لمصحف رأى شيئاً من لحن فقال : لو كان المملي من هذيل والكاتب من نيف لم يوجد فيه هذا» (١).
وقد حكى ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) عن الطاعنين في القرآن احتجاجهم بهذه الآثار في نسبة الخطأ إلى القرآن العظيم (٢).

(١) أثر حسن لغيره .
أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص ٢٢٦ تحت رقم (٥٥٥) وابن أبي داود في «المصاحف» ص ٤٢ و... في المقنع ص ١٢٠-١٢١ .
وعزاه السيوطي في «الإتقان» (شاکر) ٢/ ٢٧٩ إلى ابن الأنباري في كتاب «الرد على من خالف مصحف عثمان» وابن اشتة في كتاب «المصاحف» .
قلت : الأثر أعله الدائي بالانقطاع فإن عكرمة لم يسمع من عثمان . «المقنع» ص ١١٩ .
لكن الأثر ورد ما يقويه ويرقيه إلى مرتبة الحسن لغيره انظر الأثر الذي قبله .
(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٥-٢٦، ٥٠.

الرد على الشبهة الأولى :

يتلخص الرد على هذه الشبهة في أحد الطريقتين التاليين :

الأول : النظر في هذه الآثار من جهة السند .

الثاني : النظر في هذه الآثار من جهة المتن .

أما من جهة السند :

فإن هذه الآثار على قسمين :

(أ) آثار في درجة القبول، إما صحيحة السند وإما حسنة السند

وإما ضعيفة السند قد تقوّت ببعضها وترقت إلى مرتبة الحسن لغيره .

وهي التي تحمل الأرقام التالية : (٦٥٥،٤٣،١) .

(ب) آثار ضعيفة السند، وهو الأثر رقم : (٢) .

وهذا الأثر الضعيف لا نتشغل بالرد عليه .

وأما الجواب عن الآثار الأخرى فهو التالي :

ما روي عن عائشة : « أخطأوا في الكتاب » وابن عباس : « إنما هي خطأ من الكاتب » فإن مرادهما رضي الله عنهما بالخطأ: أنهم أخطأوا في إختيار الأولى من الأحرف السبعة بجمع الناس عليه، لا أن الذي كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز لأن ما لايجوز مردود باجماع، وإن طال مدت وقوعه، وعظم قدر موقعه، وهذا جواب ابن اشته (١) (ت٣٦٠هـ) وابن جباره أحمد بن محمد المقدسي (٢) (ت٧٢٨هـ) ونقله الداني (٣) (ت٤٤٤هـ) عن بعض أهل العلم.

ماروي عن عثمان رضي الله عنه : « قد أحسنتم وأجملتم أرى فيه شيئاً من لحن ستقيمه العرب بالسنتها » فكلها ابتداء روايات ضعيفة لا يقوم بواحد منها حجة عند الإنفراد، ومن ثمّ فلاحجة فيها إلا إذا اعتضد بعضها ببعض و يلاحظ التالي:

(أ) أن ابن اشته أخرجه في كتاب المصاحف بلفظ: «عن

عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر قال: «لما فرغ من المصحف أتى به عثمان

(١) نقله في الإتيان (أبوالفضل) ٢٧٢/٢-٢٧٣ .

(٢) ماسبق .

(٣) المقنع ص ١٢٢ .

فنظر فيه فقال: «أحسنتم وأجملتم أرى شيئا سنقيمه بالسنتنا» (١).

(ب) والأثر بهذا اللفظ الذي في رواية ابن اشته لا إشكال فيه، بل به يتضح معنى اللفظ المتقدم - فلا بد أن تحمل الروايات على معنى هذه الرواية تحسينا لها وإلا وجب ردها لأن متنها لا يقوى على معارضة المتواتر من القرآن لو كان هذا المتن صحيحا فكيف وهو متهافت لا يقوم إلا مستندا على غيره؟ - فكأن المصحف عرض على عثمان رضي الله عنه عقب الفراغ من كتابته فرأى فيه شيئا مكتوبا على غير لسان قريش، كما وقع لهم في لفظة: «التابوه» و«التابوت»؛ فوعد بأنه سيقومه على لسان قريش، ثم وفى بهذا عند العرض والتقويم ولم يترك فيه شيئا، ولعل من روى تلك الآثار السابقة عنه حرفها، ولم يتقن اللفظ الذي صدر عن عثمان فلزم منه مالزم من الإشكال. وهذا جواب ابن اشته (٢) (ت ٣٦٠هـ).

قلت : ويلاحظ مايلي :

(١) أن هذا الجواب مبني على أن معنى «اللحن» في الروايات السابقة اللغة، وهذا المعنى قرره كتب اللغة في معاني هذه المادة: «ل. ح. ن.» (٣).

(٢) وهذا المعنى في تفسير كلمة «اللحن» ذكره ابن أبي داود عقب إيراد لقول عثمان بن عفان رضي الله عنه : «أرى فيه شيئا من لحن ستقيمه العرب بالسنتها»

قال ابن أبي داود رحمه الله : «هذا - عندي - يعني بلغاتها وإلا لو كان فيه لحن لا يجوز في كلام العرب جميعا لما استجاز أن يبعث به إلى قوم يقرأونه» اهـ (٤).

وقال أيضا في موضع آخر : «لا يجوز أن يجتمع أهل الأمصار كلها وأصحاب النبي ﷺ معهم على الخطأ وخاصة في كتاب الله عزوجل وفي سنن الصلاة» اهـ (٥).

(٣) أن المقصود فيما سبق باللغات أنهم كتبوه بلغات نزل بها القرآن في قراءات غير القراءة التي أراد عثمان رضي الله عنه جمع

(١) تقدم تخريجه ص ٢٨٧، وانظر الإتيان (أبوالفضل) ٢/٢٧٢.

(٢) الإتيان (أبوالفضل) ٢/٢٧١-٢٧٢.

(٣) لسان العرب ١٣/٣٧٩-٣٨٣.

(٤) المصاحف لابن أبي داود ص ٤١.

(٥) المصاحف لابن أبي داود ص ٨٧.

الصحابة عليها، وهي القراءة على وفق لسان قريش.
قلت : فسّر بعض أهل العلم كلمة «اللحن» بـ«القراءة واللغة» والمعنى:
إن في القرآن ورسم مصحفه وجهها في القراءة لا تلين به السنة العرب
جميعاً، ولكنها لا تلبث أن تلين به السنتهم بالمران وكثرة التلاوة للقرآن
العظيم بهذا الوجه.

ومثّل لذلك بكلمة «الصراط» بالصاد المبدلة من السين فتقرأ العرب
بالصاد عملاً بالرسم وبالسين عملاً بالأصل (١).

قلت : وفسر آخرون كلمة «اللحن» بـ«اللغة وطريقة الكلام» ورجحوا أن
يكون المقصود بقول عثمان رضي الله عنه نما هو تلاوة الحروف المرسومة
بزيادة حرف أو نقصانه مما لو قرئ على وجهه لتغير اللفظ وفسد المعنى
أي أن هناك كلمات على القاريء أن يقيم قراءتها وفقاً لما تلقاه وسمعه دون
ما يجده مكتوباً في الخط (٢).

قلت : هذا قاله ابن أخته (ت ٣٦٠هـ) في جوابه عن قول عثمان رضي الله
عنه (٣).

قال أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) بعد أن قرر نحواً مما سبق : «فإن قيل :
فما معنى قول عثمان رضي الله عنه في آخر هذا الخبر: «لو كان الكاتب من
ثقيف والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف» قلت : معناه أي لم توجد
فيه مرسومة بتلك الصور المبنية على المعاني دون الألفاظ المخالفة لذلك؛ إذ
كانت قريش ومن ولي نسخ المصاحف من غيرها قد استعملوا ذلك في كثير
من الكتابة وسلكوا فيها تلك الطريقة، ولم تكن ثقيف وهذيل مع فصاحتهما
يستعملان ذلك، فلو أنهما وليتا من أمر المصاحف ما وليه من تقدم من
المهاجرين والأنصار لرسمتا جميع تلك الحروف على حال استقرارها في
اللفظ ووجودها في المنطق دون المعاني والوجوه؛ إذ ذلك هو المعهود
عندهما والذي جرى عليه استعمالهما.

هذا تأويل قول عثمان - عندي - لو ثبت وجاء مجيء الحجة وبالله

(١) مناهل العرفان ٣٨٠/١.

(٢) المقنع ص ١١٩-١٢٠.

(٣) الإتيان (أبو الفضل) ٢٧١/٢.

التوفيق» اهـ (١).

أما من جهة المتن : فيقال : كيف يظن بالصحابة :
أولا : أنهم يلحنون في الكلام فضلا عن القرآن وهم الفصحاء
اللد؟.

ثانيا: كيف يظن بهم ذلك في القرآن الذي تلقوه عن النبي ﷺ كما
أنزل وحفظوه وضبطوه واتقنوه؟.

ثالثا : كيف يظن بهم اجتماعهم كلهم على الخطأ و كتابته ؟.

رابعا : كيف يظن بهم عدم تنبهم ورجوعهم عنه ؟.

خامسا : كيف يظن بعثمان أنه ينهى عن تغييره ؟.

سادسا : كيف يظن أن القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطأ،
والقرآن مروى بالتواتر خلفا عن سلف ؟.

هذا مما يستحيل عقلا وشرعا .

ويؤكد هذا أن عثمان رضي الله عنه لم يكتب مصحفا واحدا بل كتب عدة
مصحاف.

فإن قيل : إن اللحن وقع في جميعها.

تعقب بأنه لا يمكن ذلك إذ الأمة لا تجتمع على ضلالة.

وان قيل : إن اللحن وقع في بعضها.

تعقب بأنه اعتراف بصحة بعضها الآخر ، ولم يذكر أحد من الناس أن

اللحن كان في مصحف دون مصحف، ولم تأت المصاحف قط مختلفة إلا فيما

(١) المقنع ص ١٢٠.

فائدة : قلت جواب أبي عمرو الداني مبني على أصل له في رسم المصحف بينه في
موضع آخر من كتبه حيث يقول : «وليس شيء من الرسم و لا من النقط أصطلح عليه
السلف رضوان الله عليهم إلا وقد حاولوا به وجها من الصحة والصواب ، وقصدوا به
طريقا من اللغة والقياس لموقعهم من العلم ومكانهم من الفصاحة، علم ذلك من علمه ،
وجهه من جهله والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» اهـ ' المحكم
ص ١٩٦.

فهو - رحمة الله عليه - يرى أن ظواهر الرسم القرآني في المصحف العماني معلله
بعلل لغوية ونحوية ، وأن مراعاة هذه العلل ما كان ممكنا لو كان الكاتب من ثقيف
والمملي من هذيل فهم لو ولوا نسخ المصاحف لرسموا الكلمات وفقا للفظها دون زيادة
حرف في رسمها أو حذف شيء من رموزها لأنهم لا يراعون في كتابتهم الوجوه
والمعاني. رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ص ٢١٧-٢١٨.

هو من وجوه القراءة وليس ذلك بلحن (١).
 قال الطبري (ت ٣١٠هـ) : «لو كان ذلك خطأ من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف - غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه - بخلاف ما هو في مصحفنا.
 وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبي في ذلك ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ.
 مع أن ذلك لو كان خطأ من جهة الخط ، لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ يعلمون من علموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن ، ولأصلحوا بالسنتهم ولقنوه الأمة تعليماً على وجه الصواب.
 وفي نقل المسلمين جميعاً ذلك قراءة على ما هو به في الخط مرسوماً أدل الدليل على صحة ذلك وصوابه ، وأن لا صنع في ذلك للكاتب» اهـ (٢).

وتلاحظ الأمور التالية :

- (١) أن الطعن في متن الروايات هو من العلة القاذرة ، ولا يضير حينئذ كون الظاهر في سندها الصحة.
- (٢) أن الجمع والتوفيق بين الروايات وما يعارضها مقدم على ردها وتضعيفها بمجرد المخالفة.

(١) النشر ٤٥٩/١ الإتيان (أبوالفضل) ٢٧٠/٢ بتصرف.

(٢) تفسير الطبري (شاکر) ٣٩٧/٩-٣٩٨.

خلاصة الرد على هذه الشبهة :

أن الآثار والروايات التي قامت عليها هذه الشبهة لا تخرج عن حالين :

إما أن ترد ويطعن في صحتها لنكارة متنها .

إما أن تقبل وتحمل على معنى سالم من المعارضة من الوجوه التالية :
(١) أن تفسر كلمة «أخطأ الكاتب» بالخطأ في إختيار الأولى من الأحرف السبعة.

(٢) أن تفسر كلمة «لحن» باللغة والقراءة ، ويحمل المعنى على أحد الوجوه التالية :

(أ) أن يكون مراد عثمان رضي الله عنه : أن في نسخهم للقرآن لحناً أي لغة مما نزل به القرآن غير لسان قريش الذي طلب منهم الكتابة به.
(ب) أو أن يكون مراده أن في القرآن ورسم المصحف وجهها في القراءة لا تلين به بعض السنة العرب ، ولكنها لا تلبث أن تلين به بالمران والتلاوة.

(ج) أو يكون المقصود إنما هو تلاوة الحروف المرسومة بزيادة حرف أو نقصانه مما لو قريء على وجهه لتغير اللفظ وفسد المعنى ، فعلى القاريء أن يقيم لسانه وفقاً لما تلقاه وسمعه دون ما يجده مكتوباً في الخط.

الشبهة الثانية :

الحجاج غير أحد عشر حرفا في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه .
تستند هذه الشبهة على ما جاء عن عوف بن أبي جميلة قال : «إن الحجاج
ابن يوسف غير في مصحف عثمان أحد عشر حرفا .

قال كانت في البقرة [آية ٢٥٩] «لَمْ يَتَسَنَّهْ» وانظر «بغير هاء فغيرها : ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ بالهاء .

وكانت في المائدة [آية ٤٨] «شريعة ومنهاجا» فغيرها ﴿شَرَعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ .

وكانت في يونس [آية ٢٢] «هو الذي ينشركم» فغيره : ﴿يَسِيرُكُمْ﴾ .

وكانت في يوسف [آية ٤٥] «أنا آتيكم بتأويله» فغيرها ﴿أَنَا أُنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ .

وكانت في المؤمنين [آية ٨٥، ٨٧، ٩٨] «سيقولون لله ... سيقولون لله ... سيقولون لله ... سيقولون لله» ثلاثهن فجعل الآخرين : ﴿الله . الله﴾ .

وكانت في الشعراء في قصة نوح [آية ١١٦] «من المخرجين» وفي قصة لوط [الشعراء ١٦٧] فغير قصة نوح : ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ وقصة لوط ﴿مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ .

وكانت الزخرف [آية ٣٢] «نحن قسمنا بينهم معاشهم» فغيرها ﴿مَعِيشَتَهُمْ﴾ .

وكانت في : «الذين كفروا» [محمد: ١٥] «من ماء غير ياسن» فغيرها : ﴿مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسَنِ﴾ .

وكانت في الحديد [آية ٧] : «فالذين آمنوا منكم واتقوا لهم أجر كبير» فغيرها ﴿وَانْفَقُوا﴾ .

وكانت في «إذا الشمس كورت» [آية ٢٤] ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾ فغيرها ﴿بِضَنِينٍ﴾ . «اهـ (١) .

(١) أثر ضعيف جدا .

أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» ص ١٣٠، ٥٩ وفي السند : «عباد بن صهيب» أحد المتروكين . لسان الميزان ٢٣٠/٣ .

الرد على الشبهة الثانية :

يرد على تلك الشبهة بأنها كاذبة باطلة سنداً ومتناً..

أما سنداً ؛ فلأنها من طريق عباد بن صهيب وهو متروك (١).

أما متناً ؛ فإنّ الحجاج لو فعل ذلك حقاً لنقل إلينا متواتراً ؛ لأن هذا مما تتوافر الدواعي على نقله وتواتره، ثم كيف يفعل هذا ويقره علماء عصره ويسكتون ولا ينكرون عليه، ولا يدافعون ولا يستقبلون؟. ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾.

ثم إن الحجاج كان عاملاً على بعض أقطار الإسلام فأنى له أن يجمع المصاحف ويحرقها فيما عدا ولايته التي هو عامل عليها؟.

وإذا فرضنا أن الحجاج كان له من القوة والشوكة ما أسكت به كل الأمة في زمانه على هذا الخرق الواسع في الإسلام والقرآن فما الذي أسكت المسلمين بعد انقضاء عهد الحجاج؟.

وإذا كان الحجاج قد استطاع التحكم في المصاحف والتلاعب فيها بالزيادة والنقصان فكيف استطاع أن يتحكم في قلوب الحفاظ وهم الآف مؤلفة في ذلك العهد حتى يمحونها ويثبت ما يريد؟.

هذه دعاوى ساقطة، تحمل أدلة سقوطها في الفاظها وتدل على جرأة القوم واغراقهم في الجهل والضلال ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ نسأل الله السلامة بمنه وكرمه (٢).

وعلى فرض صحة هذه الرواية ، فالجواب عليها هو التالي :

نص الرواية يذكر لفظ «غَيَّرَ» أي : بدل، ولا يشترط أن يكون التغيير من الصواب إلى الخطأ بل قد يكون التغيير من الخطأ إلى الصواب، ويكون الخطأ دافعاً للتغيير إلى الصواب.

(١) قال الذهبي في «ميزان الإعتدال» ٣٦٧/٢ : «عباد بن صهيب البصري أحد المتروكين ... قال ابن المديني: «ذهب حديثه» وقال البخاري والنسائي وغيرهما: «متروك» وقال ابن حبان : «كان قدريا داعية، ومع ذلك يروي أشياء إذا سمعها المبتدئ في هذه الصناعة شهد لها بالوضع».. وأما أبو داود فقال: «صدوق قدرى» وقال أحمد: «ماكان» بصاحب كذب وكان عنده من الحديث أمر عظيم» اهـ

قلت : كلام أبي داود وأحمد يدل على : أنه لا يضبط الحديث بمرة لكن هذا عندهما ليس منه بل من غيره فإنه كان إذا سمع من أحد حديثاً حدث به ولم يخطر بباله أنه يكذب أحد في الحديث عن رسول الله لأنه كان يعظم ذلك ، ومن هنا دُخل عليه في حديثه.

(٢) من كلام الزرقاني في «مناهل العرفان» ٢٦٦/١-٢٦٧.

والخطأ المتوقع في هذه الحال هو أن بعض المصاحف كتبت فيها حروف على نحو ما يوجد في قراءة ابن مسعود مما يخالف رسم المصحف العثماني، ويكون الصواب هنا تغييرها إلى مثل ما هي عليه في مصاحف الأمة .

ويرشح هذا ما ذكره ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) من أن «الحجاج وگل عاصما الجحدري، وناجية بن رمح، وعلي بن أصمع بتتبع المصاحف ، وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف وجدوه مخالفا لمصحف عثمان ويعطوا صاحبه ستين درهما .

قال ابن قتيبة : «خبرني بذلك أبوحاتم عن الأصمعي قال: وفي ذلك يقول الشاعر:

وإلا رسوم الدار قفرا كأنها كتاب محاه الباهلي ابن أصمعا» اهـ (١).
وتشير هذه الرواية التي أوردها ابن قتيبة إلى أن الحجاج كان حريصا على المحافظة على هجاء الكلمات في المصاحف كما هو عليه في مصحف الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ومن ثم فإن حرص الحجاج على أن تبقى المصاحف موحدة في هجائها جعله يكل الأمر إلى جماعة من العلماء في عصره لينظروا في المصاحف ويقطعوا أو يمحوا ما كان مخالفا للمصحف العثماني ويعطوا صاحبه من المال ما يستطيع به أن يحوز على نسخة من المصحف العثماني .

وعلى هذا فإن هناك احتمالا قويا أن يكون أولئك الجماعة قد وجدوا بعض المصاحف لا تخالف المصحف العثماني إلا في حروف يسيرة فرأوا تغييرها فقط دون إتلاف المصحف بكامله، ولعل جزءا مما قاموا به إرتبط باسم الحجاج لأنه الأمر به، وجاءت الرواية تقول أن الحجاج غير في المصحف أحد عشر حرفا على أمره بتصحيح تلك المواضع (٢) والله أعلم .
هذا الجواب - عندي - لو صح هذا الخبر وبالله التوفيق.

(١) تأويل مشكل القرآن ص ١٥-٢٥ .

(٢) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ص ٧١٣-٧١٤ .

خلاصة القسم الأول من الرسالة :

بهذا الباب ينتهي بحمد الله وتوفيقه القسم الأول من هذه الرسالة، التي أردت بها خدمة هذا العلم العزيز، وهو علم القراءات، وإلقاء الضوء على مسائله ومراحل تدوينه، والذب عنه، من خلال الأبواب الثلاثة التي اشتمل عليها هذا القسم من الرسالة.

فقد عرّفت القراءات، مؤكداً على أنها تلقى ورواية، وليست رأياً ودراية، وبيّنت أقسامها من جهة النقل، وأقسامها من جهة القبول، مسنداً ذلك بالدليل، معضداً له بالنقل عن أئمة العلم رحمهم الله جميعاً.

كما عرجت على استعراض مراحل تدوين القراءات، وأوضاعه المتنوعة التي ظهر بها، مستعرضاً تسلسل التأليف في هذا العلم إلى عصرنا الحاضر.

وقمت بجمع الشبه التي طعن بها المبطلون في كتاب الله من خلال القراءات؛ من جهة اختلافها، ومن جهة رسم المصحف، ثم قمت بالرد عليها، رداً موضوعياً، مدعماً بالحجة والبرهان، مستعيناً فيه بكلام أهل العلم، ومصنفاتهم المتعددة في ذلك، جزاهم الله خيراً عن الإسلام والمسلمين.

وختاماً أسأل الله تبارك وتعالى بأن له الحمد لا إله إلا هو الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام أسأله سبحانه أن يتقبل جميع عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقني القبول في الدنيا والآخرة.

هذا، وبانتهاء هذا القسم يبدأ القسم الثاني من الرسالة، وهو التالي: